

# المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الرابع من المجلد الثاني والثمانين

١ أبريل سنة ١٩٣٣

٦ ذي الحجة سنة ١٣٥١

## التكنوقراطية والازمة

نقدها للنظام الصناعي والاقتصادي ومقترحاتها

يراد بالديموقراطية حكومة الشعب . وبالارستقراطية حكومة الخاصة . اما التكنوقراطية Technocracy فهي حكومة رجال الفن اذا انسحبت لفظة الفن على الصناعة والهندسة والعلم والاعمال الميكانيكية واساليبها بوجه عام Technology . والظاهر ان اول رجل استعمل لفظة التكنوقراطية كان المستر وليم سميث Smyth احد مهندسي ولاية كاليفورنيا الاميركية . فاطلقها سنة ١٩١٩ على نظام جديد من الحكم والفلسفة التي من وراء هذا النظام . ثم طويت اللفظة . على ان جماعة من المهندسين والاقتصاديين وعلى رأسهم مهندس يدعى هورد سكوت Scott ( ومنهم شتينميتز المستنيط الكهربائي وثورشتين قبلن الاقتصادي الثائر — وقد توفيا — ومهندسان معماريان من مهندسي نيويورك ) ، اتصلت بقسم الهندسة الصناعية في جامعة كولومبيا من بضع سنوات فاتفق الفريقان على اجراء بحث عام في احوال الصناعة في قارة اميركا الشمالية ، غرضه معرفة مقدار الطاقة التي زاد استعمالها في الصناعات المختلفة في خلال مائة سنة واثّر ذلك في مقدار الانتاج وعدد العمال العاملين والعاطلين . ومضيا في بحثهما على الطريقة العلمية المعهودة في هذه المباحث ، الى ان كان شهر اغسطس من السنة الماضية فتسربت بعض الاقوال عن الحقائق التي قيل ان الفريقين كشفوا عنها ، الى بعض الصحف فنشرها الكتاب موبّلين بها ، فاصابت اوتار النفوس الحساسة . واذا لفظة التكنوقراطية ، بين ليلة وضحاها ، كأنها هي موجة من السحر ، قد اكتسحت الولايات المتحدة الاميركية من اقصاها الى اقصاها ،



واذا الصحف والمجلات تبحث عن يجتبر لها المقالات في هذا الموضوع ، واذا المطابع تخرج الكتاب تلو الكتاب ، في ابحدية التكنوقراطية ومقدماتها ومعانيها ورمائها وغير ذلك . واذا الناس يرون بفعل السحر في دعاوي التكنوقراطيين خروجاً من مأزق المجتمع الحديث القائم على الصناعة وفنونها . وكان لا بد أن يقع الخطأ في بعض ما كتب في الموضوع على عجل ، وخصوصاً ما كتبه صحافيون متصلون باصحاب المذهب الجديد ، معتمدين على ما التقطوه من اقوالهم او خيّل اليهم انهم فهموه من مبادئهم . فكثير النقاد تألفت الصفوف للطنع والرد . ورأى فريق جامعة كولومبيا ان المسألة خرجت من دائرة البحث العلمي الى ميدان النضال السياسي والصحافي ، فاعلان انفصاله عن فريق سككت وعزمه على المضي منفرداً في البحث حتى تمامه والناس في كل العصور يميلون الى تصديق متنبئة الشؤم . فاذا بدا لهم خطأ او انحراف في اقوالهم انقلبوا عليهم شرّاً منقلب . وسكت لم يشذ عن هذه القاعدة العامة . فالازمة في اميركا آخذة بخناق الناس من كل الطبقات الاجتماعية ، واللوم في نظر التكنوقراطيين واقع على الآلة والصناعة الآلية ، والنظام القائم عليهما لن يدوم في رأيهم عقداً آخر من السنين ، وأنه ما دام هذا النظام قائماً فلا مندوحة عن زيادة العمال العاطلين ، وأنه اذا القيت مقاليد الاجتماع الاميركي الى المهندسين والعلماء ، خرجوا بالناس من المأزق وقلبوا نظام الاسعار والعملة والمعاملة ووضعوها على اساس جديد . فتعلق الفرقى بحبال الامل . فلما كشف النقاد عن بعض الاخطاء في ما عزي الى التكنوقراطيين ، انقلب الناس على سككت وتكثروا له ، حتى تلامذته في كولومبيا اعلنوا انفصالهم عنه

على ان التكنوقراطية تحمل لنا لباب المشكلة التي تعانها الحضارة الغربية الآن . واهمال العناية بهذه المشكلة نهايتها الخراب الذي تبدو نذرته على الافق . ومن هنا اهتمامنا بتوضيح المبادئ الاساسية التي ينطوي عليها هذا المذهب الحديث

تبدت مساوي الصناعة الحديثة للمفكرين في مطلع هذا القرن . فلم يحيروا معها عملاً او منفذاً للخلاص ، لان رجال الصناعة ومن ورأيهم رجال المال كانوا اصحاب السيطرة الفعلية في الاجتماع الحديث . فتجاهلها الشعراء . وتسامى عنها الفلاسفة . حتى زعماء الشيوعية ، الذين يؤمنون بالآلة في تخفيف العناء البشري ، لم يجحدوا في الصناعة كما تمارس ، مسوغاً ايجابياً واحداً للاحتفاظ بها ، فعمدوا الى التنديد بمساوئها ، وجل بضاعتهم التنبؤ بنهاية الرأسمالية واستبداد الممولين بالعمال . فلما كان العقد الثالث من هذا القرن اتجهت الصناعة اتجاهاً جديداً ، فبدا للمفكرين الذين يراقبون سيرها ، ان الصناعة سائرة بالاجتماع الى حالة تحول فيها الآلات محل العمال ، وان النتيجة اللازمة التي يفضي اليها هذا السير تحتمل احد امرين : اما حضارة يقل فيها نصيب الناس من العمل ويزيد قسطنهم من التمتع ، او اجتماع يعجز فيه ربع



التأديب على العمل عن وجود مرتزق فيعيشون عالة على الحكومة والامة او على احسان المحسنين وتأيد هذه النظرة الاجتماعية بالارقام والاحصاءات هو لباب التكنوقراطية

### العمال والالات

يعترف التكنوقراطيون «التحول الاجتماعي» بكل تحول يحدث اذا اختلف نصيب الفرد من الطاقة المستعملة في الانتاج والاستهلاك . فهم لذلك يحذفون من تاريخ الانسان السبعة آلاف السنة السابقة للقرن التاسع عشر . فقدار الطاقة التي كانت تستعمل في العصور القديمة — طاقة عضلات الرجال والحيوانات — لم يصبه الا تغير يسير حتى استنبطت الآلة فزادت الطاقة زيادة عظيمة . ففي الولايات المتحدة الآن آلات تولد ما قدره الف مليون حصان من الطاقة الميكانيكية كل يوم وهي تفوق الطاقة العضلية التي يولدها كل سكان الارض خمسة اضعاف ثم انهم يشيرون الى ان سكان الارض زادوا في المائة والخمسين السنة الاخيرة من ٨٥٠ مليوناً الى ١٨٠٠ مليون في حين ان الطاقة الميكانيكية اللازمة لانتاج ما يحتاجون اليه زادت زيادة عظيمة . والآلة التي تولد الطاقة الميكانيكية تحل محل الرجل الذي كان يولدها باستعمال عضلاته بل هي تحل في كثير من الاحيان محل العامل البارع دع عنك العامل القوي

فالحقيقة التي تستخرج من احصاءات التكنوقراطيين وجداولهم ، ان التوسع العظيم في الانتاج يصحبه نقص عظيم في استخدام العمال ، وان هذا النقص آخذ في الازدياد ، حتى لقد يبلغ قريباً الصفر ، اذ تصبح الآلات التي تكاد تكون عاقلة في كفايتها — في مصنع ما — لاحتياج الآلى بضعة رجال للاشراف على الازرار التي تديرها . وعليه فالازمة الحالية، ليست موجة وفرة ، بل هي ازمة لا مندوحة عن استمرارها في ظل النظام الحالي

كان في الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٩٣٢ نحو من ١٤ مليوناً من العمال العاطلين . والتكنوقراطيون يقولون بان العاطلين سوف يبلغون سنة ١٩٣٤ نحو من ٢٥ مليوناً . وان ما يفتتح امام العاطلين من ابواب العمل في الصناعات المستحدثة لا يكفي ، لان هذه الصناعات نفسها خاضعة لتقدم اساليب الصناعات فيها ، والاتجاه في هذه الاساليب ، هو نحو جعل الآلة «اوتوماتيكية» أي ان تقوم من تلقاء نفسها بما هو مطلوب منها . وان صفوف العمال العاطلين سوف تتضخم اذ تنبذ المعامل آلاتها القديمة وتستبدل بها آلات على احدث طراز

والى القارىء بعض الاحصاءات المفصلة عن صناعات اميركية زاد فيها الانتاج في خلال مدة معينة زيادة كبيرة ، ولكن نقص عدد العمال فيها في خلال المدة نفسها ، لان الآلة أغنت عن خدماتهم . والمدة هي سنة ١٩٢٣ — ١٩٢٧



الصناعة	زيادة الانتاج او نقصه	نقص العمال او زيادتهم
النفط (البترول)	٨٤ في المائة زيادة	٥ في المائة نقصاً
التبغ	٥٣ » »	١٣ » »
صناعة اللحوم وحفظها	٢٠ » »	١٩ » »
السكك الحديدية	٣٠ » »	١ » »
البناء ( ولاية اوهايو )	١١ » »	١٥ » »
السيارات	٦٩ » »	٤٨ » زيادة
الكهربائية	٧٠ » »	٥٢ » »
الورق	لا زيادة ولا نقص	٧ » نقصاً
الاحذية	٧ في المائة نقصاً	١٢ » »
مغازل القطن	٣ » زيادة	١٣ » »
الفحم	٤ » »	١٥ » »
الاحتطاب	٦ » »	٢١ » »

### العمال والمستنبطات

ولكي يؤيد التكنوقراطيون دعواهم بان المستنبطات الحديثة تحل محل القديمة في المعامل والمصانع ، وان الصناعة بوجه عام ، تميل الى الاخذ بالآلة الاتوماتيكية يشيرون الى احصاءات مصلحة تسجيل المخترعات الاميركية . ففي المدة الواقعة بين سنة ١٨٥١ - ١٨٥٥ منحت هذه المصلحة ٦٠٠٠ امتياز . اما في المدة الواقعة بين سنة ١٩٢٦ - ١٩٣٠ فنحت ٢١٩ الف امتياز . واذا اخذنا بالاساليب الزراعية السائدة في الولايات المتحدة سنة ١٨٣٠ تبين لنا ان محصول الحنطة الاميركية في سنة ١٩٢٩ كان يقتضي عمل ٦٠٠٠ ٠٠٠ عامل . اما اليوم فأربعة آلاف عامل فقط يكفون لذلك اذا استعملت المحارث والحصادات وغيرها من الآلات الحديثة . وقد بلغ من عناية اصحاب المصانع باستخدام الآلات المغنية عن العمال ، لتخفيض نفقات الانتاج ، مبلغاً عظيماً حتى اذا عادت كل المعامل الاميركية الى العمل لما تمكنت من استخدام اكثر من سبعة ملايين عامل - وهو نصف عدد العاطلين في اميركا الآن - لتنتج ما انتجته سنة ١٩٢٩ وقد احصى التكنوقراطيون هذا الاتجاه في صناعات مختلفة نكتفي بذكر بعضها للتشثيل دون الحصر . ففي سنة ١٨٩٢ كان في البلاد الاميركية ٩٠٠٠ مطحنة دقيق اخرجت ٤٧١ مليون جريب<sup>(١)</sup> (بشل) وعدد عمالها كانوا ٣٢ ألفاً . اما في سنة ١٩٢٩ فكان عدد المطاحن ٢٩٠٠ اخرجت ٥٤٦ مليون جريب في حين ان عدد العمال لم يزد على ٢٦٤٠٠ عامل . وفي سنة ١٩٠٠ كان

(١) مكيال من مكاييل العرب وضعناه لكلمة بشل Bushel







بقتضي اخراج طن من الصلب عمل سبعين عاملاً اما في سنة ١٩٢٩ فكان اخراج الطن لا يقتضي الاً عمل ١٣ عاملاً . وفي صناعة السيارات كان صنع سيارة واحدة سنة ١٩١٩ يقتضي ٥١٣ ساعة من عمل العمال اما في سنة ١٩٢٩ فكان صنع السيارة لا يقتضي اكثر من ٩٢ ساعة من عمل العمال والباقي احيل على الآلات

ثم ان التكنوقراطيين يشيرون الى انه في امكان اصحاب الصناعات ، ان يبنوا مصانع منها ما يصنع ١٠٠٠٠ جسم من اجسام السيارات ولا يستخدم في صنعها الا ٢٠٨ من العمال وان واحداً من هؤلاء العمال فقط يستطيع ان يشحن اجسام السيارات كلها على مركبات النقل . ومنها مصنع كدل للحرير الصناعي لا يحتاج الى اي عامل . وانه اذا اشتغل رجل الآن مستعيناً بكل الوسائل والمستنبطات الميكانيكية الحديثة اخرج من المصاييح الكهربائية في ساعة من العمل ما كان يقتضي سنة ١٩١٤ نحو ٥٥٠ ساعة عمل . ومن الصلب ما كان يقتضي ٦٥٠ ساعة عمل في انكثرا سنة ١٨٨٥ . ثم ان معامل لقائف التبغ ( السجائر ) تمكن العامل الواحد ان يصنع الآن ٣٠٠٠ سيجارة في الدقيقة مع انه كان لا يستطيع من سنة واحدة ان يصنع في الدقيقة اكثر من ٦٠٠ سيجارة . وكل ما تحتاج اليه اميركا من الطوب يمكن ان يصنعه مائة رجل يشتغلون شغلاً متواصلاً مستعينين بالآلات . وفي بعض مصانع الصوف يوضع الصوف الخام في ناحية من آلة ويخرج من الناحية الاخرى كسباً من غزل الصوف الملوّن والملنفوف المعد للبيع في السوق . وحدث الآلات المستعملة في رصف الطرق تستطيع بأدارة رجلين فقط ان تقتلع سطح طريق قديمة وترصف طريقاً جديدة طولها ٨ اميال وعرضها ٦٠ قدماً في يوم واحد . وليس ثمة نهاية لما يعدونه من هذا القبيل

ثم ان هناك ما هو ادهى مما تقدم . ففي امكان صناع شفرات المواسي ان يصنعوا شفرات تقطع صنعا ٢٠ في المائة اكثر من تقطع شفرات جيليت ولكنها تكفي مستعملها مدي حياته من دون ان يضطر الى سننها . وفي الامكان صنع سيارات تدوم ٦٥ سنة وتقطع ٣٠٠ الف ميل من دون ان تحتاج الى ترميم . ثم ان هناك نباتاً جديداً يدعى « remie » له فتلة كفتلة الكتان او من قبيلها ينتج القدان منه في ثلاث غلال سنوية ١٥٠٠ رطل انكليزي وطول فتلته ٢٢ بوصة ، يمكن ان يقطع ويحزم بالآلة ، فاذا نسج كان امتن من الصوف سبعة اضعاف وهو ارخص وامتن من ربّ النبات لصنع الورق وله لمعة كلمعة الحرير او الكتان . فان تذهب مصانع النسيج اذا استعمل هذا النبات ؟ ثم ان مصانع الاحذية اذا استبدلت بالآلاتها القديمة آلات جديدة تمكنت من ان تصنع في ثمانية اشهر احذية تكفي سكان اميركا مدة عشر سنين

### علل النظام الصناعي

على هذه الاحصاءات بنى التكنوقراطيون ثلاثة مبادئ هي اركان مذهبهم : — (اولاً) ان



الثروة نتيجة للطاقة انسانية كانت او ميكانيكية . فالثروة يجب ان تقاس بوحدات الطاقة لا بالجنيه والريال . (ثانياً) ان نصيب الانسان في انتاج البضائع أخذ في عصر الآلة هذا ، ينقص نقصاً سريعاً بزيادة الآلات التي تستغني عن العمال ، ونقص نصيب العمال في الانتاج انقص نصيبهم في استهلاك منتجات الصناعة . (ثالثاً) ان نظام الاسعار السائد الآن ، قد جعل عبء الديون العمومية عبئاً فادحاً يكاد يقصم ظهر المجتمع الحديث ويعيق الصناعة عن بلوغ مداها الطبيعي ويمنع جمهور الناس من استهلاك ما كانوا يستهلكونه عادة لو ألغيت الديون وبذلت الثروة العادية ووحدتها الجنيه والريال وغيرها بثروة اساسها وحدات الطاقة

قدمر بنا ما يكفي لتأييد المبدأ الاول . فالانسان في فجر حياته الاجتماعية كان يعتمد على قوة عضلاته في القيام بما يشاؤه من العمل ، ثم استنبط العجلة والموتلة والشرع ودولاب الهواء . ولكن ذلك كله لم يزد قوته العضلية شيئاً أزاء الزيادة التي اصحابها بعد ما استنبطت الآلة البخارية وما تلاها من المحركات الكهربائية وآلة الاحتراق الداخلي . فصانع الاحذية في رومية القديمة كان يقضي ما متوسطه خمسة ايام ونصف يوم في صنع حذاء . ولكن صانع الاحذية في المصنع الحديث يصنع - بمساعدة الآلات - ما متوسطه ٦٧،٨ الحذاء في المدة نفسها . وكان الطحّان في رومية واثنين يصنع جوالاً الى جوال ونصف من الدقيق في اليوم بطحن الحنطة بحجري رحى . اما الطحّان في مطحنة حديثة في مدينة منيابوليس او بفلو فيخرج - بمساعدة الآلات - ما متوسطه ٣٠ الف جوال في اليوم من دقيق يفضل الدقيق الروماني او الاثيني في جودة طحنه . الخ وعليه فالطاقة التي تولدها الآلات وتستعمل في انتاج البضائع هي العامل المسيطر على حياة العالم الاقتصادية . اما اثر طاقة الانسان في هذه الحياة فآخذة في النقص السريع

والتقدم في استهلاك الطاقة قد هدم النظام القائم على قياس الثروة بالعملة المبنية على الذهب او الفضة او الاعتمادات المالية ، فلا أمل في ترميمه . ذلك ان هذا النظام يجعل نصيب العامل من الاستهلاك متوقفاً على العمل الذي يؤديه . في حين ان نظام الصناعة نفسه أصبح لا يحتاج الى عمله . ومعظم العمل الذي يعمل في انتاج البضائع تقوم به آلات صُمِّمَتْ بطاقة مولدة من الفحم او الماء او غير ذلك من مصادر الطاقة . واجرة هذا العمل يستولي عليها اصحاب المصانع ومديروها ويحرم منها العامل لان المصنع الحديث أصبح في غنى عن طاقته

ولكن اصحاب المصانع ومديريها اقلية يسيرة في كل البلدان ، تتجمع في ايديهم ، في ظل نظام الاسعار القائم ، مقدرة عظيمة على الاستهلاك ولكنهم لا يستعملونها ، في حين ان الجماهير التي تستطيع ان تستهلك لا تملك وسائل الاستهلاك وهي العملة . وبدلاً من ان يستعمل اصحاب المصانع ومديروها اموالهم في الاستهلاك يعيدون تسميرها في بناء مصانع جديدة ، وكذلك تزيد مقدرتهم على الاستهلاك من دون ان يكون لهم سبيل الى انفاقها . والنتيجة الحتمية



لهذا النظام اتساع المصانع وكثرتها وزيادة ما تنتجه على ما يمكن ان يستهلك . ومن هنا تنشأ  
الازمات الطاحنة التي تدور كحجر الرمح من كثرة في الانتاج او قلة في الاستهلاك الى هبوط  
في الاسعار الى عطل عن العمل الى ركود في النشاط الاقتصادي الى تراكم في الديون الى انهيار ودمار  
﴿علاج التكنوقراطيين﴾ اما وقد مني « نظام الاسعار » القائم ، بالخبية ، فيرى  
التكنوقراطيون ان تحل « وحدة العمل » في قياس الثروة محل « وحدة العملة » — الجنيه او  
الدولار او الفرنك — . فيقدر عمل الانسان في يوم طوله ثمانى ساعات بـمليون وخمسمائة  
لف « رطل قدم »<sup>(١)</sup> مثلاً . وكذلك تقاس كل ثروة بمقياس واحد . وهذا المقياس لا يتقلب  
كا يتقلب اسعار العملة . ويرون لتطبيق هذا الاقتراح ان تلقى مقاليد الامور لرجال  
الن — لا للعالم على ما هي الحال في روسيا — فيوزعون هذه الثروة على السكان توزيعاً  
متساوياً . فكل بالغ سليم الجسم عمره بين ٢٥ و ٤٥ سنة يرتبط مع الحكومة بعقد  
على ان يتم عملاً معيناً مشغلاً ٤ ساعات في اليوم او ٦٦٠ ساعة في السنة . ويمنح لقاء ذلك  
الحق بتناول البضائع او الاشياء التي يريدونها او يحتاج اليها — وكل منها مسعر بوحدات  
الطاقة — ويدفع ثمنها من نصيبه في وحدات الطاقة التي يأخذها لقاء العمل الذي يعمل به .  
ثم انهم يقترحون للموازنة بين الانتاج والاستهلاك ان يمنح كل انسان قدراً متساوياً من  
« عملة الطاقة » من غير نظر الى العمل الذي يعمل به فيشتري حذاءً له بمائة « ووط »<sup>(٢)</sup> مثلاً ، وثوباً  
زوجته « بألف ووط » وهلم جراً . ويقدر ان دخل الفرد بحسب هذا النظام يعدل  
ما كانت قيمته ٢٠ الف ريال في سنة ١٩٢٩ وعليه فستوى المعيشة الذي ينشأ في ظل هذا  
النظام يمكن الاحتفاظ به مدى ثلاثة آلاف سنة ، تقل في خلالها ساعات العمل رويداً  
بقدم الاساليب الصناعية ، من دون ان يقل الدخل ، وتتسع ساعات الفراغ للتمتع بمطالب  
الحياة العليا من ثقافة وفن وعلم وزهرة ورياضة وغيرها . ولا يسمح لاحد بالتوفير او تدمير  
المال الموفر ، لان الثروة بحسب هذا النظام قائمة في الاستهلاك لا في المليك

### نقد التكنوقراطية

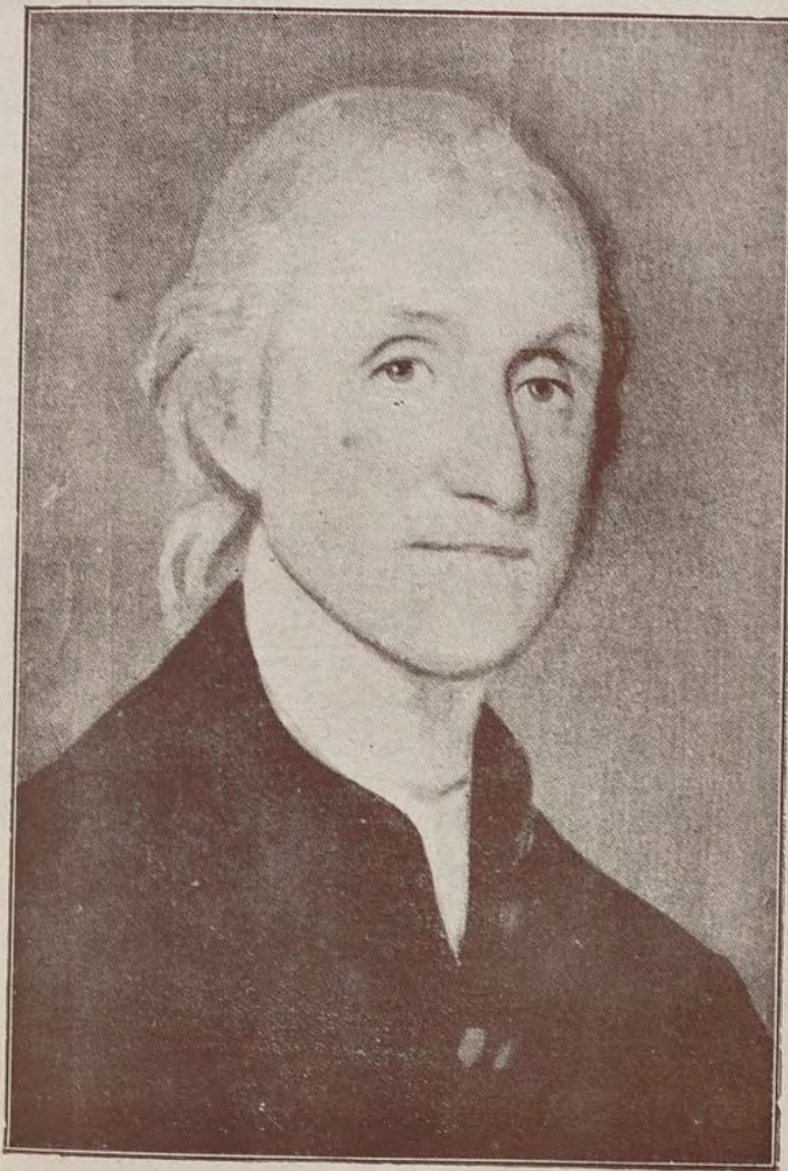
يقوم نقد التكنوقراطية على ثلاثة اركان . اما الاول فنقد الاحصاءات التي بنيت عليها  
مبادئهم . وقد ثبت الآن ان بعض ما عزي اليهم من هذه الاحصاءات فيه خطأ يسير او  
كبير . وان طائفة كبيرة من آرائهم ظهرت قبلاً في كتاب « قبلن » (المهندسون ونظام الاسعار)  
وكتاب صدي (الثروة والثروة الحقيقية والدين) . فقد قيل اولاً ان ما ينتجه الرجل الواحد  
من الصلب في سنة ١٩٢٩ يفوق ٩٠٣ ما كان ينتجه العامل سنة ١٧٨٧ وصحة ذلك ان هذه  
النسبة تبين ما كان ينتجه العامل في ساعة واحدة من العمل — لا ما ينتجه الرجل الواحد — في



السنتين المذكورتين . وقيل ان العامل في صناعة الحديد الزهر ينتج الآن في ساعة ما كان يستغرق ٦٥٠ ساعة من خمسين سنة وصحته ان النسبة ٤٧ : ١ وقيل ان صانع المصابيح الآن يصنع ٩٠٠٠ مصباح الآن ازاء كل مصباح كان يصنع سنة ١٩١٤ والصواب ان النسبة ٥٥٠ : ١ اما الثاني فنقد النتائج التي خلصوا اليها من هذه الاحصاءات . فهم يقولون ان ملايين من العمال قد اصبحوا عاطلين لان التقدم الصناعي والآلي جعل المصانع في غنية عن طائفة كبيرة من العمال . ولكن الدكتور وستر ( Wooster ) استاذ الاقتصاد في كلية اورلين الاميركية نشر احصاءات رسمية للعمال العاملين في سنة ١٩٢٠ و ١٩٣٠ فاذا مجموعهم في الاولى ٤١٦١٤٢٤٨ واذا مجموعهم في الثانية ٤٨٨٢٩٩٢٠ فكأن العمال العاملين قد زادوا في سنة ١٩٣٠ عن ١٩٢٠ رغماً عن تقدم الصناعة وارتقاء اساليبها . وانما جُل ما حدث ان توزيعهم على الصناعات المختلفة في ١٩٣٠ غير ما كان عليه سنة ١٩٢٠ فهم اقل الآن ، في الزراعة والتجريح والتعدين وصيد السمك واكثر في الصناعات الباقية

واما الثالث فنقد فهمهم للمبادئ الاقتصادية الاساسية . فهم يقولون ان الديون العامة الخاصة تثقل كاهل الصناعة وتعيق عن الانتاج وتغلُّ يد المستهلك الصغير . ولكن نظام الانتاج يقتضي نظام الدين . فاذا صنع المنتج بضاعته قبل شرائها حتى تكون جاهزة لدى طلبها كان المستهلك مديناً له حتى يشتريها منه . واذا دفع المستهلك ثمن البضاعة قبل صنعها كان المنتج مديناً للمستهلك حتى يعده له ما طلب . وقد يدخل اصحاب البنوك بين الفريقين لحل دين هذا او دين ذلك بفائدة يسيرة او كبيرة ، ولكن الدين لا بد منه سواء كان بالريالات الذهبية او بوحدة الطاقة والعمل . اما تسديد الديون فلا يتم في الغالب بدفع النقود بل بتبادل البضاعة والخدمات ، وشطب القيسم المقابلة في الدفاتر . وما نشهده من الخلل الآن في تسديد الديون يعود الى اسباب نفسية في الغالب ، نشأت عنها الحواجز الجمركية فسدت مساري التجارة الطبيعية وبلخص نقد التكنوقراطية في قول الاستاذ وستر : — « ان حقائقها غير تامة في مواطن كثيرة ، ومبالغ فيها في مواطن اخرى وموسومة كلها بسمة الشك في صحتها . ومنطقها فاسد . واصحابها يتشوفون الى عالم اصالح من عالمنا ، هازئين بالاشترائيين الذي نقلوا عنهم معظم افكارهم وهم لا يعلمون » . وفي قول المستر سترونسكي في جريدة التيمس النيويوركية : — « ان الرجال الذين اجروا البحث في استعمال الطاقة في الولايات المتحدة الاميركية ، مهندسون بارعون اذا نظرنا اليهم يقومون باعمالهم التي توفروا على درسها . ولكنهم في اذاعة آرائهم الاجتماعية خرجوا من صفوف العلماء ورجال الفن ، فاصبحوا ، مثلاً اذ نضع غرضاً معيناً نصب عيوننا ، سياسيين ومروجين » . وغني عن البيان ان الحكم على مصير التكنوقراطية متعذر الآن . ولكننا لانزأب قط في ان رجالها نبهوا في النفوس ، وجوب العناية بالاحطار العظيمة التي تستهدف لها الحضارة الصناعية





جون بريستيلى القس العالم  
John Priestley

امام صفحة ٣٨٧

مقتطف ابريل ١٩٣٣



# القس العالم

پرستلي مكتشف الاكسجين  
انقضاء مائتا سنة على ولادته

## سقاء الاصرار

في اوربا في العقد الاخير من القرن الثامن عشر ثورة محتاجة تثل العروش وتقلب الاوضاع الاجتماعية. وفي عقول الباحثين سورة تدفعهم للبحث والاستكشاف . فهم في معاملهم مكبتون على ادواتهم القاصرة في سبيل الكشف عن اسرار الطبيعة . ولكن العقول الذكية يحفزها الشوق الى الحقيقة ، لا تخفل بالادوات . وأصحابها يلاقون ويالات السياسة وشدائد الاضطهاد بنغور باسمه وقلوب مطمئنة

لقد قرب موعد الاحتفال باكتساح الفرنسيين لمعقل الباستيل . وفي مدينة برمنغهام الانكليزية حفنة من احرار المفكرين يعدون المعدات للاحتفال بعيد الحرية العظيم . فيجتمعون في هدوء ودعة ومن دون طبول او مشاعيل ، في دار معينة من دور المدينة . بين هؤلاء الاحرار ، قس يدعى جون پرستلي ، انضم الى اخوانه ليحيي معهم ذكرى يوم خلده التاريخ علماً على تحرير امة ، تربطه بها رابطة الجوار والانسانية

هوذا يوم ١٤ يوليوسنة ١٧٩١ وخارج الدار فارسان ومن ورأهما جمهور قلق صاحب . هوذا احد الفارسين يقرأ وثيقة اعدّها احد مندوبي الملك : — « ان فريق הפרسبتيان (شعبة من البروتستانت) ينوي ان يشور . فهم يدبرون الوسائل لحرق الكنيسة . ونسف البرلمان . ان قصدهم ان يشعروا في البلاد نيران ثورة كشورة فرنسا . سوف يقطعون رأس الملك ويلحقونه امامكم . لعنهم الله . فغرضهم التنكيل بنا . فلنسحقهم قبل فوات الاوان » . وما زددت في الجمهور الصاحب اصداء الملك والكنيسة حتى شب عن الطوق . واذا الفارسان رقبان في جذل مبلغ نجاحهما في استثارة الجمهور ، اندلعت السنة الاله من دار جون پرستلي كان پرستلي جريئاً في تأييده لكل قضية اقتنع بصحتها . وكانت الجمهورية الفرنسية الفتية قد انعمت عليه بلباب مجدها لما منحتة رعويتها الفخرية ، على اثر الرد اللاذع الذي وجهه الى برك الكاتب والخطيب السياسي الانكليزي لما تهجم هذا على الجمهورية الفرنسية وتنقصها . هجم الجمهور الثائر على دار پرستلي وسدد خطواته الى مكتبته فزق كتبه وحرق مخطوطاته



ودمر كل ادواته العلمية تدميراً . ثم انقلب الى دار الدكتور وذرغ Withering وغيره من اصحاب بريستي حتى اضطر فريق منهم ان يكتب على عتبات دورهم «لسنا فلاسفة» لينجوا من ويلات الشعب . ولكن ذلك كله لم يكف الشعب الهائج . فانكفاً يطلب رأس بريستي ودمه . على ان القس كان قد فرّ الى لندن . ولكن الشعب في برمنغهام دام ثلاثة ايام بلباها ، يشير نيرانه طائفة من رجال الملك جورج الثالث اذ ظنوا ان هذا هو السبيل السوي لارهاب اصدقاء الحرية كان بريستي في برمنغهام ، قبل فراره الى لندن ، عضواً في جماعة علمية فلسفية تدعى « الجمعية القمرية » لانها جرت على تناول العشاء مرة كل شهر اذ يكون القمر بدرأ ، لكي يسهل على اعضائها العودة الى دورهم في ظلام الليل . وكان من اعضائها اراسموس دارون جد دارون العظيم ووط المهندس الاسكتلندي وصانع اول آلة بخارية متقنة . وكانت مباحث الاعضاء تدور حول موضوعات العلم والادب والسياسة . فلما جاء لندن شعر بألم الوحدة ، لان معظم اعضاء الجمعية الملكية كانوا يتجنبونه لاسباب دينية او سياسية . فاستقال من الجمعية ، وفي نفسه مضى وحرقة . وقد كانت مقاطعته فيها اشبه شيء بما فعلته الجمعيات الكيماوية الالمانية في الحرب الكبرى اذ شطبت من قوائم اعضائها الاجانب اسماء اعظم الكيماويين البريطانيين . الى هذا الحد يبلغ جنون الناس ، حتى العلماء منهم في ازمنة الشدائد واذ كانت مقاطعة الاورن الفرنسية تكرم بريستي ، ابن الصواف الانكليزي ، بانتخابه عضواً عنها في الجمعية التأسيسية ، اقام هو قضية على مدينة برمنغهام ، طالب فيها بتعويض قدره اربعة آلاف من الجنيهات . فكتب الملك جورج الثالث الى احد وزرائه : « سرتي ان بريستي عوقب عن المبادئ والتعاليم التي يذيعها . ولكنني لاسلم بالوسائل التي استعملها الجمهور للاغراب عن احتقاره له » وعرضت القضية على المحلفين ففاز فيها بريستي ، وتفرغ بعد ذلك للبحث العلمي

### القس يصبح عالماً

ولد بريستي في ١٣ مارس سنة ١٧٣٣ في فيلدهد على مقربة من مدينة ليدز بانكلترا . وكان والده من اتباع كلفن فاعداً ولدهما ليكون قسيساً . فلما تقدّم للرئاسة رُفِضَ للآراء التي اعلنها في موضوع الخطيئة الاولى والعقاب الأبدي . ولكن لما كان بلغ الثانية والعشرين عين قسيساً لكنيسة صغيرة في صفوك « Suffolk » وجعل مرتبته ثلاثين جنيهاً في السنة . وكان يمقت التعليم . ولكن راتبه الضئيل حتم عليه ان يعلم . فكان يدرس في مدرسة بين الساعة السابعة صباحاً والساعة الرابعة بعد الظهر . وكان يعطي دروساً خاصة بين الساعة الرابعة مساءً والساعة السابعة . ثم في اوقات فراغه كان يعنى بوضع كتاب في قواعد اللغة الانكليزية . وكان مماساً بلغات عديدة منها — عدا لغة بلاده — الفرنسية والايطالية والالمانية والعربية والسريانية —



فلما عهد اليه بعيد ذلك في تدريس اللغات في ا카데미ه انشأها بعض المنشقين من احرار الدين  
 حضر خطباً في مبادئ الكيمياء ودرس التشریح زمناً وحاول ان يلقي فيه سلسلة من المحاضرات  
 فلما كان في الرابعة والثلاثين من عمره عين قسيساً لكنيسة مبلّ هل في مدينة ليدز .  
 هذا الرجل الفقير ، المكافح في سبيل العيش المنبوذ من المجتمع لآرائه الدينية ، المصاب  
 بعاهة في النطق شبيهة بعاهة ديموستينيس ، كان يحدّ وقتاً بين الاكباب على عمله الديني  
 والتأمل في ما وراء الطبيعة ، للنظر في شؤون الدنيا . وفي احدى زياراته لمدينة لندن اجتمع  
 بينامين فرنكلن ، فخرّك فيه هذا الاجتماع شوقاً للبحث في موضوع الكهرباء فعمل على  
 وضع كتاب في تاريخ الموضوع . فكان ذلك بدء سيرته كعالم . قال : «وبدا لي في خلال  
 كتابة هذا التاريخ ان احاول تحقيق بعض الاقوال المختلف فيها وهذا قادني رويداً رويداً الى  
 ميدان رحيب من التجارب المبتكرة فلم امسك عن اتفاق كل ما استطعته في سبيلها»

### مكتشفاته الاولى

يرتدّ جانب كبير من شهرة بريستلي الى مصنع الجعة الذي كانت على مقربة من داره في  
 ليدز . كان يقضي وقت فراغه في هذا المصنع يبحث في فقايع الغاز الذي يتولد في اثناء صنع  
 الجعة . فكان يشعل كسراً من الخشب ثم يقربها من فقايع هذا الغاز الذي لا لون له ، اذ تنفجر  
 فوق براميل الجعة . كان ذلك العمل غريباً في حدّ ذاته . فكيف به اذا صدر من قسّ ورع  
 لذلك كان عمال المصنع يهزون رؤوسهم استغراباً وسخرية اذ يرونه مكبّاً فوق البراميل في  
 حرّ الصيف الخناق . ولكنه لم يحفل بهم . كانت معرفته الكيماوية نيرة . ولكنه كان  
 شديد الملاحظة . فلاحظ ان هذا الغاز يطفئ الكسر الخشبية المشتعلة . فظنّ انه «الهواء  
 الثابت» Fixed air الذي حضّره تاجر الخمر الاسكتلندي جوزف بلاك ، قبل ذلك بخمس  
 عشرة سنة ، باحساء حجر الجير في خلال بحثه عن دواء ناجع في اصداق القواقع ، وهي الاصداف  
 التي شفت رئيس وزراء انكلترا ، ولپول Walpole من داء النقرس . فهل هذا الغاز يساعد من  
 براميل الجعة هو الغاز الذي يخرج من اصداق القواقع ويشفي من النقرس ، ولما كان من المتعذّر  
 عليه ان يحصل على قدر كافٍ من هذا الغاز في مصنع الجعة حاول ان يحضّره في داره . ثم حاول  
 ان يحلّه في الماء . فوجد ان حله في الماء ليس بالامر السهل . ولكن قليلاً منه يتحد بالماء ،  
 فيجعلهُ فوّاراً يصعب التفريق بينهُ وبين ماء سلتر او ماء پريه . وتقدم الى الجمعية  
 الملكية فانباها باكتشاف ما يعرف الآن «بماء الصودا» الذي يشرب مع الوسكي  
 ويحلّ فيه قليل من السكر وحامض الليمون فيصبح «كازوزه» . فاعجبت الجمعية بقوله ، وطلبت  
 اليه ان يعيد تجاربه امام «كلية الاطباء» فمرّ بهذه الفرصة التي اتاحت له فاغتنمها ، فلما امرّ



الغاز في الماء طلب الى بعض الحاضرين ان يذوقوا المحلول ، فدهشوا ، واقترحوا على امراء البحرية البريطانية استعماله لمعالجة الاستقربوط . ومنح بريستي المدايلة الذهبية جزاء له على هذا الاكتشاف وانكفأ بريستي الى داره يجرب تجارب كياوية اخرى . فحاول ان يحمي ملح الطعام مع زيت الزاج او الحامض الكبريتيك ، فحضر مركباً كياوياً عجز عن تحضيره من سبقه في هذه المحاولة . ذلك انه جمع الغاز الخارج من هذين المركبين تحت ناقوس من الزجاج اسفله مغموس في الزئبق . ثم حاول ان يحل هذا الغاز في الماء ، فوجد الماء شديد الاتحاد به لذلك عجز عن تحضيره سابقوه . فانهم حاولوا ان يحضروه تحت ناقوس اسفله مغمور بالماء فكان الماء يمتصه . ولما حله بريستي في الماء اكتشف الحامض الايدروكلوريك المستعمل الآن في صناعة الفراء والجلاتين وفي تنظيف الاواني المعدنية

كذلك تم لاحد هواة العلم ان ينفج العالم بركيين كياويين من اشهر مركباته المعروفة . وكانت رعية القس بريستي تحبسها عناية راعيها بالاناييب والاناييب . فكانه كان يعبد الهتين على مذبحين مختلفين . فارتفعت همسات الاستفهام حتى اصبحت كزجاجة التذمر . ولكن بريستي كان مشغولاً عن ذلك بمباحثه الفتنانة فلم يسمع ما يقال . فانه بعد احماء ملح الطعام وزيت الزاج ، تحول الى ماء الامونيا يحميه ، فخرج منه غاز ثالث لا لون له ، فجمعه كسابقه تحت ناقوس من الزجاج اسفله مغمور بالزئبق . وكان لهذا الغاز رائحة خاصة حريفة . وملأت بجرة الغاز غرفته وهو مكب فوق الموقد يذكي النار . فكان في تجاربه تلك يستخرج للناس المعارف الدقيقة الاولى عن صفات غاز الامونيا النقي — الذي استعمل في العصر الحديث في صناعة التبريد والتثليج Refrigeration . كانت الابجرة قد احاطت به من كل جهة فاحس بحرقه بعينه ، وبدموعه منهمة ، وشم سكان الدار رائحتها الحريفة ، فغادروا المنزل الى الخلاء . ولكن ذلك لم يزعجه . ثم جمع بين غاز الامونيا وغاز كلوريد الايدروجين فدهش لما رأى غيمة رمادية قد تكونت من التقاء الغازين ثم جعلت ترسب مسحوقاً أبيض اللون . هنا تفاعل كياوي عنيف . فالغازان الحريقان قد اتحدا فولدا مسحوقاً أبيض هو كلوريد الامونيا المستعمل في البطريات الكهربائية الجافة

كذلك اتبح للقس بريستي ، ان ينفج العلم ، في خلال بضع سنوات بطائفة من المكتشفات الخطيرة . وهذا شجعه على اتفاق كل ما يستطيع اتفاده من الوقت في معمله المرتجل . فآيات الكيمياء ملكت لبه واذ مضى في التبشير بكلمة الله ، أخذت دوائر العلم تتسقط انباء القس الكياوي . وما لبث حتى دعي الى مرافقة الرائد كوك المشهور في رحلته الى البحار الجنوبية فأغرته الدعوة وكان على وشك القبول ، اذ اعترض على ضمه الى البعثة قس آخر ، لاختلافهما في الآراء الدينية ، فتحلف بريستي وأتم التجربة العظيمة التي اسبغت على اسمه ذكراً خالداً



## التجربة الكبرى

كان بريستي في خلال تجاربه المختلفة بالغازات قد اصبح بارعاً في تحضيرها وجمعها. فقد كان الباحثون قبله يحاولون جمع الغازات بعد تحضيرها في اكياس شبيهة بكيس الباون. وكانت هذه الطريقة صعبة التناول عقيمة لان مادة الكيس كانت غير شفافة فلا يستطيع الباحث ان يرى بعينه ما يحدث داخل الكيس. أما بريستي فاستنبط الطرق المستعملة الآن. اخذ زجاجة ذات فتحة واسعة وملاها زئبقاً ثم قلبها فامسأ فتحتها في حوض من الزئبق. ثم وصل بين مولد الغاز والزجاجة بانبوب حتى اذا تولد الغاز انتقل في الانبوب ودخل منه في فتحة الزجاجة وتجمع فيها فوق مستوى الزئبق. فاذا كان الغاز لا ينحل في الماء، استبدل بالزئبق ماء. ففي هذه الناحية من البحث ابداع بريستي اسلوباً جديداً

وكان بريستي قد احمى طائفة متنوعة من الجوامد في لهب اتونيه. فحاول بعد ما تقدم ان يجمعها بجمع اشعة الشمس عليها بواسطة عدسة محدبة. وكان قد جرب هذه الطريقة فتمكن من حرق الخشب بها. فابتاع عدسة محدبة قطرها قدم وأخذ يستعملها في صب اشعة الشمس بواسطتها على جوامد مختلفة. فكان يضع الجسم الذي يريد توجيه الشمس اليه في ناقوس من الزجاج والعدسة خارجه لجمع اشعة الشمس عليه. ثم وصل بين الناقوس الذي يتضمن الجسم وزجاجة مصنوعة على طريقته لجمع الغاز، كما تقدم، بانبوب، حتى اذا خرج من الجسم الصلب غازاً تمكن من جمعه ودرس خواصه

بهذه الطريقة المبتدعة حاول في يوم اول اغسطس (كان يوم احمر) سنة ١٧٧٤ أن يستخرج الهواء من مركب يعرف بـ *Mercurus Calcinatus Per se* وهو مسحوق أحمر كان معروفاً لجابر بن حيان، باحائه في الهواء فلم يلبث حتى وجد ان الهواء يخرج منه بسهولة ولكن ذلك لم يكن أمراً عجيماً. فالباحثون كانوا قد سبقوه الى استخراج الغازات من الجوامد — إك في سلزباخ بالمانيا قبل ٣٠٠ سنة واسطفان هالز الهولندي وروبرت بويل الانكليزي وشيل السويدي — وكلهم كانوا قد سبقوه الى استخراج الغازات من الجوامد باحائها. ولكن بريستي في عمله هذا كان يختلف عن اولئك الرواد !

كان على مقربة من بريستي في معمله شمعة مضاءة. فلما تجمع لديه قليل من الغاز سأل نفسه: « ترى اي أثر لهذا الغاز في لهيب الشمعة ؟ » وللإجابة عنه اخذ الشمعة ووضعها داخل الناقوس الزجاجي الذي يحتوي على الغاز. فلم تنطفئ الشمعة. بل على الضد من ذلك تألقت ولعت. ففسر بما رأى ولكنه تحير في تعليقه. وأخذ جرة من الفحم ووضعها في الناقوس فرآها تتطاير شرراً. وبعد قليل رأى الجرة قد تلاشت فدهش. ثم اخذ سلكاً



من الحديد وأحماء حتى درجة الحمرة وأدخله في الناقوس فتألق السلك كأن به روحاً تنفخ فيه. فكاد لدهشته لا يدري أنام هو او مستيقظ

ان ادخال تلك الشمعة المضأة في ناقوس الغاز ، كان ايذاناً بانقلاب عظيم في علم الكيمياء . ولكن بريستلي حينئذ ما كان يدري طبيعة « الهواء » الذي اخرج من ملح الذئبق . وكان من اتباع مذهب « الفلوجستن » فحسب ان ذلك « الهواء » ليس الا مركباً من الفلوجستن والتراب والحامض النتريك — ولكن ذلك « الهواء » كان غاز عنصر الاكسجين ، الذي لا مندوحة عنه لكل حي على سطح الارض

كان الهواء الذي تنفسه ، في رأي علماء ذلك العصر ، مادة بسيطة ، او عنصراً من العناصر ، كالذهب والذئبق . وكان بريستلي قد تخيل ان البراكين قد ولدت الهواء بنفسها غازات كانت قابلة للالتهاب في البدء ثم فقدت قابليتها للالتهاب بفعل الماء ثم تنقت وتصفنت بفعل النباتات . وخلص من ذلك الى القول بأن عالم النبات هو وسيلة الطبيعة لتنقية الهواء . ذلك انه اذا وضعت نباتاً في غرفة مقفلة فسد جوها بتنفس الحيوان والانسان او باضاعة شموع فيها ولا يلبث هواء الغرفة حتى يصبح صالحاً للتنفس . وعاليل هذه المشاهدة الصائبة بقوله ان الفلوجستن اذا اضيف الى الهواء باضاعة الشمعة او بتنفس الحيوان امتصته النباتات فتنتقى الهواء . على ان الطبيب دانيال رذرفورد ، الذي كان يشغل منصب استاذ النبات في جامعة ادنبره ، في ذلك العصر ، اكتشف مادتين من مواد الهواء وتمكن من ان يستخرج من الهواء مقداراً من الحامض الكربونيك ، يجعل ماء الجير ان يمتصه فتحول من ماء صاف الى سائل لبنى — والتعليل الكيميائي لذلك ان اكسيد الكربون الثاني يتحد بالجير فيولد كربونات الجير وهي راسب ابيض ناعم يجعل السائل لبنياً — ثم وضع حيواناً في غرفة محكمة القفل وجعله يتنفس فيها بعد استخراج اكسيد الكربون الثاني منه ، فوجد ان ما يبقى من الهواء نحو اربعة اخماسه وهو غاز لا فعل كيميائي له . هذا الغاز اطلق عليه شابتال Chaptal اسم تروجين لوجوده في النترات . وكان بريستلي قد قرأ عن هذه التجارب فاحمى قطعة من الرصاص في الهواء وجلس يراقبها وهي تحمر رويداً رويداً فتحوّلت الى مسحوق احمر فعالجها كما عالج ملح الزئبق من قبل . فقفز فرحاً اذ بدت له النتيجة . ذلك ان الغاز الذي خرج من ملح الزئبق خرج كذلك من ملح الرصاص . فتأكد الظن الذي كان يخالجه وهو ان هذا الغاز — الاكسجين كما دعي بعدئذ — الذي خرج من الملحيّن انما جاء اولاً من الهواء

### الاكسجين والحياة

وفي ٨ مارس سنة ١٧٧٥ بدأ هذا القس\* الحر\* المفتون بالبحث العلمي تجربة غريبة في قصر لورد شلبرن Shelburne في بوود Bowood . كان في الليلة السابقة قد نصب للقرآن الفاخراً



يستطيع ان يستخرجها منها حيّة . ولكن اي شأن لمعلم العقول ومهذب النفوس بالفئران ! انه يرى فيها جلاء السر الغامض الذي يحير لبته . ثم اخذ وعائين زجاجيين متماثلين ووضع في احدهما الغاز الخارج من الرئتين والرصاص - الاكسجين - وفي الاخرى الهواء العادي ثم وضعهما في فائين من الماء بحيث يغمر الماء حافتيهما السفليتين . وفي اليوم التالي امسك باحد الفئران من عنقه وادخله في الوعاء المحتوي على الهواء ووضعته على منصة مرتفعة فوق الماء حتى لا يغرق . واخذ فأراً آخر ووضعته بالطريقة نفسها في الوعاء المحتوي على الاكسجين

وجلس بريستلي على كرسي امام الوعائين ، يعزف بالزمار وهو يراقب الفأرين في داخل الوعائين من دون ان يعلم الى متى يدوم انتظاره . ولكنه وقف عن العزف فجأة اذ رأى الفأر الذي في الوعاء المحتوي على الهواء قد بدا عليه الضعف والاعياء . فرمى المزمار جانباً واخذ ساعته بيده فلم يمض ربع ساعة حتى سكن الفأر بعد ما فقد الشعور . فاسرع بريستلي واخرجه من الوعاء ولكن الامر كان قد قضى وانطفأت شمعة الحياة في الفأر . فالتفت حينئذ الى الفأر الآخر في الوعاء المحتوي على الاكسجين . فاذا هو لا يزال يتحرك تحركاً طبيعياً وليس يبدو عليه اي اشارة من امائر الاعياء . ومضت عشر دقائق وبريستلي يلازمه بنظره . لقد بدت علامات الضعف عليه ، فهو خامل بطيء الحركة . فيسرع اليه بريستلي ويخرجه منه وهو بحسبه ميتاً . ولكن قلبه لا يزال ينبض نبضاً ضعيفاً ، فيقربه من النار ليدفئ جسمه البارد فلا تنفسي بضع دقائق حتى تعود الحياء تدب في عروقه . فيطير بريستلي فرحاً ودهشة . والفأر الثاني قضى في الوعاء نصف ساعة قبلما بدت عليه اعراض الاعياء في حين ان الاول مات في نحو ربع ساعة

ما لتعليل ذلك ، فهل الاكسجين انقى من الهواء العادي ، او هل يحتوي الهواء العادي على مادة قاتلة للحياة . او لعل ما حدث اتفاق لا يجوز الحكم عليه ؟ لم يغمض لبريستلي في تلك الليلة جفن ، وهو يفكر في مسألة الفأرين والاكسجين . وخلص الى وجوب اعادة التجارب ليتثبت من صحة ما رأى وانه عام شامل للفئران جميعاً . وهذه التجارب أفنعت بقاء الاكسجين وفائدته . ولو شاء لوقف في تجاربه عند هذا الحد . ولكنه كان عالماً مطبوعاً فزم ان يجري التجربة نفسها عليه . فاستنشق قليلاً من الاكسجين فاحس ان تنفسه خفيف . قال : شعرت ان تنفسي ظل خفيفاً برهة بعد التجربة . ومن يدري ان هذا الهواء النقي لا يصبح في المستقبل من المواد الكيماوية المطبوبة فلم يجربه حتى الآن احد غيري وغير الفئران . كذلك رأى بريستلي حينئذ بعين الخيال استعمال هذا « الهواء النقي » قال : « وقد ثبت ان الرئتين تحتاجان اليه في بعض الامراض » ونحن نعلم الآن ان الاكسجين يستعمل في اصابات النزلة الصدرية اذ يحتمن جانب من الرئتين ويصبح ما بقي منها سليماً ، غير



كاف لحاجة التنفس . ثم ان رجال مكافحة الحريق حيث تكثر الغازات الخائفة وطوائف رجال الانقاذ الذين يدخلون المناجم ، والطيارين الذين يحلقون الى مرتفعات قصية ، يحملون اسطوانات تحتوي على غاز الاكسجين لاستعماله لدى الحاجة اليه

رأى بريستلي هذا قبل قرن ونصف قرن . ولكنه رأى كذلك ان استعمال الاكسجين بدلاً من الهواء ، من دون ضابط قد يفضي الى الخطر قال ، ما معناه : كما تحرق الشمعة في الاكسجين اسرع مما تحترق في الهواء كذلك اذا تنشقنا الاكسجين بدلاً من الهواء فقد تنقضي حياتنا اسرع مما تنقضي لو تنشقنا الهواء وحده

ومضى المكتشف في امتحان تقاوة الغاز الذي اكتشفه . فخطر له في اثناء ذلك خاطر عملي اذا رأى في استعمال الاكسجين وسيلة لزيادة قوة النار بجعل الوقود تشتعل بالاكسجين بدلاً من ان تشتعل بالهواء . وحرب هذه التجربة بمشهد من صديقه مجلان سليل الرأى المشهور . از اخذ كيساً من الرق وملاه اوكسجيناً ثم جعل يضغط على الكيس فيخرج الاكسجين من فتحته ويهب فوق قطعة مشتعلة من الخشب . فيتحول لهيبها الضئيل الى لهيب متأجج . في هذه التجربة جرثومة الاستنباط الحديث الذي يستعمل في لحام الفلزات . وفي هذا السبيل فقط يستعمل الف مليون قدم مكعبة من الاكسجين كل سنة

\*\*\*

كان لورد شلبورن قد منح بريستلي معاشاً سنوياً قدره ٢٥٠ جنياً وبيتاً صيفياً في كالن وآخر شتوياً في لندن على ان يبقى ملازماً له مديراً لمكتبه ورفيقاً ادبياً له . ودامت هذه الصلة ثمانى سنوات اتم بريستلي في خلالها اتم تجاربه . فلما سافر لورد شلبورن لزيارة بلدان اوربا صحبه بريستلي وفي باريس عرفه مجلان بلافوازيه اشهر كيمائي فرنسا . وفي معمل لافوازيه بسط بريستلي امام جماعة من الفلاسفة الطبيعيين اشهر النتائج التي وصل اليها . واذا كان يتناول طعام العشاء مع لافوازيه لم يخف شيئاً عنه وهو لا يدري حينئذ الى اي انقلاب في الكيمياء سوف تقضي هذه الحقائق على يد مضيفه . فاصغى لافوازيه الى كل كلمة قالها ولما خرج الانكليزي اسرع الفرنسي الى معمله ، واشعل ناره واعاد تجارب القيس العالم

كان الصينيون قد ذكروا شيئاً في الهواء يدعى « ين » يتحد بالكبريت وبعض الفلزات وكان ليوناردو ده فنشي ذلك العبقرى الايطالى المتعدد النواحي قد كتب في القرن الخامس عشر ان الهواء مركب من مادتين . ولكن بريستلي استخرج بسحر كيميائه الاكسجين الذي لا يرى من الهواء ، وبذلك كان اول من حل مشكلة تركيب الهواء حلاً علمياً ، واثبت وجود اكثر العناصر وجوداً في الارض وما عليها . ان مشكلة تركيب الهواء ، حالت دون تقدم الكيمياء قروناً خلفها هذا الرجل الذي يتمثل فيه النشاط العقلي في عصره . في نظر



هذا التأثير على الكنيسة المؤيد للاحرار . كانت الكيمياء عنده تسليية لتخضية اوقات الفراغ .  
فقدته هذه التسليية الى حل مشكلة من اعقد مشكلات الكيمياء والكيمياء الحديثة في مهدها  
كان اكتشاف بريستي للاكسجين حداً من الحدود الفاصلة في تاريخ الكيمياء  
في اول اغسطس سنة ١٨٧٤ احتفل بمدينة برمنغهام بانقضاء مائة سنة على هذا الاكتشاف  
العظيم فازيح الستار عن تمثال بريستي . وعلى نحو ثلاثة آلاف ميل من برمنغهام اجتمعت طائفة  
من الكيماويين الاميركيين في مقبرة ببلدة نورمبرلند بولاية بنسلفانيا وارسلت برقية من  
هناك الى المحتفلين ببرمنغهام . ذلك ان بريستي مات ودفن في اميركا !

مجر بلاده لانه عاد في آخر حياته لا يطبق المعيشة فيها . فالصحافة كانت تكيل له الطعن  
وبرك الخطيب والكاتب السياسي تهجم عليه في مجلس العموم لانه اتد قضية الجمهورية  
الفرنسية ثم جعل اصدقاؤه في العلم يتجنبونه . ففضل وهو في الستين من العمر الهجرة الى  
اميركا . فدخل نيويورك فدخل فأتى عظيم . واستقبله في مرفأها حاكم الولاية ومندوب جامعة  
كولومبيا . وارسلت اليه جمعية تاماني السياسية بعثة قال خطيبها في ترحيبه « ان اسلافنا  
الاكرام هجروا كما هجرت فراراً من اضطهاد التعصب والاستبداد . لقد فرت من ذراع العنف  
الغاشمة ، من لهب التعصب ، وسوف تجد ملجأ في صدر الحرية والسلام والاميركيين » . وقد  
اكرمت اميركا امة وافراداً فدعاه فرنكن للاقامة في فيلادلفيا وطلبت اليه جامعة بنسلفانيا  
ان يتولى منصب استاذ الكيمياء فيها . ولكنه فضل حياة السكينة في بلدة نورمبرلند ولم  
يغادرها الا ليقرا بعض رسائله العلمية في الجمعية الاميركية الفلسفية بفيلادلفيا ويتناول الشاي  
مع جورج وشنطون . وفي آخر سنة ١٧٩٧ تم بناء معمله الخاص بالتجارب الكيميائية وفيه  
اكتشف غاز اكسيد الكربون الاول

\*\*\*

في الساعة الثامنة من يوم الاثنين في ٦ فبراير سنة ١٨٠٤ كان القس الشيخ في سريره وهو  
يعلم ان حفته قد دنا . فطلب ثلاث رسائل كان قد اشتغل باعدادها ، فعاد النظر فيها واملى  
على كاتبه ما يريد من التعديل فيها . ثم طلب اليه ان يعيد ما طلبه منه ففعل فتجههم وجهه  
قليلاً وقال : « لقد كتبت ما املتته عليك بأسلوبك . وانا اريده بأسلوبي » ثم اعاد تعليماته كلمة  
كلمة فلما قرئت عليه ثانية اكتفى وقال « انتهت الآن » وبعد نصف ساعة اسلم الروح  
ولقد احتفل كيماويو اميركا منذ بضع سنوات بجعل داره في نورمبرلند تذكاراً دائماً لهذا  
الرجل العظيم . واقاموا الى جانبه متحفاً جمعوا فيه كل الادوات التي استعملها في تجاربه . وبينها  
احد الاوعية الزجاجية التي استعملها في تجربة الفتران ، خل بذلك مشكلة تركيب الهواء  
وكتب اسمه بين الخالدين من رجال الكيمياء



# الصحراء

لاحمد محمد حسنين بك

افتتح المجمع المصري للثقافة العلمية مؤتمره السنوي  
الرابع في ١٢ مارس برئاسة احمد محمد حسنين بك الرحلة  
المصري المشهور والامين الاول لحضرة صاحب الجلالة الملك  
فالق محاضرة فقيسة في الصحراء آثرنا نشرها في ما يلي :

سادتي : طلب اليّ ان اتكلم في بحث علمي . والبحث العلمي الوحيد الذي اظنني استطيع  
ان اتكلم فيه هو الصحراء . لكن الجانب العلمي والفني في الصحراء ضمنته كتابي ، فلا محل  
لاعاداته .. ولما كان في قوانين هذا المجمع الموقر ان عضوه يجب ان يلقي كل سنتين محاضرة  
ما والا فامامه الباب مفتوح ، ولما كنت احرص غاية الحرص على بقاء عضويتي فيه ، لذلك لم يسعني  
الا ان اتحدث اليكم في جانب غير علمي من جوانب الصحراء : وشيء اهون من شيء على اي حال  
فكرت اذن في ان اتحدث اليكم عن الناحية النفسية لرحلة اعزكم القيام برحلة صحراوية  
طويلة من اجل الكشف . فبينما هو يقوم برحلته العلمية اذا به يقوم - في وقت واحد برحلة  
نفسية . ولرحلة النفس كما لرحلة العلم مراحل ، وتلك هي التي احاول ان احدثكم عنها  
سادتي : ان شق الصحراء شيء صعب . وكشف مجاهلها شيء اصعب . يعلم الرحالة هذا كله  
فلن اذن ما هو صانع . ها هوذا في شغل شاغل يفكر ويكتب ويعمل . يفكر في النواحي الكثيرة  
التي تستلزمها احتياجاته العديدة ، في رحلة تستغرق بضعة شهور ينقطع فيها عن هذا العالم المدني  
الذي نعيش فيه . ويدون كل ما ينتهي اليه من المعارف عن جانب مجهول من جوانب الصحراء .  
ثم يأخذ في جمع ما يعوزه من زاد وشراب ومتاع . وهو حاضر الذهن . يقدر لكل شيء  
سببه . فهو يحرص على ان تكون عدته جميعاً في نحو بسيط ، كثير النفع ، هين الحمل .  
يجمع طعامه ، الضروري منه والكمالي ، لا يفوته ان يختزن حتى بضعة صناديق من الحلوى .  
فتلك الكماليات الشهية لا يستطيع ان يجدها في الصحراء . فاذا توفرت له كانت سبباً من  
اسباب رغبته . يجمع عناصر فنه : ادوات الهندسة والمقاييس والرصد والحساب . تلك العناصر  
العلمية التي يعتمد في نجاحه على متانة بنائها ، ودقة ادائها لوظائفها . يعد الماء الكثير . ينتقي  
الابل الشداد . يختار الرجال البواسل ، ولا سيما الدليل ، فهو مصباح القافلة . يمتحن الخيام



المرجحة . ما اشدّه زهواً بخيمته الظرفية . هي بيت العلم والقوة والفن . يهيّ ادوات الدفاع عن النفس ، وصد غارة المغيرين . فهذه بنادق صائبة المرمى . ومسدسات دقيقة الصنع . وهذا رصاص يأكل الاحشاء . وهذه سيوف قاطعة لوامع وخناجر تحرق الصخر . يضيف الى ذلك كله ما يعوزه من الادوية الناجعة ، التي يسهل استعمالها ويصدق أثرها ، ولا سيما ما يختصّ منها بامراض المناطق الحارة ، وما يشكو منه اهل الصحراء

ترون الآن ان رحالتنا اعدّته جميعاً . وها نحن اولاء زاه يتخيل ويخال . يستعرض في ذهنه صوراً حسناً . فساعة يرى صورة تلك القافلة الزاخرة ، وهي تشقّ سبيلها الرملي ، فثانة المظهر ، مترنة الخطى ، يعاين نسيم الصحراء الراقص ما زينها من رجال دقت جلودها ونسج رق حريره . وساعة يرى صورة « معسكره » وقد استقرّ به النوى . فضربت خيامه ، ومرح رجاله ، وهو تحت سماء خيمته البديعة يكتب مذكراته ، او يفكر في غده ، او ينعم بما حمل بما له وطاب ، او يتحكم في الزمن بين ساعاته العديدة التي بين يديه . ياله من حلم سحري . انه ينفق غاية ما يستطيع من جهد ليستكمل عظمة هذا الخيال الذهبي . لتكون قافلته مثلاً اعلى لغيرها من القوافل . وليكون هو مثلاً اعلى لسواه من المستكشفين . ولم لا يصح ذلك وقد تزود من المادة بخير زاد واصلحه . لقد استقرّ سلاحه المادي في يمينه ، فليأتين النجاح اذن عن شماله . أليس هذا منطقاً . كل شيء قد كمل وحسن . اما الطعام ، فقد تزود منه بقدر كثير . اما الماء فقد ملأ به قرباً متينة عدة ، لن تنزّ منها قطرة ماء . اما الدليل ، فقد وفق الى رائد بدوي امين ، يقظ كالصقر ، خبير بالبيد كالحمامة ، لا تخطئ الى صاحبها السبيل . اما الابل فصنفها الطويل منتظم ، تتسمع اذن المسير فتسير . اما الرجال ، فطائعون ، دماؤهم ملك لسيدهم وفداء . اما خيامه فرحبة ، مزودة باسباب الراحة . اذا نصبت في الصحراء ، فهي راسخة كالجبل لا ينال منها عصف الرياح . اما آلاته التي يعرف بها اسرار السماء والارض فهي خير نتاج الذهن البشري في القرن العشرين . لم يعد يعوزه اذن شيء . لقد حرص رحالتنا على ان يحمل معه حتى لباس بدوي انيق . كم اتعبه التأنيق فيه . لقد صنعه من الحرير الاخاذ . طرزه ابداع تطريز . وشاه باجمل وشي اختار له خنجراً فضيلاً . يفتن بني الصحراء . كان يتزين بهذا اللباس اذا اختلى بنفسه وكان يغدو فيه امام المرأة وروح . هذا هو المظهر الذي يطالع به رؤساء القبائل . ولسوف يأتونه ساجدين . فهو كبّس ، يحيد فن السياسة . ولقد حمل معه عدة كتب توصية الى مشايخ القبائل ورؤساء العشائر ، فهو من هذه الناحية يستطيع ان يجذبهم اليه ويفرهم بمبايعته سيداً مطاعاً على اهل الصحراء اجمعين . فاذا لم تجدر السياسة ، ولا حسن القول ولا كتب التوصية فما اهون عليه ان يستعبدهم قسراً ، فهو يلقي في قلوبهم الرعب بما جمع من سلاح . او ليس يحمل من السلاح ما يجهلون . وما لا يستطيعون ان يأتوا بمثله ليس



معه جنده وهم اشداء . او ليس هو ايضاً شجاعاً مقداماً . لقد امن واطمان . اذا أصابه ضر  
عرف كيف يدفعه ، او مسه شر استطاع ان ينجو منه . والضر والشر لن يعرفا اليه سبيلاً ،  
فهو يقظ حريص يقدر لرجله قبل الخطو موضعها . لم يعد اذن في الصحراء ما يخشاه .  
تلاحظون في رحالتكم الآن ثلاثة جوانب نفسية غلبته وتمكنت منه  
اولاً — ايمانه المطلق بقوة المادة

ثانياً — حرصه على ان يستعين بهذه القوة قدر ما يستطيع

ثالثاً — ضمانه النجاح العظيم من هذه الطريق

وهكذا ترون ان صاحبكم يحاول ان يفني في سلطان المادة ، او ان يفني سلطان المادة فيه .  
فالمادة شغله وهمه . مازج اثرها تفكيره . هفا لها قلبه . انتعشت بها نفسه . تأثر بالمادة كل  
شيء فيه . تأثرت حتى مشاعره وحواسه . تأثرت حتى هواجسه وخوابره . تأثر حتى ذوقه  
ومزاجه . فبدا مظهر هذا الاثر جلياً في كل خطوة من خطواته ، وشارة من اشاراته ، وكلمة  
من كلماته . هيمنت المادة على ذاته المعنوية جميعاً . ما الصحراء سوى شيء مادي . فلن يكون  
غزوها بغير سلاح مادي . ولقد اختار لهذا الغزو سلاحاً ماضياً ، يغري شكله بالوثوب ،  
ومقبضه بالطعن ، وحده بوجوب النصر المبين . ما اروع ان يكون اذن فوق بسيط الرمل .  
تم كل شيء . لقد أصبح رب البيد ، وسيد الصحراء

ما اشد رحالتكم زهواً بنفسه . لقد تجمع رجاله حوله خاشعين . وها هو ذا يأخذ بالقلم ،  
وينعم النظر في خريطة صامته بيضاء . تترجم في صمتها وبياضها عن تلك الناحية المجهولة التي لم  
تطأها قدم انسان بعد . على هذه الخريطة يرسم الرحالة خطط سيره ، بيد مطمئنة ثابتة . ماذا في نفس  
الرحالة . انه يهزأ بما اصاب زملاءه السابقين من فشل . اما هو فناجح من غير شك . استطاع  
الصحراء بعد اعداد هذه العدة كلها ان تعترض سبيله . او تجرؤ البيد ان تناهض المادة من  
جانب ، والعزم والعلم من جانب آخر ؟ الا ليت الصحراء تعقل ؟ اذن لعامت ان هذا الرائد  
الجبار قد اعزم واحدة من اثنتين . اما ان يذلها ويدرك غايته ، وأما ان يجود لها بنفسه ،  
فيخولها بذلك نعمة اتساعها لعظامه ، وفخر قبولها اياه هدية خالدة . وفي ذلك شرف للصحراء عظيم  
في هذه المظاهرة النفسية المتصلة ، ، وعن هذه العوامل الباطنية الوثابة ، يرسم الرحالة  
خط طوافه ، وهو مأخوذ بنشوة نصر لا ريب فيه

سادتي . رحالتكم الآن في بداية الطريق ، ما اروع المنظر وابهجه . انه يرى بين يديه شيئاً عجيباً .  
يرى تلك القافلة التي كانت منذ أسابيع حلاًماً ذهبياً ، أصبحت اليوم امراً واقعياً . قافلة زاخرة ،  
تسعى الى غاية ، وتمشي على هدى . كل شيء وفق المنهج الذي رسمه . السير هين . والرمل لين .  
والصحراء مهاد . والابل تحب أمانة . وأحمالها في حرز مكين . ورجالها يطيعونه طاعة المولى



لسيده . اليس له اذن ان يشمخ بانتمه ، كأنه خرق الارض او بلغ الجبال طولاً  
الا ما اجل الصحراء . وأنعم ملمسها . ما أيسر مسجها . ما ألد اللعب عليها . ذات  
الغائل اللانهائية الصفراء

انها صبية طيعة . ظبية الوف . فرعها من ورد . جيدها من ذهب . جبينها من نور .  
النظرة اليها تسي العينين . المشي عليها يأخذ بالالباب . حياتها موسيقى وشعر . سماؤها اغان  
وأحلام . الاقامة فيها كالاقامة في روضة غناء . راضية قنوع . لا ترد قاصداً . لا تخيب ظناً .  
ان صددت اقبلت . وان أقبلت لانت . ضعيفة ذات خفر . في صوتها حنان . في رقها لذة .  
في ملاحظتها فتنة . في اغرائها خمرة تسكر العاشقين

هذه اذن هي الصحراء . فلئن لم يحبته النجاح يسعى فلينزعته من مخبئه انزعاً  
وهكذا يقوى اعتزاز رحالتكم بالمادة ، ويشتمد شعوره بنفسه ، وينمو يقينه في الصحراء .  
انه ليسير كل يوم بضع ساعات في جو مريح . ولذلك فهو مستبشر طروب

أتم رحالتنا مرحلته الاولى . وقد بدأ الآن يغشى « السريرة » . والسريرة هي ذلك  
الشيء المجهول ذو السر الدفين . انه اصطلاح البدو على كل مدى منبسط بين بئر وبئر .  
وقدره غالباً من خمسة وستة ايام الى اثني عشر يوماً او تزيد . فذا يأخذ الرحالة في رود هذه  
المنطقة الموحشة يأخذ في اجتياز مرحلته الثانية . يقضي صاحبنا اول يوم من أيام هذه  
المرحلة . هو يوم مشهود . يوم حافل سعيد . بلغ فيه الزهو بنفسه غايته . هو في ضحى هذا  
اليوم اشد خيلاء بنفسه من قبل . اذ انقطعت صلته بالعالم الخارجي . واستهل الشوط الهام  
من رحلته . ذلك الشوط المجهول الذي لم يسبقه اليه احد . القافلة تسير هائلة . ورحالتنا  
منشرح الصدر . لقد آمن بيسر الصحراء . فهو يتكبر ويتغنى . فبين يديه مادة قوية غلبة .  
ونحت قدميه مركب مهين ذلول . آرون الآن اليه وهو يسخر . هذي هي البيد التي وصفوها  
بأنها طاغية . هذي هي الرمال التي زعموا انها آبار الموت . هذي هي الصحراء التي قالوا انها  
شائكة السبل . ما افكك طوافها . انها مغان ، ومراقص ، ورياض انس ولهو وجمال

فاذا انتهى صاحبنا من سخره بالصحراء بدأ يفكر في شأن رواد الصحراء . فكرة تهتف  
بفكرة . وخاطر ينادي خاطراً . امتلاً رأسه بالخطاطر ، وفض بالافكار . هو مشغول بأمر  
زملانه الفاشلين . يلد له كثيراً ان يذكرهم ، ويستعرض سيرهم ، ويحاول ان يقضي فيهم قضاء  
الحق . انهم من قبل ومن بعد ، عجرة ضعاف . انهم ، اولا وآخرأ ، ضحايا العجز والضعف .  
فاذا انتهى بهم الى هذا الحظ التعس . وقضى فيهم ذلك القضاء الاليم ، شعر بشيء من راحة  
النفس ، ونفت عيناه بشيء من العجب . صحيح انه يرثي لهم . لكنه في شعوره بذلك يملكه  
شعور آخر اشد منه عنفاً ، ذلك هو شعور الدل والتجني . ولعل هذا الشعور الآن هو



مبعث تلك الابتسامة الراقصة على شفثيه . هي ابتسامة سخر ، فيها تبه ، وفيها اعتداد كبير بالنفس . غير انه لازم عليه — على اي حال — ان يستخلص من هذه النواحي جميعاً نتيجة ، يرتب لها اثرها بنفسه ومنطقه ، كما مهد لها اسبابها بنفسه ومنطقه . وها هو ذا يذهب ، كأنه متشرع الى ان يقرر ان طريق النشل وأثره ، انما سرهما في ضعف المادة ، او في عدم استكمال عدتها كما يجب ان تستكمل لرحلة الصحراء . فلئن ضل في الصحراء جوارب ، او فشل مستكشف ، فذلك فقط لقلّة خبرته بزيادة طوافها المادي . ولئن كان اولئك الجوّابون الضالّون ، والمستكشفون الفاشلون ، قد تزودوا بمثل زاده ، لما ضلّ ممن ضلّ احد ، او فشل ممن فشل احد

قضى صاحبكم ست ساعات وهو يسير . ما زال يمجّد نفسه حتى لكان هذا الفضاء على رحبه يكاد لا يسهه ، وكأن الارض لا تحمل سواه . وقد اعترّم ان يسير اليوم كله على قدميه ، ليلقي بذلك على رجاله درساً مجيداً في الصبر والجلد ، وما الى ذلك من صفات البطولة . غير ان مفاجأة لم يكن ليحسب لها حساباً قد حولته من طريق الى طريق . فعجباً حاول ان يمضي في السير على قدميه . فقد اوجعهما النعل البدوي . ذلك النعل الخشن الذي لم يألفه من قبل . تسرّب الى نفسه شيء من الضيق . فقد ادعى النعل قدميه . او اصابتهما منه ثغور . ليمتطّر اذن جملة . بدأ يتأفف . لا يلبث بعد حين ان يملّ ظهر الجمل . ما اقبح المطي . احب اليه ان يسير على قدميه الداميتين من ان ينزل فوق جمل بطيء يمشي بسرعة اربعة كيلو مترات في الساعة . يجيء وقت الغداء . فيكون غداؤده البلح الجاف ، كالخشف البالي . لا طهي اذن ولا شواء اذ لا سبيل الى ذلك والركب يسير . ثم انه من تقاليد القافلة ان ناسها جميعاً يأكلون صنفاً واحداً ، لا فرق فيهم بين سيد ومسود او كبير وصغير . البلح الجاف اذن ، هو طعامه السائغ الشهوي . يندّ جمل فيختلّ نظام القافلة ، وتصبعب اعادتها الى سيرتها الاولى . تندّ جمال آخر فتقذف ما عليها ويسوء الامر . فن صناديق تهشم ، الى زاد يتلف ، الى جهد كبير ينفق في سبيل لم الشعث من جديد . يتخابط جملان ، فتصطك القرب بعضها ببعض . تتمزق جلودها . ويضيع من الماء شيء كثير . وهو اعزّ ما يحرص عليه من زاد . يمر غمام ويحجب نور الشمس ، فيسقط في يد الدليل . نرى رحالتنا لا يأنس لهذه المظاهر . قلّ ابتسامه ، وساد الركب سكون ، لكن هذا كله شيء لا يصح ان يحتمل . هو مناوشة من الصحراء بسيطة فليتنفلس الرحالة ، وليحاول ان يتقبل هذه المناوشة بقبول حسن

تفجأه عاصفة . مناوشة اخرى . ولكن ماذا تستطيع العاصفة ان تفعل . انها تفكك وحدة الركب ، وتعوق السير ، وتعطل ادوات فنه ، وتتعب رجاله ، وتنال من ابله : هذا كل ما تستطيع العاصفة ان تفعل . وهذا كله يمكن ان يعالج . صحيح انه امر سيء ، غير انه ميسور على اي حال في سبيل المجد ليست تكاليف العلا شاقة متعبة



الم تر ان المجد تلقاك دونهُ شدائد من امثالها وجب الرعب  
ولئن جابهته الصحراء بتلك المشقات الشداد فهو اهل لمقاومتها ، والاستظهار عليها  
لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفتقر والاقدام قتال  
واننى لهذه الصعاب ان تنال من نفسه وقد هياها لانزاع المجد وان استعصى سبيله وعزمه  
ذريني اقل ما لا ينال من العلا فسهل العلا في السهل والصعب في الصعب  
نرى رحالتنا يكثر من الفلسفة . هو في نزاع بين قلبه وعقله . وهو من أثر هذا النزاع غير  
مستقر . فساعة يحس قلبه شراً ، وساعة يقدر عقله خيراً . ولذلك فهو حيناً قلق ، وحيناً مطمئن  
يبقى الرحالة عصاه . فتزأر به عاصفة من جديد . عاصفة تملأ الفضاء ، زاحفة كأنما تريد  
ان تنسف الارض ومن عليها . صوتها يشيب الولدان كأنه صوت الفناء . ماذا تفعل العاصفة  
في هذه المرة . . تقوض خيامه ، تهشم بعض ادواته العزيزة التي يعرف بها اسرار السماء .  
اما الله ، فقد نفق اقواها ، وهو لا يدري لهذا سبباً . اما ماؤه فقد ذهب اكثره ، لامور لم  
نكن في الحسبان . أما دليله وليد البید ، ابن الصحراء ، العليم بأسرارها ، الخبير بمسالكها ،  
مصباح القافلة ، ذراع الرحالة الايمن ، أما دليله هذا : فقد جحظت عيناه . ملأه الملح . ليس  
امامه سوى النسيج الموحش الرملي . ليس امامه علم يهديه ، ولا صوى يسترشد بها في طريقه .  
اذا قيل له اين نحن . . هز كتفيه ، وقال بصوت محتبس ، « الله اعلم » . واذا قيل له الى اين  
اشاح بوجهه ، وقال في لهجة حيرى « الله اعلم » . فكاهة في الحق غير مناسبة  
رب عاصفة يقل عمرها عن ثلث ساعة ، تسقط على رأسه خيمته الظرفية ، فتحطمها  
وتكاد ان تحطمه . رب ميل قليل عن خط سيره ينتهي به الى فاجعة الية . قد يخونه رجاله  
فيتمردون عليه ، او يأترون به ، فيسوء المصير  
قد لا تتألب عليه هذه النوائب جميعاً في يوم واحد . ولكنه على اي حال هدف شرها  
بين يوم ويوم ، او اسبوع واسبوع . والان فاين رحالتنا . واين عدده . اما هو فتعبت به  
اكف الصحراء . واما هي فقد ذابت بين يديه . كل شيء نذير شؤم . في عواء الريح وعيد بسوء  
المآب . في صغير العاصفة صور متباينة للردى . فهو كيفما ادار لحاظه لا يجد امامه الا الموت  
او الفشل وليس له معدى عن مجابهة احدهما . اما الموت فباسط يده ، يريد ان يختطفه ، او  
فاغراه ، يريد ان يبتلعه . واما الفشل فصخرة عبوس ، تحطمت عليها مطاعمه ، مسخ ساخر  
يمثل له عودته مطرق الرأس ، يحاول ان يتجنب الناس او يتجنبه الناس . مسخ ساخر يمثل له  
الشقاء به ، او الضحك منه ، او العطف عليه . . . شياطين الموت ترقص حوله . اشباح الفشل  
تسمى اليه . الموت او الفشل . . . ليختار اذن منهما ما يشاء . وهما أمران احلاهما مر . وطريقان  
اهونهما جمر . وقد يكون الموت احلى الامرين مذاقاً . وقد يكون الجمر ابهج الطريقين سبيلاً



مع هذا فما موقفه من ذلك الموت الذي يطالعه الآن . لقد صح منه العزم حين حاول شقَّ الصحراء على ان يهب لها حياته اذا عز النصر عليه . كان ينتابه في احلامه الذهبية بين حين وحين حلمٌ بعيد — هو حلم الموت . وهو حلم وان ساءت طلعتة ومرَّ طعمه ، فهو في الواقع عذب مستساغ . لانه اولاً وآخرآ في سبيل المجد والعلا . اما الآن فلم يعد ذاك الجوَّاد الذي يهب نفسه عن طيب خاطر ، ولكنه اصبح ذاك الدليل الذي تنزع منه حياته عنوة وقسراً ومهما يكن من شأن موقفه هذا ، فإنه ليس سوى موقف المستضعف الجزع ، يتحارب على الموت ، ويضنُّ بحياته على الصحراء . وشتان بين موقفه هذا وموقفه بالامس القريب — حين كان يستهين باخطار الصحراء وحياته جميعاً

لكن شيئاً واحداً هو الذي يشغله الآن . كيف صحَّ ذلك كله . اليس اولئك رجاله . اليس هذا دليله . اليس هذه عدده . اليس هذه ابله . اليس هذا عامه . اليس هذا سلاحه . اليس هو هو . اليس هذه جميعاً أسباب جهاده . ما الذي كان ينقصه . اليس قد استكمل عدد الجهاد كلها . كذب ظنه . خاب تقديره . فكأنما كل عدة من عدده قد انقلبت سلاحاً صوب الى صدره . وكأن كل مادة من مواده قد اصبحت ثعباناً يتلوَّى حوله

هنا يجلس رحالتكم « المقدام الباسل » الغني بعدته وزاده ، القوي بمادته وبأسه ، المستعين بعامه وفنه ، يجلس رحالتكم الآن وقد تمزقت ثيابه ، واغبرَّ لونه ، وساء امره ، وذهب الاسمى بنفسه كل مذهب . ادركته هذه المحن جميعاً فوقعته في فخ الصحراء . كادت له الصحراء ، وبيتت له الغدر كأنها غدت ذئباً . وكأنه غدا حملاً . وقد اخذ الذئب يداعب لعبته اول الامر اهذه هي الصحراء . . اتلك هي الغانية التي كان يتشهاها . اتلك هي الغادة التي شغف بها حباً . اتلك هي الطيبة القنوع التي كان يغنيها على قيثاره مطامعه ، فترقص له في غلائها الصفراء رقصة الخشوع والطاعة . . ما بالها غضبت عليه واستبدت به

اليست هذه هي الصحراء التي كان يتشعب بها بالامس ، كما يتشعب ذو المال بغانية تلتبس نعيمها في رضاه . ما بالها اليوم تصدَّ عنه ، كأنها غانية السوق . تلتبس نعيمها في المال والغنى ، وكأنه العاشق المضنى اجهده الفقر

اليست هذه هي الرمال الذهبية التي كانت تسقيه بالامس خمر الآمال . ما بالها اليوم اصبحت في صفرتها كصفرة الخنظل ، واصبح سقياها مريراً كماء الموت

أليس هذا هو المنبسط الفسيح الذي كان يطلق فيه آماله ترتع وتلعب ، فتعود اليه حاملاً آمالاً جديدة حلوة كالشهد . ما بال هذا المنبسط الفسيح صغر به اليوم وضاق ، ودقَّ في صغره وضيقه حتى غدا طوقاً حديدياً يغل رقبتة ويضني حلقه الجاف

أين النجاح الذي كان يؤمن بأنه سيجيئه يسعى ، والأ انتزعه من مخبئه انتزاعاً



أترون اليوم كيف يستجديه ، في ذلة وضعف ، كما يستجدي المغرم المضني اجده الفقر ،  
نظرة ، أو ابتسامة ، أو كلمة ، من غانية السوق ، تلك الفاتنة اللعوب التي لا تلتبس نعيمها  
الآ في المال والغنى . أين الفوز والنصر اللذان كان يؤمن بأنهما في قبضة يده والآ اغتصبهما  
من يد الصحراء اينما وكيفما يشاء . أترون اليوم كيف يسألها الصحراء ، يسألها يداً قاسية باطشة ،  
تحطم من آماله وكبرائه اينما وكيفما تشاء

أين ورد المطامع . أين أقواس النصر أين سحب المجد . أين العود المظفر . أين هتاف المجامع العلمية  
ان ذلك الحلم الشعري قد انحدر من فوق كتنفي رحالتنا وتجلى له اليوم فقط انه قبضة من الهشيم

\*\*\*

سادتي : ترون كيف انعكست آية المادة . انظروا الى صاحبكم . لقد هوى من سمائه الى  
مستوى عبيده مرغماً مضطراً ، مكرهاً لا بطلاً . لم يعد يثق حتى بحقه في اصدار الاوامر  
فان كانوا ما يزالون يسيغون سيادته فربما كان ذلك فقط لجلده طبعه ، وقدرته على الاحتمال ،  
وما الى ذلك من صفات يضعها اهل الصحراء في المنزلة العليا من فضائل الرجال . ما اكثر خدع  
المدنية . قد فتني بين جنبي رحالتكم ذلك الشعور الذي كان يسمعه الغام المجد كلما نظر الى ما  
أعد من ادوات ، واعتز بما وسع من علم ، وسجرت له لذة النصر التي كان يتخيلها في سلطان المادة  
ضاقت نفسه بالصحراء . ولم يضق صدر الصحراء به . انه مهموم . وفهم الصحراء ضحكها . ها  
ان صوتاً قوياً يقرع سمعه . انه سخريه الصحراء . شعور عنيف يهزه هزاً . انه اثر سلطان الصحراء  
يتغير الآن شعور رحالتنا فتلصص في هذا التغير فارقاً كبيراً ، ذلك الفارق العجيب الذي  
يفصل بينه اليوم وهو فريسة هذا الموقف المشؤم ، وبينه بالامس وهو يخطو في الصحراء خطواته  
الاولى . فقد اخذ يحقد على الصحراء ، ويلعن اليوم الذي وطأها فيه قدماه . ولكن ماذا  
يجدي الحقد واللعنة . اليس خيراً له ان يفكر في طريق من طرق الخلاص . فليفكر اذن وليكثر  
من التفكير . فاذا تكون النتيجة . انه كالطير في القفص . هو سجين الرمل والرمل حارسه .  
وقد بدأ الليل يسدل استاره الحريية السوداء ، وينثر في السماء نجومه الصغيرة الراقصة ،  
ويقطع اشواطه في هذا الفضاء اللانهائي وتبدأ بطيئاً كسير القافلة . ليفكر اذن في صمت هذا  
الليل الرهيب فيعود بعد جهده ليسأل نفسه : ترى لو انه اتخذ عدداً اقوى مما اتخذ ، وسلك  
سبلاً الى ما سلك ، اما كان يمكن ان يتجنب ذلك المصير المشؤم الذي صار اليه . ولكن  
اكان يستطيع ان يصنع غير ما صنع . لقد استعان بأحدث اسباب العلم ، وتزود بأنضج الثمرات  
الذهنية . ما كان يستطيع في الحق ان يصنع غير ما صنع ، وهو بعد كائن بشري ، لا تعرف  
المعجزة سبيلها اليه ، ولا يعرف هو سبيلها اليها

على انه مع هذا كله يحس بعاملين عنيفين يتناوبانه . حامل العناد يأبى عليه ان يشهد



بعجزه . وعامل الجهاد يزين له الماضي في المقاومة . يظل رحالتنا نهب هذين العاملين ، فإيكاد يستوحى وحيهما ويتأثر بأثرهما حتى يسمع صوتاً خفياً ، ضحكة ماكرة من صوت الصحراء ساء سبيلاً . كل شيء تلف أو تحطم أو ضاع . صناديقه كأنها ركام . عدده أصبحت لا تغني شيئاً . سلاحه لا فائدة منه . ابله برح بها الاعياء والضنى . رجاله أصبحوا كالاشباح من فرط ما نالهم من مشقة الجوع والعطش والنصب واليأس . دليله ضجر متبرم . كادت لرحالتنا الصحراء ومكرت به . عشت حتى بكراسة مذكراته . سلبته حتى غليون دخانه . ضنت عليه حتى بلذة الشبع . ما اشبهه بالقائد الذي خسر المعركة . فهو آو الى انقاضه لا يدري ماذا يصنع . يهوله مشهد الضحايا . يروعه مشهد الخراب . يحزن لمقدم الغد . في ذمته تبعة هذا جميعه . أما هو ، فرهينه ينتظر . فاما الاسر ، وهو ذل . واما الفرار ، وهو خبل . واما قتل النفس وهو طار وخور

\*\*\*

سادتي : ان غير المنظور هو الذي غالباً يقع

والدهر يعطي الفتى ما ليس يطلبه حيناً ويحرمه من حيث يطعمه  
الأترون كيف أصبح امر نجاحه اليوم سراباً كما كان امر الفشل عنده بالامس . كان الفشل ابعد ما يذهب اليه . كان لوناً من ألوان المستحيل . كان آخر ما يحيز لنفسه ان يفكر فيه . فكان الشمس طلعت اليوم من المغرب . لقد خاب الظن . أصبح النجاح ابعد ما يذهب اليه . أصبح لوناً من ألوان المستحيل . أصبح آخر ما يحيز لنفسه ان يفكر فيه . . . . صد العاصفة بالكفين اهون منه اكتنفه الظلام . نخيم على نفسه ، خيم على رأسه ، خيم على عينيه ، ظلام اليأس والحيرة والفشل . أين هو اليوم الذي استهل فيه رحلة الصحراء ، وهو يحجي مودعيه في شيء من التواضع . فلولا عدم اللياقة لصرح لهم بما تحبش به نفسه ، من نصر محقق ، ونجاح مؤكد ، وعود مظفر . لقد أصبح اليوم لا يطيق ان يذكر شيئاً من ذلك . كان اذذاك يغمره النور ، نور في نفسه ، نور في رأسه ، نور في عينيه ، اما اليوم فله من شأنه ما يغنيه عن ذكر ذلك . ففي ذكره ألم ، وحسبه ما يعاني من ألم . وفي ذكره احساس بخيبة التقدير ، وحسبه ما يتجرع من غصص الهزيمة

هذا زاده المادي . كان يؤمن من قبل بأنه مفتاح النجاح . وقد ذاب اليوم هذا الزاد ، فتحطم ذلك المفتاح المسحور . لأن كان صادقاً في تقديره ، فما الذي اذاب الزاد ، وضيع الامل ، وحطم المفتاح وان كان غير صادق في حسبانته ، فإين اذن يوجد هذا المفتاح المفقود ، واين اذاً السبيل اليه حمد ذهن صاحبنا . تعطل تفكيره . كاد يحترق مخه ، وتتمزق عروقه . كاد يهذي حتى أنه ليتخيل الصحراء امتلأت بالذئاب العاوية . وعواصفها أصبحت نواقيس الموت . ها هو ذا يغمض عينيه . ويعتمد رأسه بين يديه . كأن صراعاً أَلَمَّ به فكانه في غشية ما لها صحو



سادتي : الى هنا يصح ان نعتبر رحالتنا قد اجتاز مرحلته الثانية . والى هنا ترون كيف ذاق من الالم امره . ومن الذل اوجعه ، ومن الهوان غايته حتى كاد ينتهي آخر الامر الى غشية النفس . غير ان للصحراء ايها السادة تأثيراً خارقاً في جسم من جلبها وفي عقله وفي روحه . فهي تصقل جسمه وتجلو عقله ، وترتفع بروحه يوماً بعد يوم ، الى مراتب ما كانت لتدركها لو ان صاحبها لم يحاول ان يتخذ له سبيلاً في جوف الصحراء . ولئن يتقبل جوّاب الصحراء ما تمتحنه به من عسر وشدة وألم بقبول حسن ، فما ذاك الاّ لانه أدرك آخر الامر ان قسوة الصحراء ليست سوى شيء من قسوة الام الحنون ، تنال بها ابناً عاقباً تحبه وتكلف به ، في سبيل تربيته وتهذيبه وشد ما أدبت الصحراء رحالتنا ، وأحسنّت تأديبه . فبدأت تنظفه من دنس المجتمع ، وتطهره من ادران الحياة ، وتنزع من صدره وسوسة الشيطان . بدأت تغسل عنه قذارة الجسم ، ودنس الروح ، بدأت تلهم نفسه فلسفة صوفية وتفيض عليها بهذه الفلسفة العالية . فقيم يفكر اذن . . ولعلنا نذكر فيما كان يفكر بالامس

اولاً — قبل ان يعددته . ثانياً — وهو يعددته . ثالثاً — وهو في مرحلته الصحراوية الاولى لم يكن اذ ذاك ليفكر في غير المادة . وقد تأثر بها ، كما سقنا ، كل شيء فيه حتى اخلاقه وحتى منطقته واساير وجهه . كان يرى انها الاداة الفعالة لما يريد . اما الآن فانه يفكر في شيء آخر : ذلك ادب الصحراء ، وبه يستهل مرحلته الثالثة

أخذ هذا التفكير الجديد محتويه ويؤثر فيه . أخذ يؤثر في روحه ونفسه . يؤثر في كل شيء حتى اخلاقه . وحتى منطقته وقسمات وجهه . وهنا فقط يدرك ان اداة المادة ، تلك الاداة المغرية التي كان يؤمن بانها الفعالة لما يريد ، انما هي حقاً تلك الاداة التي لم تغنه شيئاً حين تورط في غير ما يريد

وكذلك رويداً رويداً تسمو الصحراء بمشاعره واحساساته الى العالم العلوي . وكذلك رويداً رويداً تفنى المادة ، ويفنى الجسم . ولاتبقى الا قوة الروح تستيقظ فوق هذا الفسح الانهائي الرمي . وثم تبدو له الصحراء في صورة صبية وديعة ، في سذاجتها رحمة ، في انوثتها طهر ، في ظرفها نسك يلذ العابدين . وهنا تداعبه الصحراء كما تداعب هذه الصبية الصغيرة الطاهرة ناسكاً صالحاً ، مداعبة نقية كمداعبة الابرار الخيرين . فيرق لها ، ويحنو عليها . يغفو عن هفواتها ويغفر لها اخطاءها وما اجدر بالمغفرة اخطاء الصبايا الطاهرات

ها نحن اولاء نراه يشعر بشيء جديد . تشعر روحه بالصفاء يسري اليها شيئاً فشيئاً . وتشعر نفسه بالسكينة تنساب اليها قليلاً قليلاً . فاذا انتهى الى هذا الحظ ، بعد تلك الساعة التي عافت فيها نفسه كل شيء ويئست من كل شيء والتي تركناه فيها مغشياً عليه . هنالك — ولاغرو — تنبسط له يد الرحمن ، وتنداركه عناية الله . فيؤمن بان القوة التي تقهر



الصحراء ، انما تسكن السماء . ثم يأنس بعد وحشة ، ويستبشر بعد قنوط ، ويهتدي بعد حيرة ، ويحجي بعد موت . ثم يشعر بشيء من لوم الضمير : أكان على حق حين اعتمد أولاً وآخرأ على غير الله . أكان يجوز له ان يستعين بعدده وآلاته كل الاستعانة ، قبل ان يستعين بقدره الله كل الاستعانة ، «وهو جل وتعالى خالق العالمين» ، وباعث الحياة والموت فيهم من بدو وحضر عناية الله اذن تحرسه ، ويد الله اذن تهديه . فاذا يقول اليوم . وكيف تبدوله الصحراء . حقاً ان الصحراء هائلة ، ولكن عظمة الله اشد هولاً . وحقاً انها قاهرة ، ولكن بأس الله اقهر . وحقاً انها رائعة ، ولكن جلال الله اروع . غمر الايمان قلب رحالتكم . والايمان نور وقوة وتوفيق . نور يبدد ذلك الظلام الحالك الذي غشى بصيرته واكتنف نفسه ، وخيم على ذاته المعنوية كلها ، نور الهدى والرشاد والحق . وقوة هي قوة الروح المعنوية المستمدة من فضيلة الانس بقدره الخالق ، وادراك جانب يسير غاية في اليسر من عظمته القدسية ومشيتها الكبرى . ومن ذلك النور الذي ملأه ، وتلك القوة التي اصبحت هي وحدها عدته وزاده ، نشأ التوفيق ، التوفيق باطمئنانه الى القضاء والقدر ، وباقتناعه الصلب القوي ، وارتياحه الشديد النفاض الى ان الله مصيره وغايته ، والله وحده الامر جميعاً . ولذلك فصاحبكم اليوم مطمئن النفس . ازداد حبه للصحراء ، وشغفه بدرس منابها . فكأنما خلق اليوم خلقاً جديداً . ولا غرو ، فقد امد الايمان الى نفسه ذلك العزم الثابت الذي اوهنته المشاق والمتاعب ، وتلك الارادة الصلبة التي ألانها كل ما استهدفت له من عوادي الصحراء . كأنما خلق اليوم خلقاً جديداً . ولا غرو فقد بعث الايمان في نفسه سائر تلك العوامل الباطنية الوثابة التي استحسنته من قبل على رود الصحراء ، وكشف مجاهلها ، وبلوغ غايته منها . بعث الايمان في نفسه سائر تلك القوى المعنوية في نمو اصلب طبعاً ، واشد حالاً مما كانت عليه بالامس ، حين شرع يستهل رحلة الصحراء . سلب الايمان من جوف الصحراء ، كلما تعتد به من وعيد سيء ونذير مشئوم ، فلم يعد في ظلام الصحراء ، ولم يعد في ظلام الحياة ما يمكن ان يشفق على نفسه منه ، اذ قد آمن اليوم شديد الايمان ، وعلم علم اليقين بأن ما تكنه الصحراء من احوال واطوار ، ويغمره الغيب من شر وسوء ، وتستهدف له مصائر الناس من خير ومكرهه ، انما هذا كله رهن مشيئة الله ... وها هو ذا يصدر في عمله عن طبيعة هذا الايمان الراسخ الشديد . فهو ينفق اقصى ما يملك من جهد ، ويبذل غاية ما يستطيع من حيلة في سبيل المطلب الذي اخذ نفسه به . اما النجاح وغير النجاح فلم يعد امرها في يده ، ولكن امرها جميعاً في يد الخالق وحده . سرت فيه تلك الروح القوية ، واوحى اليه بوحيا الصادق ، فأخذ من جديد يجمع شتات قوته المعنوية ، ويلم شعث عدته المادية ، وانطلق يستحث قافلته على المضي ، ويملا نفوس رجاله بأمر القضاء والقدر ، وفي ذلك لذة لا يشوبها الدنو من الموت ولا الموت نفسه ايضاً



انطلق اذن يمضي في قافلته يسوقه روح معنوي شجاع رشيد ، وانطلقت القافلة تسعى من جديد في مثل النشاط الذي بدأت رحلتها به بعد ان كادت تجهز عليها عوادي الصحراء اجهازاً . انطلقت القافلة يحدوها البشر والتفاؤل . واطمان الرحالة من جديد الى الصحراء والى عيشه بينها : اولئك البدو البواسل الشجعان الذين ما يزالون بني الفطرة . لم تستطع ادران المدنية ان تزحف اليهم . ولم يفكروا بعد في ان يزحفوا اليها . فلنقف معه لحظة لنرى حظ رجاله عنده بعد ذلك التطور الروحي الجديد الذي احتواه . لم يكن رجاله اولئك من قبل سوى عنصر من العناصر العدة التي هيأها لينال بها مطلبه في الصحراء . لم يكن رجاله هؤلاء سوى اداة من الادوات الكثيرة التي اعددها للبش رجال الصحراء . اما الآن فقد شعر بانهم منهم وانهم منه . شعر بانهم جميعاً أسرة واحدة . فهو يحزن لحزنهم ويفرح لفرحهم . ولا يهنا بعيش الا اذا كانوا هائنين . وقد ثبت له الآن ان فلسفتهم في الحياة اجدى وأعمق من فلسفته . وان في بساطة عيشهم توفيقاً لم يدركه بعد . وهنا يروقه ان يقبس من اخلاقهم ، وينزود من طباعهم . فقد رآهم أهل ايمان وفضيلة ورجولة . فالبدوي ، في الحق ، مثل من الامثلة الحسنى للرجل

ارأيتم الآن الى رحالتنا وهو يتفلسف . انه يتفلسف في شهوة الدنيا ، ومطامع الناس بعد ان سمت به حال نفسية . فصغر في عينه عراك الحياة . صغرت الصعاب التي لاقتة ، والصعاب التي تنتظره . هانت عنده مطامعه — حتى مطمع الثمرة العامة المحرمة ، التي قام برحلته في سبيل قطفها . هان عنده حتى الموت في ابشع صورة من صوره . . ذلك كله صغر عنده شأنًا واخذ يفنى ، شيئاً فشيئاً ، في روعة الصحراء وجلال الله

صاحبكم يشعر بقوة معنوية . فقد انتهت ، أيها السادة ، من هذه الرياضة النفسية الى نتيجة لم تكن منتظرة ، ولا سيما بعد ان ذاق من مر الصحراء ما ذاق . لم يعد رحالتنا يخاف الصحراء . لم يعد يخاف فيها ان يجوع ، او ان يظلم ، او ان يضل ، او حتى ان تبنيه بحياته فبراً من قبورها المبتوثة في كل مكان . فاذا انتهت الى هذه النتيجة بدأ يشعر بأرها . بدأ يشعر بسلطانه ينبسط على الصحراء . ولكن ما ابعد الفارق بين هذا السلطان الذي يشعر به وذلك الذي يشعر به في بداية رحلته . فشعوره بالسلطان الاول انما هو شعور بسلطان المادة ، والمادة قد خذلتة . اما شعوره اليوم بهذا السلطان الاخير ، فهو شعور بسلطان الروح ، والروح قد صدقته

ما أعجب اسرار الصحراء . انها تحطم في رائدها معقل مطامعه ، ذلك العش المرع يسع الدنيا وما فيها . ذلك النعم الجائع كلما اعطي من شيء ، ازداد جوعاً فقال « هل من مزيد » . ما اسرع ان تكسر الصحراء شكيمة جوعها ، وتذل عنقه وترغم انفه . ما اسرع ان تلقنه درس



الحكمة . اذ تبين له القياس الصادق للمرء واعماله ، والقيمة الحققة للرجل واخلاقه ، والميزان العادل للانسان وكتاب حياته . تساب الصحراء رائدها كل احلامه الدنيوية ، تلهم كل ثمرات مطامعه الانسانية . غير انها على ذلك منصفة عادلة . لا تدع رائدها من غير عوض . فهي تجزيه الجزاء الحسن . تهيب له سكينه في الصدر . وطمانينة في النفس . واثماناً في القلب . تهيب له هذه الخيرات هدية طاهرة وخالدة لا تفنى ، جديدة لا تبلى ، مصنوعة لا تنال منها حياة المدينة حين يعود اليها اي منال . تلك الحياة التي عبثت بحقائقها شهوات النفس الجامحة ، ومسخت معه فضائلها مطامع الانسان الكاذبة

أيها السادة : اتم رحالتنا رحلته . وقد يكون توفيقه العلمي اقصى مما كانت تذهب اليه احلامه وهانحن اولاء نعود معه الى بلده . فنرى حفاوة كبرى . تشطفي درس اكتشافه الجامع العلمية . ولكن ماذا في نفس رحالتنا .. انه بعيد عن هذا كله . يكاد لا يشعر بحفاوة المحتفين به . يحس بانه غير أهل — من هذه الناحية — لهذا المديح جميعاً

فلقد استهل الرحلة ، وكانت هذه الناحية العلمية غاية المني ، كان يؤمن بان ما جمع من اسباب المادة هو مفتاح النجاح ، فلم يكد ينحدر الى جوف الصحراء حتى آمن بشيء آخر ، آمن بان عدته المادية لن تقدم من امره ولن تؤخر ، وان ما وصل اليه ليس نجاحاً ولكنه توفيقاً ، وانه ليس ثمرة جهاده الشخصي ، ولكنه اثر من غناية الله

وما كان لنجاحه العلمي هذا ان يزيد في ايمانه وقد قدر له التوفيق ، كلاً ولن يكون لفشله العلمي ان ينقص من هذا الايمان اذا كتب له ان يفشل ، فابتغاء وجه الله وحده هو الذي يصبح وجهة وطلبة كل من كتب له ان يرود الصحراء ولا سيما في سبيل العلم

والآن وقد صغر في عين رحالتنا نجاحه العلمي ، وآمن بانه لم يكن شيئاً ذا خطر ، تحقق ايمانه بانه لا يستحق ما أغدق عليه من مديح ، وان قيمة هذه الثمرة العلمية لا تزيد عن قيمة تحفة من التحف التي اتفق له ان يعثر عليها ، واستطاع ان يعود اليها بها

انه مأخوذ اذاً بلذة روحية هي خاتمة مطاف روحه . تلك الخاتمة التي وفق اليها في مجاهل الصحراء . فحين ضل عقله اهتدت روحه . اهتدت الى سبيل علوي ، تبتدىء في نهايتها طريق الله ثمها هو ذا صاحبكم يفكر في الصحراء من جديد . ولقد انتهى به تفكيره الى مفارقة عجيبة ما اتقه رحلة الصحراء بالقياس الى رحلة الروح . كم يود لو ان رحلته الروحية كانت تليجتها دانية القطوف كرحلته في سبيل العلم

ولعل هذا هو السر في ان كل من راد الصحراء مرة لا يستطيع ان يصبر عنها ، ولا يملك الا ان يعود اليها ، عليه يوفق من طريق رحلة العلم ، الى اقصى ما يستطيع ان يدرك من رحلة الروح ، وهو الدنو من فاتحة الطريق الى الله



## موت البلبل

ما أتعس الفن في حياته !      وأتعس الفن في مماته !  
 قد وائت الآسين الأمانى      والجاري الماء لم ثواته  
 والخالى الذهن مستريح      في الوكر ، في القصر ، في فلاته  
 والساھر الليل قد طواه      وشوّه الموت ذكرياته

\*\*\*

في هدأة الليل ، في دُجاء      في معبد الكون في صلاته  
 يسامرُ الصائدُ المنايا      والحيُّ لامرٍ بمُلهياته  
 ونيسةُ الشرِّ إنْ تراءتْ      هدَّتْ على الخيرِ أمُنياته  
 والبلبلُ الصادحُ المغنّي      الساھرُ الليلَ في شكاته  
 حيرانُ ما يهتدي لغصن      حتى يُصبّي إلى لداته  
 قد أخرجَ الليلَ من رؤاهُ      فراح يُصغّي لمُطرباته  
 والنسمةُ العذبةُ استراحتْ      مأخوذةً مثلَ سامعاته  
 يمرُّ بالروضِ ما يُغنّي      يهزُّ في الروضِ مُورقاته  
 ما أجل الكون حين يُصغّي      لهاتفٍ صاغ مُبشّراته !

\*\*\*

وبينا البلبلُ المغنّي      يعيدُ لحناً على هواته  
 دوىً بجوف الدجى دويً      فروّع الكون في صلاته  
 وهللُ الصائدُ انتصاراً      وردّدَ الليلُ قهقهاته  
 وضاع في الأفق كلُّ لحن      وليس يلاوي على شتاته  
 وفي أزيز الرصاص ينسى      مُستمدحُ الصوتِ أغنياته

\*\*\*

وصدّعَ الفجرُ جانبَيْه      وايقط الصُبْحُ من سباته  
 فهبَّ يمشي على ضحايا      وراح يُصغّي لهاتفاته  
 والبلبلُ الخافتُ المسجّي      الزّهرُ يُحنو على رُفاته

حسن كامل الصيرفي



# الرحلة والرحالون<sup>(١)</sup>

في القرون الوسطى

بين سقوط الامبراطورية الرومانية في القرن الخامس واكتشاف امريكا في القرن الخامس عشر تمتد الف ونيف من السنوات تعرف عند المؤرخين بالقرون الوسطى ، ومع ان حوادث جسيمة قد تمت فيها فقد كانت الرقعة التي تشغلها بالنسبة الى العالم المعروف الآن صغيرة جدا لا تتجاوز حوض البحر الابيض المتوسط واواسط اوربا . وكان هذا الجزء المعروف تحيطه — في نظر الاوربيين على الخصوص — حجب الظلام الكثيفة ، فشواطئه الغربية تنتهي بالبحر الذي لا تمخر السفن عبابه — بحر الظلمات — وفي شماله تقع مناطق الذعر والجليد والظلام ، وشرقه فقر آخره مساكن الاقوام المغولية المتوحشة . وجنوبيه ينتهي بالمنطقة الحارة التي لا تستطيع البشر ان تسكنها ، والتي فيها بحر تغلي المياه فيه باستمرار لشدة الحر ، حتى ان الاسماك لا تعيش فيه ، وكل هذه المناطق فيها من عجائب الخلق والهلول ما يمنع الناس من الاقتراب منها بله الدخول فيها

وفي هذه المنطقة الضيقة وفي هذه القرون العشرة تمت الحوادث التي خلقت العالم الحديث بما فيه من نشاط ومدنية وعلم . ففيها سقطت الامبراطورية الرومانية التي كانت تتحكم في شؤون اكبر جانب من العالم المعروف عندئذ ، فانهار معها اكبر صرح سياسي اقتصادي عرف ، واحى القانون الروماني ، وصحبت ذلك هجرة القبائل الجرمانية وغيرها من مساكنها الاصلية واستيطانها في اوربا ، وتأسيسها امارات وممالك مضطربة ضعيفة على النظام الاقطاعي ، فانتشرت الفوضى وعم النهب والسلب وتغلبت القوة البدنية على الشرع والعرف والتقليد وحل السيف مكان القانون . وفيها خرجت امة كانت منتشرة في بادية العرب لاتجمعها رابطة دينية ولا تمسكها صلة سياسية حتى قام فيها محمد بن عبد الله فأوجد من تفرقها وحدة ، وخلق من تنازعها اتفاقاً وجعل من الوحدة والاتفاق المعزوجين بالايان قوة سارت مع خلفائه وقواده حتى احتلوا في مائة سنة البلاد الواقعة بين الصين وبحر الظلمات ونشروا الاسلام في اكثر هذه البقاع . ثم عمدوا الى العلم والادب والاجتماع فحاطوها بعنايتهم واخرجوا منها للعالم خير الثمار واينعها واشهاها وفيها توطدت النصرانية في الغرب واعتنقتها القبائل الجرمانية التي مررنا ذكرها وقويت البابوية وسيطرت على الحياة الدينية والعقلية في القسم الاكبر من اوربا النصرانية ، حتى

(١) محاضرة تاريخية شائعة القاها نقولا افندي زياده في نادي الشبيبة البيتلحمة بيت لحم (فلسطين)



كان لها الامر على غيرها الطاعة، وحدث في هذه المدة اكبر اصطدام بين الشرق والغرب فقد بقيت جيوش الصليبيين طيلة القرنين الثاني عشر والثالث عشر تتدفق على الشرق محاولة تملكه والاستيلاء على موارده الفنية واما كن العبادة والتقديس فيه . ومع ان هذه الحروب قد انتهت بخيبة الاوربيين وبقاء هذه البلاد بيد الشرقيين فقد كانت بعيدة الاثر في خلق اوربا الحديثة وفي جميع مناحي الحياة في ذلك الوقت وبعد ذلك الوقت

وحياة البشر في كل عصر ومكان تتأثر بما يعتمدها من جسيم الحوادث وعظيم الامور ولما كانت الرحلات والاسفار مظهراً من مظاهر الحياة والنشاط فلقد كانت خاضعة في حكمها لهذه القاعدة واذن فقد تأثرت بما ذكرنا ، وهذا ما سنتحدث عنه الآن

يهم المسافرين على اختلاف نزعاتهم بان يكون الامن مستتباً في البلاد التي يرحلون اليها وان تشرف على البلاد حكومة قوية ليأمنوا على ارواحهم واموالهم ومتاجرهم ولتغنى بالطرق والبريد لتنظيم الرحلة والسفر والاتجار. وقد كان هذا متوافراً في عهد الامبراطورية الرومانية فلما سقطت سقط معها كل ذلك فقلّ تنقل الناس في القسم الاول من القرون الوسطى . فلما قام العرب وانشأوا دولهم المتسعة في مشارق الارض ومغاربها وقاموا على تنظيمها وسهروا على مصلحة الشعوب التي حكموها عادت التجارة الى ما كانت عليه سابقاً بل اتسع نطاقها كثيراً وعاد الجؤابون يخترقون الآفاق وقد ساعدتهم على ذلك انتشار الاسلام في كثير من هذه الانظار فكانوا موضع احترام القوم اينما حلوا وليس ادلّ على مدى اتساع الرحلة في عهد الدولة العربية من حديث ابن بطوطة وهو سائح عربي من اهل القرن الرابع عشر للميلاد من مدينة طنجة فقد روى انه لما كان بالصين بلغه ان احد علماء المسلمين قدم المدينة فاتصل به فعرف انه احد مواطنيه وفطن الى ان التقي به في دلهي بالهند . ولما ارتحل ابن بطوطة عن ذلك المكان وهبط اواسط افريقيا لقي فيها مواطناً آخر هو اخه للاول . وهكذا كان يلتقي رحالو العرب في اقصى البلدان وانأى الامكنة

على ان قيام الدول العربية في الشرق الادنى وقضاءها على البيزنطيين فيه اوجد في نفوس الاوربيين شيئاً من الخوف فقلت زيارتهم حتى للاراضي المقدسة الى ان عرفوا خطأهم بعد وقت قصير وقد سيطرت الكنيسة على الافكار والعقول سيطرة اخضعت كل رأي وقول لسلطانها وصارهم كل باحث ان يوفق بين ما كان عند اليونان والرومان القدماء من علم وبين ما في الانجيل من ايمان فاذا تعارض الاثنان وجد الدارس في الثاني حصناً من الكفر والزيفان وملجأ من رجس الشيطان فاختلفت على الناس الآراء الجغرافية الصحيحة بالاساطير والمختلقات . وشاب الحقائق العلمية خرافات لا يقبلها عقل ولا يرضى بها منطق فصار العالم المعروف منطقتة تحيط بها كل انواع الاخطار من كل جانب فلا سبيل اذن للخروج من مسكن الانسان لا اكتشاف



مساكن الشيطان او الاهتداء الى منازل الرحمن . وغصبت اقوال قوزمس وازيدور الناس  
الدرس والتنقيب . فاعتقد الناس ان النجوم مصابيح يخرجها الله كل ليلة لينير الناس لار  
الشمس والقمر ضعف نورهما بسبب خطيئة الانسان . وان الارض يابس يحيط بها ماء ينتهي  
بالفضاء فاذا وصل امرؤ الى ذلك المكان هوى الى ابليس او الى جهنم — الى مثل هذه  
الاعتقادات . وان قوماً مثل هؤلاء ينتشر بينهم هذا النوع من التفكير السقيم لا ينتظر منهم  
ان يخاطروا بانفسهم فيخرجوا ليستكشفوا هذه الاصعاق النائية

اضيفوا الى كل هذه الصعوبات الاخرى التي كانت تعترض المسافر طول المدة ، فان  
اركولف احتاج الى سبع سنوات لزيارة الاراضي المقدسة في القرن الثامن الميلادي . وقد  
استغرقت رحلة بنيامين التورلي ثلاث عشرة سنة

على ان بعض اقوياء العزيمة من اهل ذلك الزمان ، وبعض المفكرين منهم ، لم يحل دونهم  
في الرحلة حائل . واكثر ما جاءتهم قوة العزيمة من الايمان والتدين فان زيارة الاماكن المقدسة  
والتبرك بلمس تراب البلاد التي عاش فيها (المخلص) دفعت الكثيرين الى الاستهانة بكل هذه  
الصعوبات لينالوا هذه القداسة أو ليحصلوا على الشهادة في البلاد نفسها . وفي هذا تتفق  
النصرانية والاسلام بل ان الاسلام يحتم ذلك . اذ يعتبر الحج احد اركان الاسلام الخمسة ، على  
من استطاع اليه سبيلا . ومن ثم غني الحجاج — المسيحيون والمسلمون على السواء —  
بتدوين اخبارهم وما وقعت عليه ابصارهم ، وما طرق اذانهم ليساعدوا غيرهم في سيرهم وتنقلهم .  
وقد كان بين الحجاج عدد كبير من اليهود فان هذه الجماعة التي حرمت منذ هديرانوس — في  
القرن الثاني — الاقتراب من بيت المقدس والتي سمح لها قسطنطين في القرن الرابع بزيارة  
انقاض الهيكل في التاسع من شهر آب (اغسطس) من كل عام ، كانت تتوافد الى القدس في ذلك  
العصر من اسبانيا والشرق للقيام بفريضة الحج الدينية . وعندنا من هؤلاء الحجاج الحاج موسى  
ليمونيداس ويهوذا هيلقي وبنيامين التورلي

وقد شاعت آراء واعتقادات كانت ذات صبغة دينية ، كان من شأنها ان تحفز الكثيرين  
من المسيحيين الاوروبيين الى الرحلات والاسفار وأهم من هذه ان بين الجزر الواقعة في البحر  
الغربي ، او قرب منابع النيل ، تقع (جنة الفردوس) وهذا الاعتقاد حمل الكثيرين على السفر  
من اجل الوصول الى هذا الفردوس . وهذه الفكرة نجدها مرددة في كتابات كل الكتاب  
المسيحيين الاول من القرن الرابع الى القرن الثاني عشر

وعني بعض الآباء الروحيين الاوروبيين بزيارة فلسطين للحصول على الآثار المقدسة  
— وهي ما صاحب المسيح اورسله في حياتهم — اذ كانوا يتكسبون بعرضها على  
الناس ، وباستخدامها في شفاء الامراض وغير ذلك من الامور ، كما انه كان على بعض هؤلاء



ان يقوموا باسفار تبشيرية في اواسط آسيا وافريقيا لنشر النصرانية بين سكانها  
ومما يعتبر باعثاً على زيارة الارض المقدسة خاصة — العقاب . فان بعض المجرمين كان يحكم عليهم  
بزيارة مولد المسيح وقبره ليخلصوا من جرائمهم في سنة ٥٨٨ حكم على خرومون ان يزور فلسطين،  
عقاباً على جريمة فقيس بسلسلة وألبس رداء خشناً، وغفر رأسه بالرماد، وسار حافياً . ولكنه  
عاد بعد اربع سنوات ، فلم يعف البابا عنه فقام بالزيارة ثانية ، حتى نال رضى قداسه  
ولعل التجارة اكبر ما حمل الناس على الاسفار رغبة في نقل المتاجر ، والتعرف على الطرق  
واختيار افضل وسائل الكسب . ومن هؤلاء التجار من دون اخباره ووصف الاقليم وصفاً  
دقيقاً فيه الصحة كل الصحة ، والاسلام الذي شجع التجارة بالقدوة ، اذ كان النبي واصحابه  
تجاراً ، خدم العلم خدمات جلى من هذه الناحية

يمكننا مرةً بنا ان نقسم الرحالين الى حجاج ومبشرين وتجار وعلماء . والحجاج المسيحيون  
الذين زاروا الاراضي المقدسة قبل القرن الثامن الميلادي خلفوا عن رحلاتهم آثاراً كثيرة ،  
بعضها فيه روح التحقيق ، واكثرها مجموعات من الاساطير والخرافات . وقد ازداد مجيء  
هؤلاء الحجاج في القرن العاشر تلبية لنداء البابا من جهة واعتقاداً بان مجيء المسيح الثاني  
قد قرب ومن ثم فمن المهم ان يكونوا فيها لينالوا البركات . وحجاج هذه الفترة كانوا على درجة  
كبيرة من الجهل فلم يتركوا آثاراً قيمة والذي ابقوه على كل حال يميل الى هذه العقلية السخيفة  
التي كانت تمتاز بها الجماعة الاوروبية في ذلك الزمن . اما المبشرون فالتخذوا اواسط آسيا مركزاً  
لاعمالهم ، اذ كانت همّة البابا متجهة نحو تنصير القبائل المغولية التي اخذت تهاجم الشرق ، وترعب  
اوربا بقوتها وسطوتها . وقد اشتدت هذه الحركة بين القرن الحادي عشر والقرن الرابع عشر .  
وبعض ما كتبه هؤلاء المبشرون عن تلك البلاد من خير ما يمكن الرجوع اليه في درسه

والتجار الذين تركوا اخبار الاقطار التي زاروها ، وبحثوا في حالتها الاقتصادية والاجتماعية ،  
كثيرون . وقد كان العرب اصحاب السبق في هذا المضمار . ومما وثق الاتصال التجاري بين  
الشرق والغرب ، وحل عن العقول بعض القيود ، والحروب الصليبية

والرحالون الذين كان رائدهم في الرحلة الرغبة في الدرس والبحث بلوا عدداً كبيراً ،  
ولكنهم جاءوا في القسم المتأخر من القرون المتوسطة . ومن العرب ابن جبير وابن بطوطة  
ومن الافرنج ماركوبولو . وهذا الاخير كان من التجار ايضاً . وهؤلاء الثلاثة اعلام الرحلة  
العلمية في تلك القرون . « فسياحات ماركوبولو » يعتبرها الكاتب الانكليزي المستر ولز بين  
الكتب التي أثرت في تطور العقل البشري . وكتابات ابن بطوطة يشهد لها في دقتها ان كلية  
غوردون في الخرطوم تدرس فصل « ابن بطوطة في السودان » لدقته . اما ابن جبير فن يقرأ  
كتابه يقرأ كتابة سائح حديث مزود بطريقة التفكير الصحيحة « لها تنمة »



# التوائم والمحيط

للدكتور شريف عسيان

التوائم نوعان ، مختلفة ومتشابهة . فالتئمان المختلفان هما المتولدان من بيضتين مختلفتين تلقحتا في آن واحد . والمتشابهان يتولدان من بيضة واحدة . ان اكثر الحيوانات الثديية كالهررة والكلاب تلد عدة اولاد دفعة واحدة تتولد من عدة بويضات فاضجة تلقحت في آن واحد وقد يحدث ذلك في البشر فيولد ثمان او اكثر من تلقيح بويضات مختلفة . ويختلف تولد التوائم باختلاف الحيوان . ففي المدرع ( Armadillo )<sup>(١)</sup> تنقسم البويضة الملقحة الواحدة في بدء تكوينها الى اربعة اجزاء ينمو كل منها نمواً تاماً مستقلاً ويصير فرداً كاملاً . ويتولد الثمان في البشر بطريقتين الاولى انقسام البويضة الواحدة الى عدة خلايا يصير كل منها جنيناً كاملاً والثانية تولد التئمين من بويضتين مختلفتين او اكثر . والنوع الانساني هو الوحيد الذي تحدث فيه الطريقتان . ولا يحدث في غيره من الانواع الحيوانية الا احدهما فالتئمان المختلفان لا يتشابهان في صفاتهما الوراثية لانهما منشقان من بويضتين مختلفتين واما التئمان المتشابهان فيتشابهان في صفاتهما الوراثية لان عواملهما واحدة . وقد اجروا احصاء في اكثر البلاد المتمدنة للتوائم فكانت النتيجة كما يلي : يحصل في المائة ولادة ولادة واحدة ذات تئمين . وفي كل عشرة آلاف ولادة ، ولادة واحدة ذات ثلاثة أآام . وفي المليون ولادة ولادة واحدة ذات اربعة أآام . ونظراً لاختلاف ولادة التوائم باختلاف الامصار وبسبب موتها قبل الولادة وقصر حياتها وتعسر ضبط تسجيلها لا يمكن جمع احصاء اممي عنها

وتزداد وفيات التوائم بزيادة عدد أجنتها فكلما ازداد العدد كانت اكثر تعرضاً للموت فالتوائم الشنائي أقل تعرضاً للموت من التوائم الثلاثي وهذا أقل تعرضاً من التوائم الرباعي وهلم جراً

وقد تبين من احصاءات الحكومة الانكليزية انه يعيش من كل توائم ثلاثي نصف

(١) حيوان ليلي عديم الاسنان وهو موجود في امريكا الجنوبية جسده ورأسه موضوعان ضمن درع من عظم وجاء في معجم الحيوان : حيوان اميركي ادرك بأكل النمل : اللفظة ترجمة الهلال



البنات و  $\frac{2}{x}$  الصبيان وسجلوا رسمياً توأماً سداسياً ولدت أجنته في آن واحد  
 بينما أن التئمين المتماثلين او المتشابهين ينشقان من خلية واحدة ويكون هذا الانقسام او الانشطار  
 احياناً غير كامل فيبقيان متصلين بعض الانصال ويسميان التئمين المتصلين Siamese twins  
 فالتئمان المنشطران من خلية واحدة يكونان دائماً من جنس واحد إما ذكرين او اثنتين وهما  
 متشابهان كل الشبه فالواحد نسخة طبق الاصل للآخر . وفي الواحد منهما نفس العوامل  
 الوراثية التي في الآخر عدداً ونوعاً . ولا يمكن ان يتشابه التئمان المنشقان من بيضتين  
 مختلفتين ولا افراد العائلة الواحدة تشابه التئمين المتماثلين . فاذا قابلنا التئمين المتشابهين بغير  
 المتشابهين وغيرهما من افراد عائلة واحدة استطعنا ان نعلم منشأ اختلاف الصفات . فالاختلاف  
 الذي نشاهده في التئمين المتشابهين لا بد أن يكون سببه غير العوامل الوراثية لانها واحدة  
 في الاثنتين

وقد درس هذا الموضوع حق الدراسة فوجد ان منشأ الاختلاف بين التئمين المتشابهين  
 غير العوامل وغير المحيط . فاننا نجد غالباً ان أحد فردي التئمين ايمن والآخر ايسر فلا يمكننا  
 نسبة هذا الاختلاف الى العوامل الوراثية ولا الى المحيط لان الوراثة والمحيط واحد في الحالين .  
 وقد حاولوا تحليل هذا الاختلاف بنسبته الى وضع احد التئمين قبل الانشطار فيكون  
 احدهما في وضع خاص منذ تكون الخلية فيحافظ عليه حين الانشطار اي يكون موضع يده  
 يميناً او يساراً فيستمر على الحالة التي كانت فيها . اما الثاني فيتغير موضع يده اثناء الانشطار .  
 فالتئمان المتشابهان اللذان فيهما نفس العوامل الوراثية يكون احدهما ايمن والآخر ايسر بسبب  
 الظروف التي تصادفهما في بدء نشأتهما ويكون احد التئمين في كثير من الاحيان اقوى وانشط  
 من الآخر وسبب ذلك ظروف خاصة في اثناء التكون . ويظن أن التئم الذي يحافظ على الوضع  
 الاصل قبل الانشقاق يكون عادة اقوى وانشط . اما في ما عدا هذه الفروق فان التئمين المنشقين  
 من خلية واحدة يتشابهان تمام المشابهة في الجنس ولون العينين والجلد والشعر وفي حجم الجسم  
 وترتيب الاسنان وتقاطيع الوجه والاذان والايدي وفي الامراض التي تنتابهما وشواذ خلقتهما  
 ولهجة صوتهما واشاراتهما ويوجد مشابهة مجهرية في أسرة الكف (خطوط الكف) وأخص  
 القدم وبصمات الاصابع وتسرعني نظرننا ظاهرة غريبة وهي ان أسرة كف احد التئمين اليميني مثلاً  
 تشبه صنوها اكثر من مشابهة اليسرى لصنوها وهذا الفرق ناشئ عن ظروف خاصة اثناء  
 الانقسام وينكر بعض العلماء هذه الفروق

\*\*\*

بينما ان في التئمين المتشابهين شخصيتان لكل منهما نفس العوامل الوراثية التي



للأخرى فلا يمكن ان تنشأ فروقهما العقلية عن اختلاف تلك العوامل ولا بد ان يكون منشأ هذا الاختلاف اختلاف محيطهما ونشأتهما . وقد درسوا اربعة توائم ثنائية درساً دقيقاً معزراً بالتجارب العلمية بعد ان فصلوهم بعضاً عن بعض في اوائل حياتهم فدرس تمييز منهم الاستاذ مُلر Muller الاختصاصي بعلم الانسال والتوائم الثلاثة الباقية درسها الاستاذ نيومان Newman الاختصاصي بعلم الأجنة وبيولوجيا التوائم واليك نتيجة أبحاثهما :

اختار ملر اثنتين تمييز فصلتا في اول اسبوع من حياتهما ولم تر أحدهما الأخرى إلا في سن الثامنة عشر وبقيتا مفترقتين من ذلك الحين الى سن الثلاثين اي اكثر من تسعة اعشار عمرهما فعاشتا في اقليم شمالي غربي خصب وفي ارض غزيرة المعادن وفي احوال اجتماعية متشابهة فكانتا متشابهتين جسدياً كل التشابه وصفاتهما هي نفس الصفات التي يتفق فيها التمان المتشابهان فكانت كلتاها نشيطة هامة قدرته محبوبه واشتهرتا في الاعمال التي تقتضي التعاون كالجمعية وما شبه وأصيب كل منهما بالتدرن الرئوي مرتين او ثلاثاً في نفس الوقت . واصيبت احدها بنحور في اعضائها وهي في العقد الثاني من العمر وكانت الأخرى على وشك ان تصاب به كذلك . ونتيجة امتحان الذكاء متشابهة في الاثنتين مما يدل على ان المشابهة ناشئة عن العوامل الوراثية . وقد اختلفت نتائج التجارب الأخرى غير العقلية اختلافاً بيناً كفترة رد الفعل الحركي Motor reaction time وسرعة ربط الامور بعضها ببعض Association time والارادة والعواطف والاتجاه الاجتماعي وكان اختلافهما من هذه النواحي اكثر من اختلاف شخصين آخرين اختيرا صدفة واجريت عليهما نفس التجارب

ويتبين من درس هاتين التمييز المتشابهين ان محيط المرء ونشأته اثر كبيراً في طباعه وعواطفه ومظاهره الاجتماعية فهذه الصفات تختلف اختلافاً بيناً في نفس الاشخاص الذين فيهم عين العوامل الوراثية في حين ان نتائج امتحان الذكاء تتأثر تأثراً يسيراً بالمحيط وكانت متشابهة في الغالب

ودرس نيومان توامين ثنائيتين احدهما اختان والآخر اخوان وكان كل منهما تمييز متشابهين فصل احدهما عن الآخر قبل ان يبلغا السنة الثانية من العمر وبقيتا منفصلين حتى سن العشرين . ولد توائم الاختين في لندن ثم فصلتا في سن ١٨ شهراً فسكنت احدها في انتاريو بكندا والأخرى لندن واجتمعتا بعد ١٧ سنة في انتاريو وبقيتا معاً سنة كاملة اجريت في خلالها التجارب عليهما . وكان محيطهما مختلفاً كل الاختلاف في خلال انفصالهما . ومن الغريب ان نتائج تجربة نيومان كانت مختلفة حيث تشابهت نتائج تجربة ملر والعكس بالعكس . فاختلفت الاختان التمان كل الاختلاف في مواهبهما العقلية . ويقول نيومان ان الاختلاف بينهما كان ثلاثة اضعاف الاختلاف بين ٥٠ من التوائم الثنائية المتشابهة التي نشأت معاً . وعلى الضد من ذلك



نشأت ارادتهما وعواطفهما . وفي هذه الحادثة دليل قوي على ان اختلاف تجارب الحياة يؤثر في القوى العقلية ونتائج امتحان الذكاء

اما توأم الاختين الثاني فهذب تهذيباً مختلفاً فبقيت احدهما في المدرسة سبع سنوات اكثر من اختها . واليك خلاصة تقرير نيومان عنهما :

ان هاتين التئمين اللتين كانتا متشابهتين في سن ال ١٨ شهراً بقيتا تسع عشرة سنة تجهل احدهما الاخرى فتكيفتا تكيفاً كبيراً بسبب اختلاف طرق تهذيبهما . فان تفوق احدهما العقلي على الاخرى كان ظاهراً كل الظهور سواء من الوجهة الفطرية ( الطبيعية ) او غيرها . فالتئم التي تهذبت اكثر من اختها كانت اشد تفوقاً من الناحية العقلية

ومن البديهي ان التمرين العقلي ينمّي مقدرة الفرد ويسهل عليه جواز اي نوع من امتحانات الفهم حتى الامتحانات الامية التي لا يستعملون بها لغة ويقتصرون فيها على خص ذكاء الشخص وقوة نباهته وكانت عواطفهما وانفعالاتهما النفسية متشابهة تشابهاً يبنياً على الضد من مواهبهما العقلية

\*\*\*

اما الزوج الثالث فكان اخوين تئمين احدهما زيد سكن المدينة والاخر عمرو سكن القرية وقد امتحنا ولهما ٢٣ سنة من العمر فكانت مواهبهما الطبيعية متساوية تقريباً . وظهر فرق بين في شخصيتهما العامة فكان زيد اكثر انفة وتحفظاً واحتراماً لنفسه واشجع واكثر اخباراً وقل مصادقة من عمرو . يبتسم دائماً وسماء المهابة في جبهته وعينه اكثر من عمرو ويقف منتصباً اكثر منه وذقنه مرتدة الى الوراء وحجاً جاه متدليان تقريباً على عينيه . ويختلف عمرو عنه فهو نموذج لمن يسكنون القرى يضحك حالاً ولا يحافظ على وقاره قط . ويؤكد نيومان ان شخصيتي الاثنين كانتا مختلفتين كل الاختلاف

\*\*\*

ان درس افراد التوائم الاربعة الذين نشأوا منفصلين يؤيد ما يذهب اليه البعض من ان المحيط والنشأة تأثيراً عظيماً في الصفات العقلية والنفسية حتى في الاشخاص الذين تكون عواملهم الوراثية متشابهة . ويؤيد ايضا ان العوامل المذكورة تأثيراً يبنياً فالتوائم كانوا متشابهين في كثير من صفاتهم العقلية تارة وطوراً في امزجتهم مما يبين ان للعوامل والمحيط أثراً في العقل والنفس

[ المقتطف ] جاء في المحيط صفحة ١٥٥ ج ١ مادة تأم : تأتمت الام اتآماً ولدت اثنتين فصاعداً في بطن واحد فهي متشم . وتنام اخاه متنامة ولد معه فهو تشم وتؤمه وتشمه . ويقال هذا توأم للذكر وهذه توامة للانثى فاذا اجتمعا فهما توأمان وتوأم كما يقال لهما زوجان وزوج



## مكانك يا عسوّ

ظننتك وليت يا عسوّ فيما اراك تعاود جنبي السقيما  
وبالأمس كنّا حلفنا ليقطعنّا كلانا أخاه الحميا  
لعل القطيعة شقت عليك جئت تجدّ الوصال القديما

\*

مكانك يا عسوّ، ان جئتني لتشجبي فاني مللتُ الهموما  
ألا قد بلوتك حتى تبيّنتُ خلف روائك وجهاً شتيا  
كانك نمر تريح الفؤاد وتنشر في الجسم داء مقيما  
كأنك ادركت كيف تطيبُ فيك الحياة فتجري نعيما  
فأرسلت تلك الهموم اقتضاء ولم أرَ اعسر منك غريما

بشرفارسي

مصر الجديدة





امام صادق ۱۹۱

روسو



مفتی ابریل ۱۹۳۳  
فولتیر



## جان جاك روسو

تحليل دقيق لمبادئه وآرائه الفلسفية

﴿ تمهيد عن روسو ﴾ يكاد يكون روسو الوحيد بين الفلاسفة الذي انشأ نفسه بنفسه لانه لم يدخل مدرسة ولم يتعلم ويتتقف الا بين احضان الطبيعة ، فشبَّ حرّاً من كل قيد ، طليقاً من كل ما يرسف فيه غيره من اغلال العادات والتقاليد ، نفوراً من الناس لا يميل الى معاشرتهم ولا يأانس بصحبتهم ، لانه رافق البؤس منذ نعومة اظفاره وذاق من مرارة العيش وعلقتهم الحياة ما جعله حقوداً على بني البشر ، زوعاً الى لوم مساوئهم ، ميّالاً الى عدم الثقة بصدقهم وبصلاحهم . وقد كان في شبابه وسيم المحيّا جذاب الملامح وأكسبه تجواله في الجبال والادوية متانة العود ورشاقة القد فأصبح جميلاً فتاناً ولذلك صادف نجاحاً عند كل الذين تعرّف بهم ولا سيما لدى الجنس اللطيف ، وكان ذلك مدعاة لانضاج آرائه الفلسفية ومذاهبه الاجتماعية التي بثها في كتبه فجعلت في اشغال نيران الثورة الفرنسية وكان لها اكبر تأثير في مذهب الادب التجديدي المسمى رومانتيك

وقد خالف سائر الفلاسفة في آرائه وتخطأ بمراحل عديدة ، واهم فارق يبعده عنهم هو كونه حاسي . اي انه لا يهيم في اودية الخيال ليعبر عما يتصوره بادراكه وعقله بل كان يرسم بقلمه ما يشعر به بحواسه . فبينما سائر الفلاسفة يقضون اوقاتهم في التفكير كان روسو يقضي وقته بالتمتع والتألم ، وبينهما وصل غيره بالبحث والتحليل الى فكرة الرأي وتكوين العقيدة وصل هو بحسه وطبيعته الى حقيقة الادراك وصحة الاعتقاد ، فاولئك يبحثون ويحللون وهو يعيش ويشعر ، وكل ما خطته انامله مستقي من شعوره واحساسه ولذلك بدت آراؤه كأنها مستخلصة من مسبباتها ، شعرية ، حقيقية ، ثابتة ، مشيدة لا مخربة هدامة ، على نقبض آراء غيره من الفلاسفة التي تبدو على الخصوص تحليلية ، نقادة ، سلبية ، انكارية ، نافية ومدمرة . فلدى هؤلاء الفلاسفة حقد أتم ، وتهكم أعم ، واستهتار وازدراء عظيمان ، حيث لا يوجد لدن جان جاك روسو سوى حماسة وجبور وافتتان وسرور

﴿ حياة روسو ﴾ ولد جان جاك روسو في مدينة جنيف بسويسرا في اليوم الثامن والعشرين من شهر يونيو سنة ١٧١٢ من اب فقير يشتغل باصلاح الساعات ، وماتت امه وهو طفل فكفلته عمته ولكن لم ينل منهما اعتناء كبير بينما ابوه الارعن الاخرق كان يحشو عقله وتصويراته بالروايات العشقية ، فكان يقضي واياء الليالي ساهرين يقرأها بشغف وهيام حتى مطلع الفجر ،



ثم نبذ روسو الروايات والقصص وعكف على قراءة فلوطرخس المؤرخ اليوناني والاخلاق الكبير الذي وضع كتابه الشهير المسمى «تاريخ الرجال العظام عند اليونان والرومان» فلما انتهى رأسه باخبار الاقدام والشجاعة . وفي سنة ١٧٢٢ غادر والده مدينة جنيف لسبب غير مشرف وعهد بابنه الى خاله برنار والى زوجته فادخلت هذه الاخيرة روسو في معهد عند احد الرعاة الانجليكانيين الكائن في بوسي بالقرب من جنيف ، فتفتحت ميول الفتى للطبيعة لكنه عاد الى جنيف ووظف عند احد النساخ لكنه لم يحسن القيام بما طلب منه فادخل عند حفار غليظ الكبد صخري القلب كان يشبعه ضرباً فيسرق له روسو فواكه حديقته وكل ما اتصل اليه يده وكان قرب حانوت الحفار مكتبة فشرع الفتى يقرأ كل كتاب يجده على متناوله يده لكن الحفار كان يحرق له الكتب ويضربه ضرباً موجعاً اليماً . فعول روسو على ان يجده لمخرجاً مما هو فيه ، وبينما هو ذات يوم يهيم في ضواحي جنيف متمتعاً بما يتجلى امامه من مناظر الطبيعة الخلابة اقبل الليل من دون ان يدري، ولما قفل راجعاً وجد ابواب المدينة مغلقة فحمد الله على هذه الفرصة وعزم على هجر جنيف والضرب في هضاب الارض وشعابها وكان عمره وقتئذ ست عشرة سنة ، فسار في مقاطعة الساقوى فالتقى به قسيس كاثوليكي فأرسله الى قصر سيدة تسمى مدام دي وارانس اخذت على نفسها رد البروتستانت الى الكنيكة، فراقها حسن منظره فبعثت به الى دير في مدينة تورين حيث اعتنق المذهب الكاثوليكي بسهولة، وبعد ذلك غادر الدير وفي جيبه عشرات الفرنكات ولما نفذت التحق بخدمة المنازل ليعيش وبعد ما تنقل في مدن عديدة وبلدان شتى عاد الى قصر مدام دي وارانس فادخلته في دير قريب ليصبح قسيساً لكن نزعتة الآفاقية ما لبثت ان عاودته فشرد في البلاد وزار لوزان ونيوشاتيل وليون وباريس وحط رحاله في مقاطعة الشارميت الجميلة حيث مكث ثلاث سنوات من سنة ١٧٣٨ الى سنة ١٧٤٠ ، فعكف على الدرس والمطالعة واتمام ثقافته فدرس الكتب الفلسفية والتاريخية واللاهوتية والشعرية وغيرها

وبعد ما طوّحت به الاقدار في بلدان اخرى عاد الى باريس وتعرّف بالعلماء والفلاسفة، فكلّفه الفيلسوف ديدرو ان يدبج المقالات الموسيقية اللازمة لدائرة المعارف ، وفي سنة ١٧٤٩ وضعت ندوة العلوم في مدينة ديجون جائزة مالية لمن يحسن الاجابة عن هذا السؤال «هل تقدم العلوم والفنون ساعد على افساد الاخلاق او على تطهيرها ؟»

ففاز روسو بالجائزة لان جوابه كان مضاداً للرأي العام القائل بان العلوم والفنون هذبت من طباع البشر ورفعت من اخلاقهم . فظهر دفعة واحدة وذاع صيته وانتشر اسمه ولما اظهر كتابه المسمى «رسائل في عدم المساواة» احدث الكتاب ضجة عظيمة ودويّاً كبيراً في اندية الادب وفتحت الصالونات والقصور في وجه المؤلف الشاب لكنه كان جافاً في طباعه نفوراً



من الناس لا يحسن المعاشرة ولا يميل اليها ، فنبذ كل هذا وهجر المال الوفير الذي كان يتدفق عليه وعاد الى تجواله رغم تمسك رجال الادب والفلسفة به

وفي سنة ١٧٥٤ رجع الى احضان البروتستانتية ، وبعد ما جاس الديار في فرنسا وسويسرا وانجلترا وعشق كثيراً وتبذل اكثر عاد الى باريس وسكن في منزل حقير وشرع ينسخ القطع الموسيقية ليجد ما يقتات به بعد ما صودرت كتبه في كل البلدان تقريباً

وعندئذ تولاه شبه جنون كان يصور له الناس كلهم اعداء له يعملون على النكاية به فأغلق بابيه دون قصاده وزواره الذين كان معظمهم من علية القوم وذوي المكانة الادبية والعلمية وكان يطردهم بغلظة وفظاظة ، ومات في سنة ١٧٧٨ فقيراً معدماً ويقول التاريخ من المحتمل ان يكون قد انتحر مدفوعاً الى ذلك بالخلل الذي طرأ على عقله

﴿ مؤلفات روسو ﴾ لبث هذا الفيلسوف الكبير والكاتب المبقري حتى السابعة والثلاثين من دون ان يخط شيئاً او يبرز رأياً الى ان جرت مباراة اكااديمية العلوم في ديجون في هل ساعد تقدم العلوم والفنون على رقي الاخلاق او عمل على افسادها ، فكتب رسالته الشهيرة وفاز بها على سائر المتسابقين وكان ذلك في سنة ١٧٤٩ ، ومنذ ذلك الزمن حتى سنة ١٧٦٢ اي في اثنتي عشرة سنة وضع كل مؤلفاته التي رفعتها الى اعلى طبقة بين رجال الفلسفة والادب وهي «نارسيس» و«هياويز الجديدة» و«رسالة في المناظر» و«العقد الاجتماعي» و«اميل» و«رسائل في عدم المساواة» واما «اعترافاته» و«متماتها» «التأملات» فقد ألفها في الست عشرة سنة الاخيرة ، وهي ليست بذات قيمة من الوجهتين الفلسفية والادبية ، لانها ليست سوى تخيلات شيخ طاعن في السن يحيا بتذكاراته الماضية معيداً في مخيلته باشتياق عظيم ولذة كبيرة حياته السالفة المشوشة غير المنتظمة ﴿ آراء روسو الفلسفية الاجمالية ﴾ الانسان صالح في حالته الطبيعية ، وكيف يمكنه ان يكون غير ذلك والشرائع غير موجودة وعلم الاخلاق الاصلاحي لا اثر له ؟ فهو لا يخطيء ضد القواعد اذ ليس ثمت قواعد ، وهو اناني لكنه لا يتبع في ذلك غير الغريزة التي تملي عليه المحافظة على بقائه ، فهو اذن بريء كالحيوان ، لا يسعى الا لاشباع حاجته فلا يمد يده باذى الى احد ، ولا يتطلب شيئاً غير ذلك اذا ما نال تلك الحاجة . وهو ذو احساسات لطيفة او متعبة توقف نشاطه وتنبيه غريزته ، ولا يتطرق اليه الفساد الا في اليوم الذي يعلو فيه تفكيره على احساسه ويسمو فيه عقله على غريزته ، فعندئذ تخلي انانيته الشرعية الجميلة المكان للنفعية الظالمة الكريمة ، فالتنازع والشقاء يتولدان من تعدد الاحتياجات ومن الابتكارات المصطنعة لذات الآراء ، ومن الاحتياطات للمنافع المقبلة المخالفة للطبيعة ، فالاجتماع قد افسده بما يجاهده فيه التفكير والعقل والمنفعة ، وباماتته في عاطفته حاسة الشفقة ، وبتنبيهه فيه شهوات النفس الى ما وراء حاجته ، وبتخطيه في ذلك حدود الحاضر وتطلعه بلهف الى المستقبل القريب والبعيد



﴿ رأيه في «رسالته في عدم المساواة» ﴾ يظهر لمن يدرس مؤلفات هذا الفيلسوف ان آراءه متضاربة متناقضة ومبادة لانسير على وتيرة واحدة بل هي متعارضة متباعدة قد ينقض بعضها بعضاً ، وهذا ما عابه عليه كثير من النقاد ، ولكن من يتعمق في درس كتب روسو ويستوعبها بكل دقائقها يجد ان آراءه وان بدت في الظاهر غير ذات صلة فهي في الباطن متضامنة متناسقة متسلسلة ترمي الى غرض واحد وهو ان الانسان خلق حراً فاستعبد وولد سعيداً فأرهق بالمظالم والمغارم ، وان الانسان الطبيعي اشرف نفساً وارفع مبدءاً من الانسان الاجتماعي فيجب اذن الرجوع الى الطبيعة ولكن في عدم تقهقر الانسان عما وصل اليه في الاجتماع ، لان الطبيعة لاتتقهقر — وهنا سر المآخذ التي يأخذها النقاد على روسو — فهو يعترف في بعض كتبه مجلياً هذه النقطة من ان الانسان الاجتماعي افضل من الانسان الاصلي أي من الانسان القديم الذي كان يعيش في احضان الطبيعة كالحيو ان العجم ، ولكن يجب ان ينقش الاجتماع من الشوائب التي تسالت اليه لكي يتسنى للانسان الاجتماعي ان يعيش في بيئته الجديدة حراً اطلاقاً من كل قيد ، سعيداً لا يرهقه عسفف ولا ينزل به ظلم او جور ، بعيداً عن المؤثرات الاجتماعية التي تفسد ميوله الفطرية السامية وتدهور اخلاقه وتنزل من سمو نزاته ومراميه. واما رأيه الذي ابداه في عدم المساواة فينحصر بقوله : ان رذيلة الاجتماع الاساسية هي عدم المساواة بين افراد البشر ، وتوجد في الطبيعة ايضاً تقيصة مثل هذه لكنها لاتمنع احداً من ارضاء شهوة نفسه ، ولا تسعى احداً من العمل على ارضائها ، فهي تترك كل واحد حراً وتوجده صالحاً وسعيداً ، واما عدم المساواة الاجتماعية فهي تخلق امتيازات بين افراد بني الانسان فتقول لبعضهم خذوا كل شيء ، ولا تعملوا شيئاً بينما تقول لسواد الناس : كذوا واتعبوا ولكن ليس لانفسكم بل لغيركم . فتشجع بذلك ظلاماً وعبيداً واشراراً واشقياء واصل الداء الاجتماعي المليك ، فهو ركن الهيئته الاجتماعية ودعامتها المتينة ، فالقوة والجاه والعظمة والشرف كل هذه الصفات المجحفة تعود الى عدم المساواة في توزيع الاموال أي تعود الى المليك ، وبمراعاة هذه الحالة يمكننا ان نعبر عن الشر الاجتماعي بأنه تعارض بين الغنى والفقر ﴿ جوابه عن سؤال اكااديمية العلوم في ديجون ﴾ لما كان الاجتماع شريراً في جوهره ، ولما كان كل تقدمه ينحصر في كونه يسير من سيئ الى أسوأ ، فسميئة الحالة الاجتماعية البارزة هي دليل على فساد اشد واقوى ، أي كلما امعن الاجتماع في رقيه كان شره أعم وضره أتم ، لان تقدم الهيئته الاجتماعية يقاس بدرجة ايناع الآداب والفنون التي هي ابتكارات الانسانية الذكية ، غير انها تدل دلالة واضحة على عسفف هذه الانسانية وظلمها ، لان هذه الابتكارات متولدة من الشر ، وهي في الوقت نفسه تُذكّرنا بهذا الشر وتزيد في ضرامه ، لانا نرى في كل مكان الآداب والفنون على صلة وثيقة بالترف ، وما الترف الا غنى البعض بشقاء الكل



﴿ مذهب روسو في العقد الاجتماعي ﴾ الرجوع الى الطبيعة . . ولكن لما كانت الطبيعة قد بعدت بين الحالة الفطرية والحالة الاجتماعية لايتسنى للانسان ان يتخلص من هذه ليعود الى تلك . واذا أمكنه ذلك اصبح اشقى مما كان ، لان الانسان المتوحش والانسان المتمدن يختلفان اختلافاً عظيماً بنزعاتهما وعواطفهما واميالهما وخوارج فؤاديهما حتى ان ما يسبب سعادة الواحد يعود بالتعس على الآخر ، لان الانسان المدني افضل من الانسان الفطري من عدة وجوه ، ولو انه في حالته الجديدة يتجرد من مزايا عديدة كانت تمنحها له الطبيعة، ولكنه يرجح في مقابل ذلك مزايا اخرى عظيمة، فخواصه تتمرن وتبسط ، وقواه العقلية تتمرس بشؤون الحياة ، وافكاره تتسع ، وعواطفه تسمو وتشرف ، ونفسه كلها ترتفع وتعلو حتى انه لولا التطرف في تقمصه الحديث الذي ينزل به في اكثر الاحيان الى دركة احط من التي ارتفع منها لوجب عليه ان يبارك الزمن السعيد الذي انتشله الى الابد من تلك الهوة العميقة ، والذي جعل منه مخلوقاً ذكياً بل صيره انساناً بكل معنى الكلمة

ان روسو لا يود ان يعود الانسان القهقري الوف السنين ليفوز بالمزايا الفطرية التي كان يتحلى بها بل يريد ان يحتفظ هذا الانسان بما وصل اليه من رقي عقلي وثقافة ذهني وتقدم علمي دون ان تسف الاخلاق الاجتماعية بهذه الصفات السامية الى الدرك الاسفل ويتطلب هذا الفيلسوف من الهيئة الاجتماعية ان تمنح هذا الكائن النازع الى الكمال الحرية والسعادة والطيبة والصلاح وهي المزايا الطبيعية التي كان الانسان الاول يتحلى بها قبل ان يجرده منها الاجتماع ومساوئه ، ويعقب على ذلك بقوله ان الطبيعة اوجدت الانسان صالحاً لكن الاجتماع أفسده ، ولا يمكن للانسان ان يعود الى صلاحه الفطري الا بالله الذي خلقه صالحاً لكنه زاع وحاد عن الطريق السوي ، فالله القائم في نفسه يعيده الى ما كان عليه ، لانه ينبوع العزيمة الاخلاقية وسند الارادة وخير كفيل للتعهدات النفسية واعظم شهيد على خوارج القلب ونزعات الفؤاد، وبدون الله ينهار كل شيء ويضمحل بل يزول ويعفو اثره ورأي روسو في العقد الاجتماعي ان لا يقتصر الاصلاح على الفرد بل يتناول المجموع ، فكما ان الفرد في حاجة الى تقويم مبادئه برجوعه الى فطرته الاولى كذلك الاجتماع محتاج الى الاصلاح في أسسه وتشريعه ، ويتسنى للهيئة الاجتماعية تنقية شوائبها برجوعها الى مبادئها أي الى السبب الذي كُوت من أجله

﴿ فلسفة روسو في كتابه « إميل او التربية » ﴾ التجديد المطلوب للفرد يبدأ بالتربية، فالطبيعة صالحة والهيئة الاجتماعية شريرة ، فيجب اذن ترك الحرية للطبيعة لتعمل عملها الصالح وابعاد الاجتماع عن التعرض لامر الطفل الذي يجب ان يكون بمعزل عن كل تأثير اجتماعي . فالطبيعة اوجدت الانسان المتوحش ، فلنجعل طفلنا متوحشاً ، ولنقوّ جسمه ولنسنم



حواسه ونبته غريزته ونساعد فكره على التخلص من احساساته ولنصبر حتى يبدو عقله بدون ان نستعجل نضوجه بالوسائل ، فالانسانية تعاملت بالاحتياج والاختبار ، فلنهي للتاميد الاحتياج ولنجهز له التجارب والاختبارات ، فالشكل البارز للفساد الاجتماعي هو في وقتنا هذا « علم الادب » فيجب اقضاء الكتب عن التاميد الذي لا يجب ان يبدأ بالقراءة الا في السن التي يتسنى لعقله فيها نبذ الرذيلة وتفهم الجمال ، فالطبيعة لا تعرف غير الله ، واما القواعد الدينية فمن مبتكرات الهيئة الاجتماعية

فعلينا اذن ان لا نظهر للتاميد غير الله ، وان لا نظهره له الا عند ما يتمكن هو من رؤيته في الطهارة وفي لا نهاية جوهره ، فاذا نهجنا هذا المنهج شب طفلاً قوياً نبهاً صالحاً ذكياً عاقلاً تقياً سعيداً لان الانسان الفطري الذي اُمنى في الطفل دون ان يفسده مبدأ اجتماعي قد مكّنه من الفوز بكل مزايا الطبيعة دون ان يتسلل الي هذه المزايا تقاؤص الانسان المدني ورذائله من اين استوحى روسو آراءه وافكاره \* تدور كل مؤلفات روسو على محور الفردية ، فعقيدته باجمعها مستقاة مما أُلهم بشخصه ، لانه عبّر في كتبه عن ذاته وعن صلته بالهيئة الاجتماعية . ولكن لا يجب ان يتبادر الى الذهن ان روسو انما أتى بآراء وافكار لم يسبقه اليها احد قبله ، فقد كان شأنه في ذلك شأن غيره من الفلاسفة والكتّاب ، فالمتأخر يأخذ عن المتقدم نظريات يعود الفضل فيها اليه لتوسعه في شرحها وتبيانها وإلباسها ثوباً قشيباً لم يكن لها من قبل حتى تبدو كأنها جديدة لروائها وبهاها

فقد اخذ روسو عن الفيلسوف ديدرو رأيه في مناصبة الاجتماع العداء وفي العودة الى الطبيعة ، وتناول من كوندتيك مذهب الحاض على الاخذ بالامور الحسية والانتقال من المشخص الى المجرد ومساعدة الطفل على ان يكتشف بنفسه كل الافكار والآراء عوضاً عن ان نلقنه اياها ( وهذا ما بنى روسو عليه كتابه المسمى اميل او التربية )

واخذ عن بوفون الآراء المدعمة والمقومة لحدهسه عن الانسان الفطري وعن مذهب التحول القاضي بتطور العالم وما فيه من الكائنات ، وتناول من مونتسكيه فكرة الشخص المتوحش الخجول البريء وفكرة عدم المساواة وظلم الجماعات للفرد ، واخذ ايضاً عن هذا الكاتب الاقتصادي والاجتماعي وعن بوسيه وعن هيز المذهب القائل ان كل الحقوق تتخذ اصولها ودعائمها من الهيئة الاجتماعية وان الانسان يستمد هذه الحقوق كلها من الاجتماع نفسه ، وتناول عن بسكال فكرة الحكم على الملك الذي كان ذلك الفيلسوف يعده اغتصاباً يئساً وصفوة القول ان كل هذه الآراء كانت شائعة في زمن روسو فجمعها هذا وصاغها في قالب يستهوي القلوب ووسمها بمسمعه الفصيح الشائق مستمداً من حالته النفسية ومعيشته ونشأته ما جعلها فتنة خلافة



﴿مقابلة في المعتقّد بين روسو وفولتير﴾ يعجب البعض كيف ان جان جاك روسو ظلّ مؤمناً وهو الذي شنّ الغارة على كل سلطة مع ان فولتير لم يتطرّف تطرّفه لكنه كان ملجداً كافراً لا يؤمن بالله بل لا يعتقد بوجوده. فروسو كان بروتستانتيّاً والتابع لهذا المذهب المسيحي لا يسعهُ مهما شطّط به الآراء ان ينقلب على دينه ويناصبه العداء لان المذهب نفسه يبيح له حرية الرأي والتفكير والاخذ بما يرتئيه وان كان رأيه هذا مخالفاً لآراء اخوانه في المذهب والمعتقد ، بينما الدين الكاثوليكي لا يسمح باقل شذوذ او خروج عن المعتقد المحدود وسلطته العليا التي يجب الرضوخ لها تحم على كل من لا يعتقد بحجّياته وكنياته ان يخرج من احضانه ولما كان فولتير كاثوليكيّاً شاذاً في الاعتقاد متطرفاً في الرأي يأبى ان يخضع لسلطة مذهبه فقد أبعد عن الكنيسة الكاثوليكية ولذلك ناصب الدين العداء طيلة حياته حتى ان الشطط بلغ به الى ان يتصور الله سبحانه وتعالى فكراً — ليس الا — انتجته الاقيسة الفلسفية ووسومة اظهرتها المنافع العمومية . فالفرق اذن بعيد بين فلسفة روسو القائمة على نبذ كل شيء في الدين ما عدا الله الذي كان جان جاك يعتقد به اعتقاداً راسخاً وبين فلسفة فولتير المشيدة على الكفر والاحاد وعلى نبذ كل شيء حتى الله جلّ جلاله

ولكن لا يسع كل انسان مهما تحجر قلبه وصلدت عواطفه ومهما إدعى الكفر والاحاد وملاً السامع شقشقة لسان وحشا الكتب بالمروق والزندقة الا ان يعترف في قرارة نفسه بأنه يوجد إله قوي يسيطر على العالم ويهيمن على العباد ، ولذلك لما رأى فولتير الذي ملأ الدنيا بكفره والحاده نفسه على فراش الموت وتطلع فيما حوله فلم يجد صديقاً ولا حميماً حقيقيين ورفع رأسه الى علي فازورت عنه رحمة الله لانه لم يتطلبها . . لما رأى نفسه في هذه التبعة اقرّ رغم انه بوجود الله الذي انكره وصاح من فؤاد مكلم : اني اموت منبوءاً من الله والناس

﴿مذهب روسو في بوتقة النقد﴾ ان مذهب روسو وان كان خلافاً في مظهره الخارجي لكن باطنه يرتكز على دعائم تكاد تكون سفسطية اي قياسية ليس الا ، لاسيما فيما يتعلق بتسلسله ونتاجه السلبية ، اذ لا يمكننا ان نوافق هذا الفيلسوف على زعمه من ان الانسان الفطري كان صالحاً للدرجة التي صورها ، اللهم الا اذا كان صلاحه ممائلاً كما يقول روسو لصلاح القرد المسمى « الاوران اوتان » الذي لا يفكر بامر غده ولا يجمع المال ولا يدّخره ولا يستخر غيره من القردة ولا يستعبد لها ولا يجمعها ولا يسجنها ولا يمعن فيها فتكاً وقتلاً

ثم الشر الموجود في الدنيا الذي ينسبه جان جاك الى الهية الاجتماعية ، فهذا في حد ذاته قابل للنقد والتفنيد لان الاجتماع عمل طبيعي فيكون اذن صالحاً اذا كانت الطبيعة صالحة وشريراً اذا كانت شريرة ، ولا يمكن والحالة هذه نسبة الشر اليه ونفيه عن الطبيعة طالما ان الاثنين مرتبطان والواحد منهما مشتق من الآخر ، هذا فضلاً عن ان الاجتماع انما وجد ليعالج



الشر ويدأويه ويستأصله اذا تسنى له ذلك. يقول روسو في كتابه «العقد الاجتماعي» ان الفرد قد باع نفسه بكليتها الى الهئية الاجتماعية ، وهو قول مردود بطبيعته لان الانسان لا يمنع الاجتماع من حريته الا النزر اليسير الذي يكفي هذا الاجتماع ليقوم بالمهمة المطلوبة منه واما مبدأ جان جاك فيما يختص بالمبدأ الذي ينعتة بحجر الزاوية القائم عليه الاجتماع ويعده اصل شرور العالم ومنبع جرثومتها فلا يقوم على قاعدة ثابتة لا يأتيناها الباطل لان هذا المبدأ مشكوك في صحته مثل حقائق الاشتراكية والشيوعية النظرية وتأثيراتها العملية وكتاب روسو المسمى «اميل او التربية» يكاد يكون عقيماً لانه لما كانت الطهارة الفطرية التي ينشدها ليست حقيقة راهنة فالتربية السلبية تصبح اذن جنوناً مطبقاً ، لان نبذ السلطة الابوية وابعاد الكتب عن التلميذ وتركه يتخبط في دياجير الجهل حتى الثانية عشرة من عمره من أضر الأمور به لان الذكاء لا يتقوى ويظهر الا بالتدريب والممارسة ، واذا لم يمتلئ العقل بالحقائق امتلأ بالكاذيب والترهات ، فكان روسو اراد ان يمنع عن الطفل شراً فغلب عليه ضرراً عديدة . فطريقته اذن في التربية منقوضة لانها لا تعد التلميذ للحياة التي تتلخص في كلمتين اثنتين لا ثالث لهما وهما «سعي وملل» فالانسان خالق ليكد لا ليتمتع ، وليكد ويتعب ليس في الوقت الذي يطيب له الكد والتعب فيه بل في الوقت الذي يحول لغيره او للحظ ان يطلب منه الكد فيه والتعب ، فالتربية يجب ان تعلمنا اذن ان نعمل ما نسام منه في الوقت الذي نسام من العمل فيه أكثر من غيره. هذا هو مجمل مذهب جان جاك روسو ، وهو لعمري نظري أكثر منه عملي ، ولا نغالي اذا قلنا ان تطبيقه يكاد يكون مستحيلاً لانه لم يعمل به قط واكبر فلنا انه لن يعمل به في السنين المقبلة بل في العصور الآتية مهما دار الزمن وتطورت طبائع البشر ﴿ الفضائل في مذهب روسو ﴾ ليس نقدنا لآراء هذا الكاتب الاجتماعي والفيلسوف الكبير دليلاً على ان مذهبه الفلسفي لا يؤبه له فقد ابدينا ما يؤاخذ عليه ليتسنى لنا اظهار حسناته الجمة بل فضائله التي وان كانت البشرية لا تقدر على العمل بموجبها للانانية المتسلطة على عقول بنينا ولما اختطلته لنفسها من طريق لا يمكنها الحيدة عنها ولا النكوص ولكن هذا لا يمنع هذه الفضائل من ان تكون مثلاً اعلى للاجتماع لا يتسنى لهذا ادراكه لاسباب حجة لا يسعنا حصرها هنا لقد برز روسو فولتير بآرائه الفلسفية التي تأثر بها عصره تأثراً عظيماً حتى كانت السبب المباشر لشبوب الثورة الفرنسية . فقد اوضح في كتاب «العقد الاجتماعي» ان الهئية الاجتماعية شركة غايتها المحافظة على كيان الاعضاء المؤلفة منهم والدفاع عنهم ، وان الحكومة لا تكون شرعية الا اذا جعلت غايتها الوحيدة المصاحبة العامة ، فاذا راعت ذلك انتفت المظالم وزالت المغارم ويغلب على الظن — خلافاً لما توهمه البعض — ان روسو لم يسع لاسقاط شكل من اشكال الحكومة بل عمل ما في وسعه لملاشاة مبادئ الحكومات وغطاها التي عدّها مجحفة بحقوق الافراد ، فاذا راعينا ذلك تبدى لنا ان مذهب سيادة الامة هي الحقيقة الراهنة التي لا نزاع

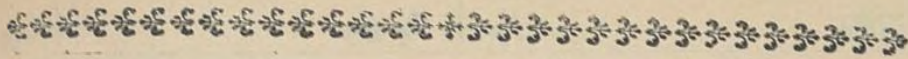


فيها لأنها تنفي استغلال الشعب بواسطة الجماعات أو بواسطة فرد واحد ويمتاز روسو بكونه أول من حمل على المشكلة الاجتماعية الخطيرة التي تنحصر في الترف من جهة والحرمان من جهة أخرى وفي الغنى والفقر والانانية والكبد للغير ، فكل هذه المظالم التي تحيق بالافراد اساسها الامتلاك فاذا زال هذا السبب زالت نتائجها واضمحلت مسبباته الوخيمة وقد اصاب بقوله في «عدم المساواة» ان عدم المساواة السياسية والاجتماعية تكاد لا تظهر ولا يبدو لها اثر اذ كان هناك تساوي في الاخلاق والعقول والمدارك ، فحيث يعيش الاشراف والنبلاء والمسيطرون نفس المعيشة التي يعيشها عامة الشعب ويكون لاولئك نفس الافكار والآراء التي لهؤلاء تنتفي عدم المساواة فلا يعود ثمة غرم ولا ظلم . ورأي روسو الذي ابداه في رواية «هيلويز الجديدة» من الآراء الاجتماعية السديدة ، فقد اظهر فيه تجديد الانسان الخلقي الكامل وكيف يحصل ويتم ، وشن على الكذب الاجتماعي والنفاق الانساني غارة شعواء ، لان هيئتنا الاجتماعية العتيقة قد شاخت ونال منها الكبر وهي تعيش معيشة صناعية لا طبيعية ، فدأبها في حياتها الرضوخ للعواطف والملاذ وجنوحها لاسلوك والآداب الخلقية الخارجة عن دائرة الحقيقة ، فالاعتبارات عندها تسمح بازدياد الفضائل عوضاً عن ازدياد التقاليد المرعية واللباقات الوضعية ، ومما يؤسف له انها بعد ما تطلب من الانسان التضحية بضميره وبفعله ونزاهته واستقامته في سبيل انالته الهناءة التي يصبو اليها لا تنجز الوعد بل تنقض عهدها معه دون مبالاة كأنها لا تأتي امراً إذا

ومن اجل ما في كتاب «اميل او التربية» الفكرة الاساسية القائلة : اذا كان نشوء الفرد يرد على وجه الاختصار تطور النوع وارتقاءه فتعليم الطفل يجب ان يظهر بشكل ضاف حركة الانسانية العامة ، لان سن الاحساس يسبق سن التفكير ، والتربية الجسدية تسبق التربية العقلية ، فيجب اذن في بادىء الامر تقوية الجسم وتحديد الحواس ، ولا يمرن العقل الا لخدم الحواس والجسم ، فالطفل ينشأ والحالة هذه متوحشاً قوياً حذقاً لسيقاً مراوفاً مخلاً ، وأما الذكاء فيأتي بعد ذلك اي عند ما تهيأ له كل الاعضاء الصالحة التي يتسنى لها تقديم ما هو في حاجة اليه من التأثيرات والمشاعر ، وتتمكن من تأدية كل ما يطلبه منها من الفعال والاعمال هذا هو الفيلسوف الكبير جان جاك روسو الذي قام في القرن الثامن عشر في وجه الهيئة الاجتماعية متهماً اياها بازاغة الانسان عن محجة الصواب وطالباً منها تركه ليعود الى احضان الطبيعة التي يجد فيها الطيبة والصلاح ، فقد قامت فلسفته كلها على الرجوع الى الحالة الفطرية التي يعدها اكبر مذهب للاخلاق واعظم مثقف للمدارك

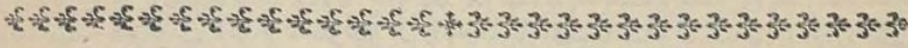
وقد كان لمذهبه هذا في ذلك العصر الذي عم فيه الفساد وتدهورت فيه الاخلاق حتى بلغت الدرك الاسفل صدى دوى في ارجاء المعمورة فرفع بصاحبه الى السماك الاعزل





# ما هو العلم

ليعقوب فام



كنت اتحدث مع طالب في احدى المدارس العالية ، وقادنا الحديث الى العلم ومعنى العلم وغايته ، فاخبرني الطالب ان استاذاً من اساتذة الجامعة يعرف العلم بالكلام الآتي او بما هو في معناه: « العلم هو الحقائق التي اذا وضعت امام عقل بشري في احوال معينة يفهمها كما يفهمها اي عقل بشري آخر في الاحوال نفسها ، وهذه الحقائق لا تتغير بمرور الزمن ». فلناخذ هذا التعريف ولنجعله اساساً للبحث عسانا نخرج منه بشيء

ونستطيع ان نزعّم لاول وهلة ان هذا التعريف لا ينطبق على الواقع وذلك لان العلم ليس هو الحقائق اولا ولان العقل البشري لا يعرفها حتماً في كل الاحوال ثانياً ، ولان الاحوال لا تتشابه ثالثاً لست افهم في الواقع كيف ان وجود نفس بشرية في احوال مشابهة لاحوال نفس اخرى يقدم او يؤخر في معنى العلم . هل ولادة الانسان في بلاد باردة او حارة ، وخضوعه لمؤثرات بيئة معينة من تعليم وتربية وحياة اجتماعية ، هل تؤثر هذه جميعاً في معنى العلم . ثم ماهي هذه الاحوال التي يجب ان تتشابه ؟ هل هي احوال البيئة ام احوال نفسية سيكلوجية ؟ هل مرض العالم او الفرد ، وهل احساساته النفسية من غضب ورضى وحزن وفرح ، يغير من معنى العلم ؟ ام يقصد بالتشابه في الاحوال درجة معينة من الثقافة تمكن الانسان من فهم الحقائق كما يفهمها غيره ، وما هي الدرجة وكيف نقيسها ونعرفها على التحقيق ؟ كيف نعرف ان فلاناً وعلاناً في درجة واحدة من الثقافة . الحق اني اشعر ان التشابه في الاحوال كلام مبهم مرسل لا يمكن التثبت منه ، واعرف ايضاً من الدراسات النفسية ان هذا التشابه في الاحوال غير مستطاع ، واعلم ان لكل انسان في الدنيا شخصية مستقلة قائمة بذاتها لا يمكن ان تشبه شخصية اخرى من جميع الوجوه . الحق انه من الخطأ الكبير ان يبني الاستاذ تعريفه للعلم على شيء لا يمكن ان يتحقق ، لانه ظاهر من كلامه انه اذا لم يتوافر هذا الشرط انهار التعريف

وضع ارسطو مبدأ في الفلسفة الطبيعية Physics وهو هذا « لو قذفت بتقنين مختلفين من معدن واحد من مكان مرتفع ، يصل اكبرهما الى الارض قبل الآخر » فكأنك لو قذفت قطعتين من الحديد احدهما وزن رطلاً والاخرى رطلين الى الارض من مكان مرتفع ، فلا بد ان تصل القطعة التي وزنها رطلان قبل الاخرى ، او بعبارة اخرى ان جذب الارض لهذه اسرع من جذبها لتلك . استنبط ارسطو هذه القاعدة وفهمها في ظرف معين ، وفهمها الوف



من الناس ومثبات من العلماء واخذوا بها في ظرف معين ايضاً فهل هذه حقيقة اولاً وهل هذا علم ثانياً . اظنه من المحتم ان تقبلها على انها حقيقة علمية اولاً وعلى انها علم ثانياً اذا اخذنا بالتعريف السابق

ثم جاء جاليليو بعد ذلك بقرون واجرى هذه التجربة من قمة برج بيزا المائل فوصلت القطعتان الى الارض في وقت واحد ، وشهد هذه الظاهرة اساتذة الجامعة زملاء جاليليو، ولم يفهموها وزعموا ان جاليليو مخطيء وارسطو مصيب . نعم اخطأ جاليليو لان المعلم الاول لا يمكن ان يخطيء ، ثم اخطأ جاليليو ايضاً لانه اجرى التجربة اصلاً ، وكان يجب ان لا يجربها اوفكر في هذا بعد ان قال ارسطو بضده . تشيع الاساتذة لارسطو وتشيع الجمهور للاساتذة وفهمهم كل عقل بشري في تلك الاحوال او في ذلك العصر . فماذا ينتج من هذا ، ينتج منه بالطبع ، اذا اخذنا برأي استاذنا ، ان هذه الظاهرة ليست من العلم ولا تمت اليه بسبب ، ولكنها علم ايضاً وفي نفس الوقت لأن الدنيا بأسرها تؤمن بهذه الحقيقة في الوقت الحاضر ، والعقول البشرية في مختلف الاحوال — لا بل برغم اختلاف الاحوال — تفهمها وتؤمن بها اذن لا يجدر بنا ان نقبل هذا التعريف لهذين السبيين

ولكن هنالك ما هو ادهى من ذلك وامرٌ ، وهو هذا التطابق بين العلم وحقائقه ، ففرق كبير بين العلم في ذاته والحقائق العلمية ، فرق بين ان يكون دوران الارض مثلاً حقيقة علمية وبين ان يكون دورانها هو العلم نفسه . ألا يرى الاستاذ رأيي في ان العلم شيء والحقائق شيء آخر ؟ لا بد ان يرى ذلك لانه ان لم يفعل ارتطم في مشاك كل لاحصر لها . ومثل واحد او مثلان بسيطان يكفيان لاثبات ما نذهب اليه . اليك مثلاً بسيطاً : الاستاذ يقطن شارع كذا من الحي الفلاني بمدينة القاهرة . هذه حقيقة ويفهمها كل عقل بشري في نفس الاحوال . أليس كذلك ؟ ولكن هل هذا علم ؟ هل العلم وسكن الانسان في مكان معين شيء واحد ؟ وهل يقول بهذا القول انسان عاقل . ومثل آخر : القاهرة لها حكومة — هذه حقيقة — ولكن هل هذا هو العلم ؟ اظن لا يحسن بنا ان نسترسل في هذه الامثال لأن الخطأ فيها ظاهر واضح ولا تجوز الاطالة فيما هو ظاهر واضح

وملخص القول ان هذا التعريف خطأ وانه لم ينل حظهُ من التفكير المنظم بل ارسل ارسالاً من غير تمحيص ، وكان يجب ان يمحّص ويدرس قبل ان يعطى للناس على انه شيء بحتمل النقد ويصمد له

نخرج من هذا كله بأن تعريف العلم على هذا النحو — سواء أ كان الاستاذ قد قال بهذا ام لم يقل به — خطأ صريح ، واذن فلنبحث عن تعريف آخر يستطيع ان يثبت على النقد والتجريح ، ويصلح للتداول بين الناس ويكون مطابقاً للحقيقة والواقع



ولكي نصل الى المعنى الحقيقي للعلم يحسن بنا ان نتناوله من ناحية وظيفته ، فهذه هي الطريقة المثلى في تفهم امثال هذه المباحث ، فلو اردت ان تفهم معنى الفلسفة او علم الاجتماع او علم النفس او الطبيعة والكيمياء والفلك وامثال هذه الضروب من العلم ، يكون من المفيد المجدي ان تنظر فيما تفعل هذه العلوم ، ماذا تتناول من مظاهر الكون وماذا تفعل بهذه المظاهر عند ما تتناولها والوسائل التي تستخدمها هذه العلوم عند ما تتناولها . كل هذه وأشباهاها امور لا يمكن الاستغناء عنها عند بحث اختصاص كل فرع من العلوم على حدة ، وكل الفروع مجتمعة ، وفي معنى العلم عامة . لست ارى طريقة اخرى لبحث العلم باي شكل من الاشكال والشيء الذي نلاحظه هو ان العلم يتناول مظاهر الطبيعة هذه بالبحث والتقليب كي يستطيع ان يميز بين السبب والمسبب ، العلة والمعلول ، كيف أتت هذه الظاهرة المعينة هنا ، وماذا أتت بها ، وما هو الاثر الذي تخلفه ، او ماذا تصنع بعد ان أخذت مكانها من نظام الدنيا . فلما ظاهرة من الظواهر ، ولكن كيف تكون ، وماذا كونه ، وما هي مقادير أجزائه ، وهل هذه الاجزاء وحدات صماء ام هي الاخرى مركب من اجزاء اصغر وادق وما خصائص هذه الاجزاء على حدة ، وكيف تقيسها هل نعدّها واحدة واحدة أم نكسبها بمكيال ، ام نزنها ام نقيسها بالذراع . كذلك يسير بنا العلم على هذا النمط الى ان نصل الى حيث يستطيع العلم أن يقودنا

قلنا ان العلم يتناول الظواهر الطبيعية ، وتقصد هذا على اطلاقه ، وبمعنى آخر تقصد بعض العلوم التي يكون موضوعها من صنع العقل البشري ، أي ان المواد التي تتناولها بالفحص والتقليب ليس لها وجود موضوعي بين المظاهر المادية ، ومن بين هذه المواضيع علم المنطق والرياضيات ، فليس لهذه الانواع من العلم مظاهر موضوعية تبحثها وتدرسها ، وانما موضوعها هو في الواقع من خلق العقل البشري ، فليس للميتافيزيقا موضوع مادي تبحث فيه ، وكذلك ليس للارقام او الترتيب المنطقي للتفكير وجود مستقل عن العقل البشري ، ومع ذلك ندججها جميعاً ونطويها تحت المظاهر الطبيعية لأن الانسان في جلته موجود مادي ، او هو في مجموع مظهر من مظاهر الطبيعة ، وعلى هذا نعتبر ما يوجد ويخلق من مظاهر الطبيعة شأنه كشأن كل شيء آخر من الموجودات

اذن فأول شيء نلاحظه عن العلم انه يتناول المظاهر الطبيعية بالتقليب والبحث ، ولكن لماذا يقلبها ويبحثها ، وما الذي يسعى وراءه من هذا التقليب والبحث

فاول ما يصنعه العلم هو ان يشاهد هذه الظواهر لكي يتعرف خواصها والملاسات التي تلازمها ، كأن تكون سائلة أو جامدة أو غازية ، وثقيلة او خفيفة ، وتتصرف كذا او كذلك في الاحوال المتباينة ، فالنور مثلاً ينتقل من مكان الى مكان في امواج من



طول معين ، وينحني عند ما يمر بجوار الاجرام السماوية بحسب مذهب اينشتين ، وينكسر عند ما يمر في الغازات والسوائل والجوامد الشفافة كالماء والزجاج ، ويتحلل الى ألوان عند ما يمر في المخروطات البلورية ، وله ضغط يستطاع قياسه ، ولا يظهر الا اذا كان انعكس على الاجسام ، وغير ذلك من هذه الخواص والمميزات التي تلازمه ، فكان وظيفة العلم الاولى هي ان يصف المظاهر الطبيعية

وظيفة العلم الثانية هي ان يحلل تلك الظواهر الى عناصرها الاولى التي تتكوّن منها ، والواقع ان كثيرين من الفلاسفة والعلماء يذهبون الى ان وظيفة العلم الاساسية هي ان يحلل الاشياء ويرجعها الى ما تتركب منه من المادة ، وادوات العلم وآلاته مصنوعة لهذا الغرض بعينه قبل ان تكون مصنوعة لأي غرض آخر ، واطن ان هذا هو الواقع . نعم لا ننكر أنه يركب بعض تلك الظواهر في بعض الاحيان ، كأن يجمع بعض المواد الى بعض ويكون منها وحدات جديدة قد يكون لها خصائص ومميزات لم تكن لعناصرها الاولى ، لاننكر ان العلم يستطيع ان يركب الماء من عنصريه ، ويستطيع ان يركب كثيراً من المواد العضوية من عناصرها ، ولكنه لم يفعل ذلك ولم يحاوله بوجه من الوجوه الا بعد ان أخذ الماء كما قدمته الطبيعة وحلله وعرف عناصره ونسب هذه العناصر بعضها الى بعض وخواص كل عنصر على حدة ونصرفه في الظروف المختلفة ثم بعد ان بحث كل هذا وعرفه حق معرفته ، اخذ يكون الماء من هذه العناصر ، وهكذا فعل في المواد العضوية . فكان العلم يحلل الظواهر ليفهمها ثم يركبها على سبيل التمثيل لا على سبيل القيام بوظيفته

وهذا ليس مستغرباً في الواقع لاننا نلاحظ ان الظواهر الطبيعية تهبط علينا مركبة جاهزة ، وليست محاولة مفككة ، فالحال كذلك في الماء والهواء والنور والصوت والظواهر الفلكية وحتى الاعمال الانسانية والحوالج والمشاعر النفسية تقفز من النفس الى العالم الخارجي مركبة من عناصر كثيرة متباينة مختلفة ، فيسعى علم النفس مثلاً الى تحليلها الى عناصرها الاولى وبحث كل عنصر على حدة

اذن فالعلم يصف الظواهر ثم يحللها الى عناصرها الاولى ، ثم له بعد ذلك وظيفة ثالثة وهي انه يرتب هذه الظواهر ويوئبها ويضعها في مكانها من نظام الطبيعة والحياة ، ذلك لانه وجد بالاختبار ان لكل ظاهرة علاقتها بالظواهر الاخرى ، فهي سبب في بعض الاحوال ، وهي نتيجة في بعض الاحوال الاخرى ، لا بل هي سبب لشيء ونتيجة لشيء آخر في معظم الحالات ، والمشاهد في هذا الكون الذي نعيش فيه انه لا توجد ظاهرة واحدة منفصلة عن باقي ظواهر الكون ، ليس لاية واحدة منها كيان مستقل كل الاستقلال عن نظامنا هذا الذي نعيش فيه ، ليس لكوكب صغير او كبير وليس لجرم من الاجرام السماوية



اول ذرة من الذرات في هذا الكون، ليس لكائن من كان، من الانسان الى الالكترن، وجود منفصل عن باقي ما يحيط به من الذرات والموجودات السماوية والارضية، وحتى الفكر نفسه الذي هو أمر معنوي ليس له وجود مستقل عن الظواهر المادية المحيطة به فوظيفة العلم الثالثة هي ان يحدد العلاقة بين هذه الاشياء ويدل على حاققة الاتصال بين هذه الظواهر، ليس هذا فقط ولكنه يبين أيضاً النسب العديدة، ونحن نقصد بالنسب العديدة، مقدار هذه النسب بالقدح والرطل والمتر، في المسائل المادية الصرفة، والنسب المنطقية، او السبب والنتيجة في العلوم الاجتماعية، ولذلك نرى ان العلم يسير في الارض ومعه الميزان والمكيال والمقياس، ويستخدم هذه جميعاً في ابحاثه المختلفة وفي تبين الصلات بين الظواهر الطبيعية المختلفة، ويجب ان نذكر في هذا المجال ان السببية البينة ان هي في الواقع الأ ترتيب الزمني بين الظواهر، فالسبب يتقدم النتيجة في الزمن ليس غير، والنسبة بينهما في الواقع تقاس بالساعة والدقيقة

واذن فقد توصلنا الى استقصاء وظيفة العلم، ووجدنا انها تنحصر في وصف الظواهر الطبيعية اولاً، وتحليلها الى عناصرها الاولى ثانياً، وتبيان النسب العديدة بين عناصرها ثالثاً، هذه هي وظيفة العلم اولاً واخيراً، ونستطيع اذن ان نضع تعريفاً منطقياً للعلم، تعريفاً يستطيع ان يثبت على النقد والتجريح دون ان ينهار من اساسه ولكن قبل ان نصوصغ هذا التعريف يحسن بنا ان ننبه الى نقطة مهمة اخرى وهي هذه: ليس العلم شيئاً له وجود مادي مستقل، ليس هو كائناً بأي وجه من الوجوه، وانما هو في الواقع الطريقة التي يستطيع بها العقل البشري ان يفهم الاشياء او الظواهر الطبيعية. لقد خلقت فينا عقولنا هكذا، وركبت في رؤوسنا بشكل لانستطيع معه ان نفهم ظواهر الكون الا بالمشاهدة والوصف والتحليل والترتيب المنطقي او ترتيب الاشياء بحيث يتبع بعضها بعضاً، فكان العلم في الواقع ليس شيئاً سوى الطريقة التي يستطيع العقل بها — دون سواها — ان يفهم الاشياء. ليس للعقل البشري مندوحة عن هذه الطريقة لانه هكذا ركب وهكذا خلق

والآن نستطيع ان نعرف العلم هكذا: العلم هو الوسيلة التي نستطيع بها ان نصف الظواهر الطبيعية ونحللها ونبين الصلات بينها، او العلم هو الوسيلة التي يستطيع بها العقل البشري ان يفهم الظواهر الطبيعية، ومعنى آخر ليس العلم شيئاً سوى طريقة او وسيلة للتقارب بين حياة الانسان العقلية وما يحيط به في هذا الكون وبعد فاننا نشكر الاستاذ لانه اتاح لنا ان نبحث هذا الموضوع، سواء اكان ما علمناه هو من قوله ام منسوباً اليه خطأ



# الحضارة الفينيقية

وتأثيرها في التمدن القديم

المشيخ بولس مسعر

## اللغة الفينيقية

اللغة الفينيقية احدى اللغات السامية المشتقة من اللغة الارامية التي انقرضت قبل زمن التاريخ . واشهر هذه اللغات العربية والسريانية والحبشية والفينيقية والاشورية والبابلية . والثلاث الاخيرة انقرضت

رجع العلماء باللغات التصريفية الى اصلين عامين الاصل السامي او السرياني والاصل السنسكريتي . والاصل السنسكريتي ويعرف مع فروعه باللغات اليناثية نسبة الى يافث لا يدخل في بحثنا هذا فلا تتصدى له . وأما الاصل السامي فيقسم الى فرعين عامين الفرع الشمالي او السرياني والفرع الجنوبي او الغربي . والفرع الشمالي ثلاث لغات : الآرامية والاشورية والكنعانية . فالآرامية ام لعدة لغات ترجع الى ثلاثة فروع جامعة وهي السرياني الحقيقي وهو افصحها والارامي والكلداني او النبطي . وكذلك الاشورية فقد تفرعت عليها عدة لغات اندرست الآن تماماً . وأما الكنعانية فهي لغة الشعوب الكنعانية ولها فرعان الأول عبرانية وهي لغة اهل الجبال من كنعاني فلسطين واليوم لغة اليهود الدينية والثاني الفينيقية وهي لغة الكنعانيين الساحليين وعليها مدار الكلام في بحثنا هذا

تعريف اللغة الفينيقية \* اللغة الفينيقية لغة فريق من ابناء كنعان ولذلك كثيراً ما ثبت كنعانية ولا سيما في نبوءة اشعيا . وبينها وبين شقيقها العبرانية من التشابه والتناسب ما يجعل التمييز بينهما متعذراً وهذا ما جعلهما في نظر علماء اليونان اسمين مترادفين لمعنى واحد . ولئن اختلفت لغة التكلم عند الفريقين من بعض الوجوه لاسباب اهمها ان الفينيقية كانت لغة اهل السواحل والعبرانية لغة اهل الجبال فان لغة الكتابة عند الفريقين واحدة . وليس في الفينيقية الا مميزات قليلة منها كثرة استعمال الضم في حروفها واهمال الخفض في الهمزة الاخيرة من الكلمة . وأما حذف الحركات الطويلة او حروف المد في الكتابة فغير منفر على هذه اللغة دون سواها بل كان يشمل قديماً اللغات السامية جميعاً . على ان وجوه



الشبه بين هذه اللغات تتناول كثيراً من القواعد والمزايا التي خلت منها اللغات التصريفية الأخرى نظير الحروف الحلقية واقتصار أفعالها على زمانين وتشابه مشتقاتها . ومن مميزات أنها تكتب من اليمين إلى اليسار ما عدا الحبشية الحديثة . وهناك تشابه بينها في الحركات التي تستعمل وتلفظ وفي أسماء الحروف وغير ذلك مما لا سبيل الآن إلى ذكره

ولا أدل على ما بين اللغتين الفينيقية والعبرانية من التشابه الشديد من أن الأسفار المقدسة لا تفرق قط بينهما وهي تسمى العبرانية لغة كنعان . ومما يستشهدون به على وحدة اللغتين أن جواسيس يشوع عند عودتهم من مصر خاطبوا راحاب الكنعاني بغير صعوبة وكذلك رسل الجبعونيين وسواهم من القبائل الكنعانية تكلموا أمام الأسرائيليين من غير مترجم . وهناك شواهد أخرى كثيرة تثبت أن هاتين اللغتين كانتا في العصور القديمة ولا سيما في عصر إبراهيم ابني المؤمنين شديدي التقارب والتناسب وأنه ليس هنالك ما يحول دون القول أن اللغة الفينيقية هي التي اختيرت دون سائر اللغات لنقل أول وحي وأول سنة منزلة إلى أهل الأرض قاطبة ﴿ منشأ الحروف الفينيقية ﴾ أما لغة الكتابة عند الفينيقيين فترتقي في نشأتها إلى أقدم عصور التاريخ والحروف الفينيقية هي في اعتبار جمهور من العلماء أصل حروف الهجاء لسائر اللغات . ذلك أن فن الكتابة كان في أول أمره مقتصرًا على صور ورسوم تشير إما إلى مادة حقيقية موجودة أو إلى غرض مجازي لا يشار إليه إلا بالرمز أو إلى صوت يدل على كلمة مقصودة أو على بعض حروفها . ثم تطرقوا إلى التعبير عن الفكر برسم صور دالة على مسمياتها بحقيقتها أو مشيرة إلى الغرض المقصود بقرينة ما . وقد وجدوا من هذه الكتابة ستة أنواع هيروغليفية وهي الهيروغليف المصري والعلامات الصينية والعلامات المسمارية في بلاد الكلدان والكتابة الحشية في سورية الشمالية وآسيا الصغرى والكتابة المكسيكية والكتابة الكانوتية وكلاهما في أميركا . غير أن هذه الصور لم تكن تنطوي في مدلولها إلا على الماديات وما سهل إدراكه من المجازيات وأما التصورات المجردة من المادة كتصور العدل والرحمة والحب والحقيقة والكذب ونحو ذلك فلم يكن من الميسور تمثيلها بالصور فاضطروا لذلك إلى التوسع في الاستدلال بنقش الصور على الهجاء الأول من مسمياتها بحيث أصبحت تلك العلامات والصور صوتية بعد أن كانت لا تتجاوز حيز التصور . ولكن هذا النوع من الكتابة ظل قاصراً لا يفي بالحاجة ذلك كان شأن الكتابة لما انبرى الفينيقيون لاستنباط هجائها . وكان بين اللغتين المصرية والسامية أو الفينيقية تشابه تام في خمسة عشر حرفاً أو علامة (وليس ١٣ حرفاً كما يزعم بعضهم) وهي المعبر عنها عند المصريين بالحروف الصوتية فأخذها الفينيقيون وأضافوا إليها سبعة حروف من عندهم تبعد صورها عن العلامات الهيروغليفية فاصطلحوا على تأدية لفظها بالخطوط المصرية بحيث القوا من مجموعها اثنين وعشرين حرفاً جعلوها هجاءاً للعلم



وهذا التقارب بين اللغتين المصرية والسامية أو الفينيقية يرجع في نشأته الى عصر الرعاة في مصر فقد طالت ولايتهم فيها من القرن الحادي والعشرين الى القرن السادس عشر قبل الميلاد . وباتصال الفينيقيين بالمصريين في ذلك العصر اتصل نفوذ فينيقية الى مصر قبل ان يتصل نفوذ مصر الى فينيقية من حيث الصناعات والدين والآداب على نحو ما ذكرنا في مقتطف أكتوبر سنة ١٩٣٢ ص ٣٤٤ ودخات اللغة المصرية الفاظ وتعبيرات كثيرة من اللغات السامية . ومن العلماء من يذهب الى ان الفينيقيين لم يقتبسوا شيئاً من مصطلحات الكتابة المصرية وانهم استندوا في وضع حروف هجائهم الى الكتابة البابلية . غير ان هذا المذهب ضعيف لم يعم عليه دليل محسوس الى اليوم ولو ان الفينيقيين كانوا رسل الحضارة البابلية والكلدانية الى العالم ان العلماء لم يجدوا الى اليوم حروف هجاء قبل الحروف الفينيقية وما وجدوه من الكتابات القديمة انما يرجع بهجائه عن بعد او عن قرب الى اصل الهجاء الفينيقي . فهم يردون الحروف في جميع اللغات الى خمسة اصول وهي الاصل السامي واليوناني الايطالي والايباري والشمالي والهندي الحميري وهذه الحروف او الاقلام كلها على اختلاف اصولها ترجع في اعتبارهم الى ام واحدة هي الحروف الفينيقية او الهجاء الفينيقي الذي نقله الفينيقيون مع متاجرهم الى الامم الاخرى . ولو كان الامر غير ذلك اي ان الفينيقيين ليسوا بمستنبطي هجاء لغتهم بل اقتبسوه من سواهم لوجدنا لهجائهم هذا اصلاً في الآثار المصرية او الاشورية والبابلية مع ان ما وجد من هذه الآثار حتى اليوم لا يؤيد هذا المذهب . وتعيولهم في انشاء هجاء لغتهم على بعض العلامات المصرية لا يصح ان يتخذ دليلاً على انهم ليسوا بمستنبطي الهجاء الاول لسائر اللغات **تطور الحروف الفينيقية** وقد طرأ على الحروف الفينيقية بعض التغيير فقلب شكلها شيئاً وكيفها قليلاً بحيث لم تثبت الكتابة على وضعها الاصيل الى النهاية . وينحصر ما دخل على هيئتها من التبديل في ثلاثة ادوار

الدور الاول — كانت الكتابة الفينيقية في هذا الدور شائعة عند الشعوب الآرامية بامرهم . وكانت تمتاز فيه بان من حروفها ما كان في بادئ الامر معوجاً كثير الزوايا ثم صار بعد ذلك مستديراً . وبدأ هذا الدور على عهد الرعاة في مصر السفلى وينتهي في القرن السادس قبل الميلاد

الدور الثاني — انقسمت فيه الكتابة الفينيقية الى قسمين: الكتابة الصيدونية والكتابة القرطاجنية . فالاولى استعملت من القرن السادس قبل المسيح الى صدر النصرانية . ومتاز بكون حروفها اكثر استدارة واقل تعرجاً من حروف الكتابة في الدور الاول . وكانت ضخمة من وسطها دقيقة من رأسها . وأما الكتابة القرطاجنية فقريبة من الصيدونية غير ان حروفها غير منسوفة على خط مستقيم بل هي محدبة قليلاً

الدور الثالث — كانت الكتابة الفينيقية في هذا الدور تعرف بالبنونية وهي الفينيقية الحديثة



وكانت تستعمل على الساحل الغربي من البحر المتوسط من القرن الثاني قبل الميلاد الى ما بعد استيلاء الرومان على سورية . وحروفها تمتاز ببساطتها وتشابكها تشابكاً اشككت معها قراءتها

﴿ فروع اللغة الفينيقية ﴾ ومن العلماء من يرد لهجات اللغة الفينيقية الى ثلاثة فروع اصلية كبيرة وهي : فرع جبيل وهو اقرب هذه الفروع الى اللغة العبرانية . وفرع صيدا وهو الاهم والاكثر انتشاراً والفرع البوني وهو لغة الفينيقيين الذين هاجروا الى قرطاجنة

﴿ امتزاجها بسواها وانقراضها ﴾ وقد تقربت اللغة الفينيقية من الآرامية او السريانية عقب الفتح الاشوري . ثم دخلتها الفاظ وتعابير يونانية بعد غارة اليونان على فينيقية فاحدث فيها انقلاباً كبيراً واوشكت ان تندرس تماماً ولاسيما بعد ان أصبحت اليونانية لغة اهل المدن وكبار القوم في الديار السورية . غير انها بامتزاجها باللغة السريانية ظلت لغة فئة من الشعب الى ان ظهرت اللغة العربية التي تقاربها فقضت عليها وعلى سائر اللغات السامية . واللغة السريانية ثلاثة فروع رئيسية : السرياني الحقيقي وهو افصحها وكان لغة اهل ما بين النهرين والشام الخارجية . والارامي وكان لغة اهل لبنان والشام الداخلية وهو اقل من الاول صراحة . والكلداني او النبطي وهو اقلها احكاماً وكان لغة جبال آسية الداخلية في اشور وبابل وهو ما اثبتته ابو الفرج في تاريخه مختصر الدول . اما المحدثون فيعدون السرياني اقل اللغات السامية انسجاماً واحكاماً من حيث نحوه . وقد دخله كثير من الالفاظ اليونانية فسلبته رونقه واجهزت عليه غزوة الاسكندر فقل استعماله في الديار الشامية ولم يأت القرن الثامن عشر حتى كان اضمحل منها تماماً ولم يبق له من أثر هناك الا في قريتي معلولا ومار اليأس من ملحقات دمشق . غير انه مع ما انتاب هذه اللغة من الضعف ظلت لغة الطقوس الدينية عند السريان والموارنة الى ايامنا هذه خلافاً للغة الفينيقية التي كانت لغة البلاد الاصلية حتى الفتح الاشوري فلما انقرضت ولم يبق للغة الفصحى من أثر الا الفقرات التي ترجمت الى اليونانية نقلاً عن سكنين يتن المؤلف الفينيقي المشهور

﴿ انتشارها في افريقيا ﴾ أما في قرطاجنة والمستعمرات الفينيقية في افريقية الشمالية فان اللغة البونية وهي الفينيقية الحديثة ظلت لغة اهل البلاد الى القرن الثاني بعد الميلاد وبقيت مستعملة هناك بين بعض طبقات الشعب الى القرنين الرابع والخامس من التاريخ المسيحي

ويؤخذ من اقوال العلماء المستشرقين الذين بحثوا في منشأ اللغات السامية وانتشارها ان اللغة البربرية الشائعة في بلاد فازان وما جاورها من الواحات ونواحي اطلس والصحراء الغربية والاقاليم الواقعة في الشمال الغربي من افريقية ذات لهجات او لغات كثيرة ولها علاقة وثيقة باللغات السامية ولا تخلو من صلة باللغة القبطية . وهي ترتقي في نشأتها الى عهد تأسيس قرطاجنة . وقد عثروا في السنة ١٨٢٢ على أمثلة قديمة من قامها الاصل منقوشة على صخور بين مرزوق وغات . وفي السنة ١٨٤٥ عثروا على أمثلة اخرى في واحات طوات . ثم وجدوا كتابات



اخرى منقوشة في واحات بنغازي وغدامس وسواهما . ووجد العلماء تشابهاً شديداً بين هذه الكتابات والكتابة اللوبية التي وجدوها منذ نحو قرنين في قبر واقع على نحو ثلاثة أيام من خرائب قرطاجنة وحكموا بأن الحروف الهجائية اللوبية او النوميديّة التي يستعملها البربر في كتابة لغة غير سامية هي احدى الافلام العديدة المشتقة من الكتابة الآرامية القديمة الاصلية وانها تشبهها في بعض أجزائها بل تقاربها اكثر مما تقارب اللغة الفينيقية وانها اشتقت منها في عصر يرتقى الى ما قبل العصر الذي وضعت فيه الحروف الفينيقية التي وصلت اليها . وهذا التشابه بين الكتابة الآرامية والكتابة اللوبية النوميديّة مما حمل العلماء المحدثين على الذهاب الى ان الحروف الفينيقية ليست باصلية وان الفينيقيين ليسوا بمستنبطي الهجاء بل لابد ان تكون سبقتهم اليه امة من الامم السامية التي عاصرتهم او تقدمتهم . والمشهور عند العلماء ان اهل ليبيا كانوا يستعملون لغة تقرب من السريانية والعبرانية لانهم متناسلون من الفينيقيين الذين تملكوا هذه البلاد وكذلك بلاد البربر فان نخلة من اهل صور ذهبت اليها في السنة ٨٨٦ ق . م وبنت فيها قرطاجنة ونشرت اللغة الفينيقية فيها ولذلك فان لغتها ظلت الى عهد طويل مقاربة للسريانية والعبرانية . فليس من المعقول اذن وهؤلاء القوم من سلالة الفينيقيين الذين استعمروا هذه الاقاليم ان يتفاهموا بغير اللغة الفينيقية . غير ان التحريف الذي طرأ عليها بحكم الزمن جعل لها صبغة خاصة أدت الى هذه الشبهة في أصلها ونشأتها

وصفوة القول ان الفينيقيين هم أول من وضع هجاء لغتهم وان تكن الحروف المستعملة عندهم مشتركة بينهم وبين القبائل السامية والكنعانية التي امتزجت بهم وتألف من هذا الامتزاج الشعب الفينيقي المعروف وكل ما كان يصدر وينشأ من الاعمال في البلاد السامية والآرامية والفينيقية بعد هذا الامتزاج كان يسمى فينيقياً أو كنعانياً نسبة الى هؤلاء القوم لانهم كانوا أشهر تلك القبائل واكثرها نفوذاً وعالماً وثروة

﴿أثرها في اللغة اليونانية﴾ وفي اللغة اليونانية شيء كثير من اللغة الفينيقية . وهذا الامتزاج يرتقي الى زمن هجرة النحل الفينيقية الى اليونان بقيادة قدم او قدموس الفينيقي في السنة ١٥٦٠ قبل الميلاد المسيحي . فان قدموس هذا جاء بقومه الى اليونان وهي غارقة في لجة عميقة من الجهل والغباوة والهمجية . وكانت تسكنها قبائل من البرابرة يعيشون عيشة حيوانية ذليلة في الكهوف وشقوق الارض . ولم تكن الكتابة معروفة عندهم فاقتبسوها منه ومن قومه وهذا هو السبب في ما يرى من التشابه والتناسب في معظم حروف الهجاء واشكالها بين اللغة اليونانية واللغة السريانية والعبرانية او الفينيقية

والمعروف ان تاريخ اليونان لا يرتقي في نشأته الى ما قبل القرن التاسع عشر قبل الميلاد وانه لما جاءت اول قافلة من قوافل المستعمرين المصريين بقيادة ايناكوس او اينيكوس قبل



المسيح بنحو ألفي سنة كان سكانها في حالة همجية مشهودة كما يستدل من تاريخ بوصوت وقاموس غايطنوس . وقد نشأ ايناكوس له مملكة في بيلوبونيز وأسس مدينة ارغوس وهو سليل الرعاة الذين اجتاحوا مصر وبعد ان استقروا في ممفيس نحو قرنين طردهم فرعون منها الى ارض الدلتا «اباريس» وضاق هذا الاقليم بهم فخرحت قبائل منهم في طلب الرزق خارج وادي النيل ومنها هذه القبلة التي امت بلاد اليونان بقيادة ايناكوس هذا . ثم لحقت بها قبائل اخرى بقيادة شيكروبيوس واستقرت في اتيكيا واستولى زعيمها هذا على العرش في السنة ١٦٥٧ ق . م وهو اول من نقل الى هذا الاقليم عبادة الالهة منيرفا وكانت من معبودات مدينة سايبس التي نشأ فيها هذا الزعيم بمصر السفلى . وهو الذي انشأ مدينة اثينا واطلق عليها هذا الاسم تيمناً باسم منيرفالان هذا هو اسمها باللغة اليونانية

اما قدموس فهو من الرعاة أيضاً جاء بقومه الفينيقيين الى اليونان بعد طرد الفراغة لهم من مصر السفلى . وكان يصحبه داناوس وقد انشأ ملكاً له في اقليم بيوتسيا واقام هناك مدينة تيبايس وجعلها قاعدة ملكه وبث الحضارة الفينيقية في ذلك الاقليم ولقن الاهلين فن الكتابة . وحل داناوس في ارغوس واستحوذ على عرشها وبث تمدن قومه بين سكانها وقيل انه رزق خمسين بنتاً ازوجهن من ابناء أخيه اجبتوس

وهجرة الفينيقيين الى بلاد اليونان لم تقف عند هذا الحد بل اتسع نطاقها على توالي الايام ولاسيما بعد ان طردهم يشوع ابن نون من اوطانهم فاموها جماعات حاملين اليها حضارتهم وثقافتهم وديانتهم وعاداتهم وصناعاتهم وفنونهم بدليل ما يرى من آثارهم في اسماء شعوبها ومبناها وابطالها واديانها مما اكثر العلماء من ذكره نظير بوكرت وفتاليس اسكندر وسواها

❖ الخلاصة ❖ ويذهب بعض العلماء الى ان اللغة الكنعانية او الفينيقية والعبرانية لم يعثر لها على أثر الا في فلسطين وفينيقية ولبنان وفي المستعمرات الفينيقية ومعنى هذا في اعتبارهم انها نشأت في هذه البقعة لاني مكان آخر وهذا ما يستدل منه على ان الكنعانيين او الفينيقيين هم اول من استوطن الاقليم المعروف باسم فينيقية من الشعوب القديمة وان وجودهم هناك تقدم وجود كل قبيلة اخرى قديمة مختلفة اللغة واسمهم اول من حرث ارضها واستغلها واول من بنى المدن وانشأ الممالك فيها . ولم يجهئوا اليها من الخليج الفارسي او من بلاد العربية كما زعم بعض العلماء نقلاً عن هيرودوتس والا لكانوا تركوا هناك أثراً من اغتهم يدل على نزولهم تلك البقاع قبل حلولهم في ارض كنعان هذه . والرأي الذي يعول عليه في هذا الشأن انهم قدموا رأساً من شنعار في كلديا ونزلوا على سواحل البحر المتوسط في البقعة التي سميت باسمهم عند تفرق الشعوب لاول مرة في تاريخ البشرية . وفي هذه البقعة الضيقة انشأوا حضارتهم العجيبة التي كان لها ذلك الشأن العظيم في التمدن القديم



# هو اجس الفرفة السوداء

نورة الشاعر

فارق النور في المساء الشعابا والظلام البهم غشَّى الغابا (١)  
وتمشى على الظلام انقباض نشر الموت فوقه والخرابا  
وراء السياج ترقص أشبا ح أخافت من الحقول الكلابا

اسمعي البوم وهي تنعب في النخل وطيف الدجى يروع الغرابا  
ودوي الرياح تصخب في الليل وزجي على الفقير البابا

اقرئي لي.. من الكتاب.. قليلاً قبل ان يطوي الفناء الكتابا  
افتحي صفحة المزامير يا أخت.. وغنّي لحناً يعزي الشبابا

اسمعي الريح كيف تكسر في الغصن وتخفي على الطريق الشهابا  
لم تزل تضرب النوافذ في الليل - بعنف - وتدفع الأبوابا

(موني نزع) اسمعي! وقع خطوة من بعيد!

لا ! بل الوهم قد اضل الصوابا !

انظر الأفق.. ويلاتي ما اراه ??

انه خاطف أضاء السحابا

اطفئي النور .. لا تردي جوابا

انه فر في الظلام وغابا

اسمعي .. دقة على الباب .. ويلي

خبثيني.. خلف الستار.. وقولي

(هي) لا تخف ....

انه في الدجى يجيب الذئبابا

ب فاني سأدخل المحرابا

إننا سوف نقلق الأربابا

ثم صيحي.. هيّا.. أحلي العقابا

فقد يقبل الإله المتابا

اسمعي عواء ابن آوى

اشعلي النور .. اسبقيني الى البابا

اطفئي الشمع .. اشعليه .. تعالي

اضربي الدف .. حطيمه .. وضجتي

لا .. تعالي نجمو هناك الى الصبح

اشعلي النور واقرئي لي قليلاً قبل ان يطوي الفناء الكتابا

افتحي صفحة المزامير يا اخست وغني لحناً يعزي الشبابا

م.ع. الهمشري

مصر



# كتاب الاغاني

لابي الفرج الكاتب الاموي

المعروف بالاصهباني

المغزى الذي يقصد اليه الناقد من تصفح كتاب « الاغاني » ليس فيما تضمنه من الاخبار والسير واحاديث المجالس انما ينبغي الناقد الفني من النظر في « عمل » جدي يعد من الاصول المنقطعة النظير في التصنيف العربي وبخاصة تاريخ الغناء والاطوار التي اعترت الصناعة وحدود تأثيرها في الطرائق وطبقات المغنين ومذاهبهم وما يدل على سلامة نظر المصنف وصحة حكمه من فكرة او ملاحظة او رأي . ولكن صاحب كتاب « الاغاني » اختار طريقة الرواية . وكانت الطريقة السائدة في عصره . واستعان بسلامة ذوقه وحسن اختياره على تدوين الاغاني باخبارها وربتها بطريقة « ينتقل القارئ بها من خبر الى غيره ومن قصة الى سواها ومن اخبار قديمة الى اخبار محدثة ومن جد الى هزل حتى يكون انشط لقراءته واشهى لتصفحه فنونه » وقد كان للرواية تأثير بين في طريقة كتابة التاريخ . خلقت الطريقة المجردة التي يقتصر فيها المؤرخ على ذكر الحادث وزمنه دون تحليل او ملاحظة او حكم . وهي الطريقة التي لم تسلم منها تصانيف مؤرخين من الفلاسفة مثل « ابن مسكويه » و « ابن خلدون » . واتبعها مؤرخو الفرنجة انفسهم في العصور الوسطى وما بعدها . وتعرف باسم « الكرونولوجي » . ولما كانت الرواية سابقة لهذه الطريقة وكانت قديمة لانها ترجع الى العصر الاغريقي . فقد كان تأثيرها ظاهراً لا في تدوين التاريخ وحده بل في العلم العربي نفسه وعند ما اتصل العرب بثقافات الامم القديمة انقادوا الى السليقة في التصنيف وخف تأثير « الكلاسيكيزم » في اذهانهم وجاءت الرواية عن طريق اللغة . اذ كانت اللغة كل علم العرب . والفضل للرواية في ان العرب دونوا . وكان علمهم اوسع بكثير مما دونوا . وكان الكلام ديوان بلاغتهم وذوقهم وتطرفهم . وكانت حافظه العربي هي العمدة وتغلبت هذه الملكة على سائر ملكات الذهن العربي . فلما كان اتصال العرب بحضارات الامم القديمة واشتراكهم في علوم الاغريق خلفت هذه الملكة اثرها القوي في اساليبهم ولم يسلم الشعر العربي بطبيعة الحال من ذلك الاثر وكان الاموي الكاتب صاحب كتاب « الاغاني » من خير رواة عصره . وكان « عالماً بلام الناس والانساب والسير » وكان من كبار الحفاظ . والتفوق في علوم الاسناد والرواية كاذمن تقاليد البلد الذي ولد فيه ابو الفرج . وهو اصهباني الاصل . بغدادي المنشأ



ولقد كان انتساب ابي الفرج الى اصبهان وشرف ارومته من حفظ العلم والأ فلا بد لنا من الاعتراف بالصفات الذهنية العظيمة التي خص بها اهل ذلك البلد . « وقد خرج من اصبهان من العلماء والائمة في كل فن ما لم يخرج من مدينة » . ولا ادري من هو ذلك المؤرخ العربي الذي ذكر ان حضارة العرب مدينة في الكثير الى الاجواء المعتدلة التي تأصل فيها الذهن العربي فان اصبهان من انتي بلاد الله هواء واصفاها مناخاً واعدها . ولذلك فان اهلها تطول اعمارهم ولهم مع ذلك عناية وافرة بسمع الحديث . واذا قيل حديث واسناد قيل لغة . فان الباب الملكي للتأويل عند العرب هو اللغة . و« للمناخ تأثير بين في اللغات »<sup>(١)</sup> . وكانت ميزة الكاتب الاموي صاحب « الاغاني » - وهي ميزة كويتها المناخ - انه كان عالماً في اللغة . وكان علمه في اللغة ادائه في الكتابة . اداة بليغة هي زبدة ما يخرجها رواية للشعر

وفي الحضارة العلمية الاسلامية كانت الاحاطة باللغة نوعاً من التفوق الشائع الذي يرافق بصفة خاصة سائر فروع العلم . فكان الفقيه العربي يفرع اليه في الشرع كما يفرع اليه في الطب وهو مع ذلك حجة في اللغة . كان العلم في اللغة والاحاطة بها مقدمة لازمة لكتاب معارف الفقيه العربي هذا الى ان « ابن خلكان » الذي نعتمد عليه في استخلاص حياة الكاتب الاموي روى « انه كان يحفظ دون ذلك من علوم اخر : « الخرافات » . و « السير » . ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً منها علم الجوارح والبيطرة وتنف من الطب والنجوم الخ ولعلكم تدهشون لذكره الخرافات بعد اللغة . وهو لا يعني بالخرافات الاقاصيص الشعرية المنسوبة الى الاغريق والفرس والهنود انما نعتقد انه يعني بها الميثولوجيا . وكانت الميثولوجيا في الالياذة قاموس لغة الاغريق وكان يسمو ادباء الاغريق ان يرجعوا الى شعر هو ميروس لكي ينسبوا اليه تصحيح لغتهم واساليبهم<sup>(٢)</sup> اما اجتماع البيطرة بالنجوم والجوارح في آلة المنادمة فاشبهت بتأليف لوحة فذة لمصور اديب مثل « فرومنتان » وانها لتذكرنا بتظرف بيثة رقيقة من ارباب الأدب والشعر والنبيل كالتى عاصرت آل فالوا في فرنسا . ولقد كان لبعض اللغويين العرب عناية وافرة بالبيطرة . وكانت علاقتها بالاسماء في اللغة من آلة المنادمة في المجالس . وكان الاصبهاني كأديب من أعيان الادباء وفرادى منقطعاً الى الوزير « المهلي » بلا شك من الوزراء الذين يجمعون الى التدبير والسياسة حماية أفراد الادباء والمشتغلين بالعلم . وحماية ارباب الفنون من تقاليد الانسانية التي لا تكاد تنقطع كان العلم الذي يحض عليه مناخ اصبهان هو الحديث والاسناد . وكان من تقاليدنا ان يكثر فيها الحفاظ . ولكن ابا الفرج كأديب وسع اطلاعه كل فروع المعرفة في عصره خص تفوقه في الرواية بالعلم باخبار الناس وياهمهم . فكان مؤرخاً بالاصطلاح القديم « الكلاسيك » وكان مؤرخاً رواية اعانه ذوقه وصفاء ملكته وقوة روحه على الاحاطة باخبار الغناء في كل

(١) تاريخ الاندلس للضي . طبع مدريد (٢) ايجز تاريخ النقد



اطواره . واحسانه في هذا الفن لا ينسب الى عبقرية راوية من اعلام الرواة خصب بل ينسب الى خصائص طبيعية اخرى . اثر اجداده الخلفاء . ذلك الاثر الذي خلص نشأته ورفع مستوى تهذيبه في بيئته . كان اذا فتش المرء نسب اجل سن فيها لم يكن بد من ان يجد في أصل نسبه حائكا أو يهوديًا ! . وكان أبو الفرج الاصبهاني لطيف المذهب نقي الفطرة ظريفاً لا يئيل وان مجرد الموازنة بين مواهب الكاتب الأموي وما وسعه ذهنه الكبير من فروع العلم والطريقة التي اختارها في تأليف كتاب « الاغاني » تحملنا على الايمان بمدى ما بلغه اتقياده للمذهب القديم في كتابة التاريخ . ولم تغب عنه مع ذلك الطريقة المستحدثة التي تعني بتمييز اطوار الفن وطبقات اربابه في ازمانهم ومراتبهم . فقال « لعل من يتصفح هذا الكتاب ينكر تركنا تصنيفه ابواباً (١) على طرائق الغناء « Modes » . (٢) وعلى طبقات المغنين في ازمانهم الخ » . ثم اشار الى طريقته فقال « ليس المغزى في الكتاب ترتيب الطبقات وانما المغزى فيه ماضنه من ذكر الاغاني باخبارها » . وهي الطريقة الاخبارية القديمة المستمدة من علم الاسناد وكان أبو الفرج الاصبهاني من قبل ان يكون مؤرخاً للاغاني من كبار الحفاظ والرواة

هذا الى رأي آخر لا بد من ملاحظته . وهو ان العرب لم يكونوا في الاصل مدونين . فانهم لما بدأوا بالتدوين ارتجوا طرائقهم او اقتبسوها مما اطلعوا عليه من طرائق التصنيف عند الامم التي اتصلوا بها فكرياً . فهل وفق العرب عند نقل كتاب « الموسيقى » مثلاً او قبل ذلك الى الاطلاع على تواليف اخرى في هذا الموضوع ؟ وجلي ان الكاتب الأموي قد رسم لنفسه الطريقة في تأليف كتاب الاغاني . وقد ذكر ابن خلكان انه « جمعه » في خمسين سنة واتفق الرأي على انه لم يؤلف في بابه مثله »

وقد استطاع أبو الفرج الاصبهاني ان يكون كاتباً موسيقياً ومن نقدة الفن دون ان تكون له مع ذلك ملاحظة ظاهرة او فكرة خاصة او استنتاج او تحليل كما يؤثر عادة عن نقدة الفن وكان عذره عن الطريقة التي اختارها وقادته اليها غريزته التقليدية « ان الاغاني قلما يأتي منها شيء ليس فيه اشتراك بين المغنين في طرائق مختلفة لا يمكن معها ترتيبها على الطرائق » وكان أبو الفرج الاصبهاني قد صنف في البدء كتاباً سماه « مجرد الاغاني » و اشار الى ذلك في المقدمة فقال « ... اذ كان قد افرد لذلك كتاباً مجرداً من الاخبار ومحتوياً على جميع الغناء المتقدم والمتأخر ... » . والظاهر ان هذا الكتاب كان مرجعه في تأليف « الاغاني » فقد اضاف اليه الاخبار والقصص بترتيب حسن « ليكون القارئ له بانتقاله من خبر الى غيره ومن قصة الى سواها ومن اخبار قديمة الى محدثة ومن جد الى هزل انشط لقراءته واشهى لتصفح فنونه » فالعلوم التي نبع فيها الاصبهاني اذا اجتمعت ألقت شبه او تار مشتركة لهيكل كبير هو الغناء او الموسيقى العربية كلها تمت بصلة الى ذلك الهيكل ويتعلق به : من الحفظ الى اللغة الى السير



نعم الجوارح . حتى تلك النتف من الطب والنجوم التي كانت تعد يومئذ من آلة المنادمة  
ولقد كانت الاغاني العربية نفسها تحتاج الى الحفظ والرواية لان العرب لم تخترع حروفاً  
«نوتة» لتقيدها . وكان للشعر من حيث كونه صناعة «art» علم هو اللغة وفن هو الغناء :  
ويجب ان نعلم ان الاغاني العربية تمثل روح اللغة لا الروح العربي الذي انقطع بالعصر الجاهلي :  
وانها (اي الاغاني) تمثل العاطفة لا الحياة . وانها تتكلم عن الانسان لا عن الجمعية

وكان الاصبهاني كناقدي وكاتب موسيقي من الطراز الاول يستخرج من مدخر ثمين  
اشترك فيه اثر اجداده وذوقه ولطف مذهبه فيما اختاره لنفسه من العلوم لكي يجمع في  
كتابه «ماحضره» . وامكنه جمعه من «الاغاني العربية قديمها وحديثها» وينسب «كل  
ما ذكره منها الى (١) قائل شعره (٢) صانع لحنه (٣) طريقته من ايقاعه (٤) واشترك ان كان  
بين المغنين فيه على شرح لذلك (٥) وتفسير للمشكل من غريبه وما لا غنى عن علمه من علل  
اغرابه واعاريض شعره التي توصل الى معرفة تجزئته وقسمة الحان

وكانت مهمة طفيفة اذا وازننا بها علم الاصبهاني واتساع معارفه في هذا الباب واهتمامه  
الى مذهب التصنيف في تاريخ الغناء العربي على طرائقه وتمييز طبقات المغنين في ازمانهم  
وراتبهم . ومعنى «ترتيب الطبقات» في عرف النقد الفني هو تحليل اطوار الغناء في  
ازمانه غير ان هذا المثل الاعلى في كتابه تاريخ الغناء بقي كحلم الشاعر في ذهن الاصبهاني الذي كان  
يعلم ان الناس تجهل اخبار الغناء ومن غنى شعره من الشعراء القدماء وطرائق الايقاع ومذاهب  
المغنين فكيف يستطيع ان يؤلف بطريقة تحليلية مدارها على الحكم والملاحظة والتفكير والاستنتاج .  
وانا نعتقد ان الكاتب الاموي اراد ان يتكلم عن الغناء العربي كفيلسوف وان كتابه «الاغاني»  
كان تجربة ثانية بعد كتاب «مجرد الاغاني» لم يقدر ان يتملص فيها من ضرورة التوفيق بين علمه  
الواسع وحاجة عصره الى معرفة الاغاني العربية . واراد الاصبهاني ان يتجنب الحشو فلم تمكنه  
طريقته من ذلك و«نقض ما شرطه على نفسه من الغناء الحشو» . واراد ان يكون خلقياً يراعي من  
اخبار الغناء «ما يحتاج الاحداث الى دراستها وتحمل بالتأديين معرفتها !» خالفه عيب العصر  
نفسه في رواية الاخبار . وهو عيب وقع فيه كثير من اللغويين . ونذكر ان المستشرق «س .  
دوسامي» عند ما نقل مقامات الحريري الى اللغة الفرنسية انتقدها «ارنست رنان» من الوجهة  
الطليقية ولكن عذر المترجم انه اراد ان تدرس اللغة العربية في تأليف كبار اللغويين انفسهم  
ولقد كان الاصبهاني ككتابه يحفظ ذكرى ليالي الانس الحافلة بالغناء ووجوه التظرف والسمر  
وبالابلاغة وقصص الملوك في مجالسهم وسيرهم ومغازيهم ومجون الندامى واحاديثهم . ولولا الجزء  
الثاني في الكتاب الذي لا يكاد يفهمه الناس لكان في وسع اي ناقد ان يعده من اشهى  
كتب الاقاصيص في اللغة العربية

عبد الحميد سالم

[البقية في مقال آخر]



## الابعاد الاربعة

معنى ( الحيز - الوقت ) في النسبية

انقول الحار

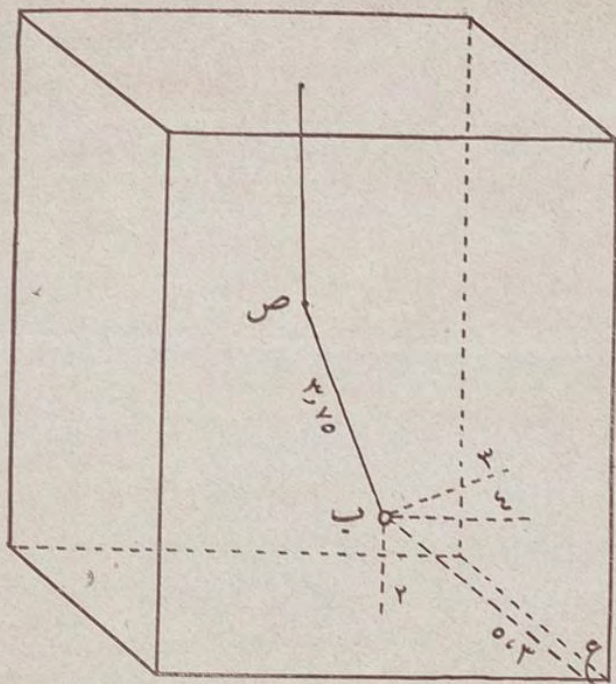
هو الاستاذ قولاً الحداد نظرية النسبية نقضى في دراستها سنتين . درس بضعة عشر مؤلفاً لكبار علمائها ، منها اثنان لاينشتين نفسه . ثم بسطها في كتاب بالعربية بأسهل اسلوب مستطاع من غير استخدام الحسابات الرياضية الا عند الضرورة القصوى و اضاف اليه ملحقات رياضية لبرهنة « النسبية الخاصة » لمن يشاء ان يطلع على النظرية من الوجهة الرياضية . ومن هذا المقال السهل التناول يرى القارئ ان الاستاذ حداد جعل نظرية النسبية الغامضة اوضح ما يمكن لافهام الجمهور

ربما كانت قضية الابعاد الاربعة اغرب قضايا النسبية وابعدها عن المؤلف في اذهان البشر وادعاها للاستهجان . وقد زادها هُجّة الكتاب الذين كتبوا عنها من غير ان يدرسوها ويفهموا المقصود منها فهماً صحيحاً . ففسّروا الابعاد بمحدود الجسم الثلاثة : الطول والعرض والعمق ( او العلو او السماكة ) . و اضافوا الزمن اليها بعداً او حداً رابعاً باعتبار انه من رتبتيها ، من غير ان يفسّروا سرّ هذه الاضافة . فبحسب هذا التفسير لابدع ان تبدو تسمية الوقت او الزمن ( رابع الحدود ) امرأ مستهجناً يستنكره العقل وينبوغنه التصوّر . ويمثلون على زعمهم هذا بقولهم : « لهذا الكتاب ، مثلاً ، حدود اربعة : طوله وعرضه وعمقه ( او سماكته ) والوقت الذي هو فيه » . واذا سألتهم : ماعنى هذا الكلام وما علاقة الوقت الذي هو فيه بمحدوده الثلاثة فلا يستطيعون ان يزيدوك تفسيراً . اجل . لا يستطيعون لان السخافة لا تحتل تفسيراً

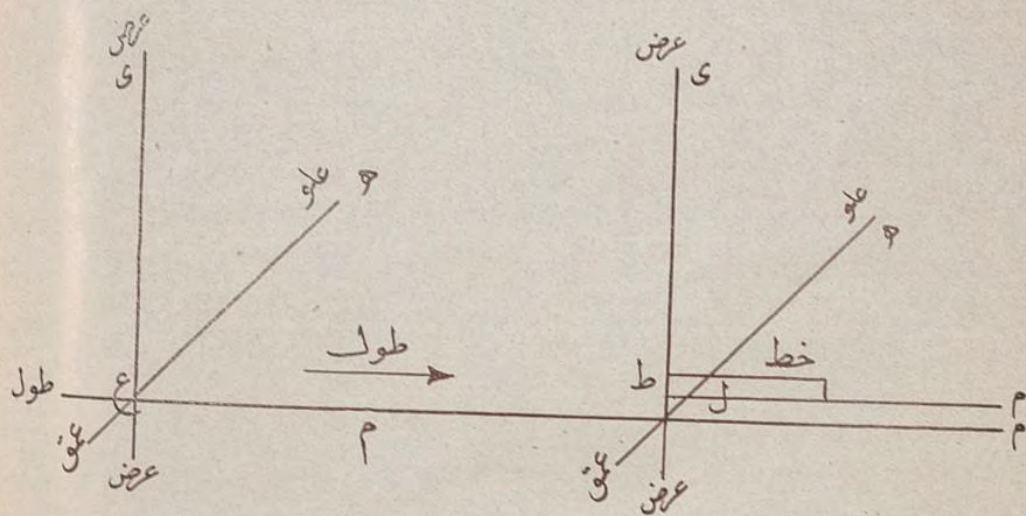
ليس للكتاب ولا لأي مادة من المواد المحسوسة الا طول وعرض وعمق . وكذلك ليس لأي حيز موهوم في الفضاء الا هذه الحدود او الابعاد الثلاثة فقط ، مهما تقلب العقل البشري في عالم التخيل والتصوّر . لان هذه الحدود الثلاثة هي طبيعة الحيز الهندسي الاقليدوسي المفروض الثابت او المشغول بمادة محسوسة ساكنة غير متحركة

واما نظرية النسبية فلا شأن لها بالحيز المفروض او الموهوم ولا بالجسم المادي الثابت . ولا تعترف بوجود حيز معين ثابت ولا بوجود مادة ساكنة غير متحركة ، بل هي تذهب الى ان الحركة سنّة اساسية في المادة بمعنى ان كل ذرة وكل جسم وكل جرم في الكون متحرك ولولا الحركة لكان عدماً . ولذلك لا معنى للحيز او المكان الا بما يشغله من المادة





الشكل الأول



الشكل الثاني



او من مفاعيلها كالتشعشع والجو الكهربائي المغنطيسي والجو الجاذبي . وحيث لامادة ولاشي من مفاعيل المادة فلاشي يسمى حيزاً او مكاناً . وبعبارة اخرى (غير منطقية) اذا خلا الحيز من مادة او من مفاعيلها كان عدماً . قلت «غير منطقية» لانه لاوجود لحيز خال من المادة . هو العدم كما قلنا

يستفاد مما تقدم ان النسبية لا تعنى بالاجسام ولا بالحيز الموهوم المفروض ، وانما هي تعنى بالحركات الحادثة (الحوادث) . ولذلك اذا حدثت موقع حادثة او اية حركة حددته بالابعاد الاربعة : ثلاثة منها مكانية (حيزية) والرابع زماني . باعتبار ان تحديده لا يتم الا باقتران الزمان بالمكان . ولكي تنجلي هذه القضية النسبية للقارىء وتنشع من ذهنه تلك الهجنة التي غشى بها على الابصار الكتاب المتسرعون بلا تحقيق . نشرح القضية فيما يلي مبتدئين بالبسط وجهه من وجوها

\*\*\*

افرض او تصوّر انك في غرفة مكعبة ، كل من طولها وعرضها وارتفاعها عشر اذرع ، وان هذه الغرفة هي كل الكون . وتصور ان في جانب منها (منضدة) طاولة ، وعلى الطاولة شمعدان ، وعلى قمة الشمعدان عند ب في الشكل الاول ذبابة او بعوضة : وافرض ان في زاوية الغرفة السفلى عند ع رقيباً يراقب البعوضة . فماذا يفعل الرقيب لتحديد موقع البعوضة ؟ افرض انه يقيس اقرب مسافة من موضع البعوضة الى الارض وهي الخط العمودي السمتي منها الى الارض ، ولنفرض انه وجده ذراعين . فهل يكتفي لتحديد موضع البعوضة بالقول انه يعلو عن الارض ذراعين او يسفل عن السقف ٨ اذرع ؟ كلا ، لماذا ؟ لانك كيفما دفعت الطاولة في ارض الغرفة دفعاً أفقيّاً تبقى البعوضة عالية ذراعين عن الارض . يلتفت الرقيب الى الجدار الذي عن يمينه وقيس اقرب مسافة من البعوضة اليه فيجدها ٤ اذرع مثلاً . فيقول ان البعوضة تعلو عن الارض ذراعين وتبعد عن الجدار الذي عن يمينه ٤ اذرع ، فهل هذا يكفي لتحديد موضع البعوضة ؟ كلا ، لانه يمكنه ان يدفع الطاولة في خط مواز للجدار المذكور وتبقى البعوضة على ذراعين فوق الارض و ٤ اذرع عن الجدار . اذن ، يبقى عليه ان يقيس اقرب مسافة بين البعوضة والجدار الذي عن يساره (المعامد للجدار الذي عن يمينه) فيجدها مثلاً ٣ اذرع . وحينئذ يصح له القول ان البعوضة ترتفع عن الارض ذراعين (او تسفل عن السقف ٨ اذرع) وتبعد عن الجدار الذي عن يمينه ٤ اذرع (او عن الجدار المقابل له ٦ اذرع) وتبعد عن الجدار الذي عن يساري ٣ اذرع (او عن الجدار المقابل له ٧ اذرع) فهل يتحدد موضع البعوضة حينئذ ؟ نعم . لانه ليس في تلك الغرفة الا نقطة واحدة لها هذه الابعاد الثلاثة المتعامدة فيها عن جهات الغرفة . وهي موضع البعوضة



اذاً ، لابد لتحديد أي نقطة في أي حيز من ابعاد ثلاثة (مكانية) متعامدة كل واحد منها عمودي على الآخرين في تلك النقطة . ولا يمكن تحديد موقعها ببعدين فقط . وبالأحرى لا يمكن ببعد واحد ، وهذا ما يسمونه في اصطلاح النسبية نظام المتعامدات الديكارتي The Cartesian Co—ordinate System نسبة الى الفيلسوف دي كارت الذي استنبطه هذا هو معنى الابعاد الثلاثة المكانية التي بها يتعين اي موقع في أي حيز . بقي ان نعلم كيف يأتي البعد الزماني الرابع تنمة لتعيين الحادث . وانما قبل الانتقال هذه الخطوة لابد من شرح مسألة اخرى لا غنى عنها لتمام البحث في موضوع النسبية . وسيرى القارىء خطورتها قلنا ان المراقب مقيم عند ع . ولابد له من معرفة بُعد البعوضة عنه . فكيف يعلمه ؟ يلجأ الى قاعدة فيثاغورس الهندسية وهي :

(١) مربع الوتر في مثلث قائم الزاوية يساوي مجموع مربعي الساقين

(٢) مربع الوتر في مكعب يساوي مجموع مربعات الطول والعرض والعمق فاذا ، المسافة

من ع  $\rightarrow$  ب  $= \sqrt{2^2 + 3^2 + 5^2}$  . نتقدم الآن الخطوة الاخرى في البحث

\*\*\*

لنفرض ان في وسط الغرفة تماماً مصباحاً معلقاً على بعد ٥ اذرع من جميع الجهات ، عند ص في الشكل الاول ( فيكون بُعدُه عن ع  $= \sqrt{5^2 + 5^2 + 5^2}$  = ٨ ، ٦ تقريباً )

ولنفرض ان البعوضة طارت عن الشمعدان في خط مستقيم الى المصباح ص بمعدل سرعة ذراعين في الثانية . قامت الظهر تماماً ووصلت في الثانية ١٦،٨٧ بعد الظهر فهنا حادث انتقال البعوضة عن الشمعدان الى المصباح . لم يتم هذا الحادث في الحال بل اشغل مسافة واستغرق وقتاً في آن واحد . اي ان المسافة التي سلكتها البعوضة بين ب  $\rightarrow$  ص يعبر عنها بسرعة البعوضة في الثانية مضروبة بعدد الثواني التي قضتها في اثناء الانتقال والرقيب ع مضطراً ان يدخل الوقت في الحساب لاستخراج موقع الانتقال هذا بالنسبة اليه . اذن . نعود الى الحساب ونحدد موقع قيام البعوضة عن الشمعدان وموقع وصولها الى المصباح بالنسبة الى الرقيب ع هكذا : — الموقع المكاني — الموقع الزماني

الوقت	الموقع المكاني	الموقع الزماني
الوقت	الموقع المكاني	الموقع الزماني
١٢	١٦،٨٧	٥ ، ٥ ، ٥
١٢	٠ ، ٠ ، ٠	٢ ، ٣ ، ٤
٠٠	١٦،٨٧	٣ ٢ ١

موقع وصول البعوضة الى المصباح

موقع قيام البعوضة عن الشمعدان

نطرح لنعرف فرق الابعاد بين القيام والوصول



ذراعاً معدل السرعة ثوان

$$1,87 \times 2 = 3,75 = 21 + 22 + 23 = \text{ص} \quad \text{اذن المسافة بين ب}$$

هكذا هو حساب الرقيب عند ع. وترى منه انه التزم لاستخراج موقع حادث الانتقال ان يدخل الوقت في الحساب كبعد رابع

بعد هذا الشرح البسيط صار في امكانك ان تتصور المدة (الزمانية) والمسافة (المكانية) في كل حركة (حادثة) مرتبطتين ارتباطاً وثيقاً كأنهما لفظتان لمعنى واحد. لانك لا تستطيع ان تتصور اي حادث او اية حركة لجسم الا وانت تمثل في ذهنك سرعة ذلك الجسم تستغرق وقتاً لعبور مسافة. فلا يحضر لذهنك انتقال ذلك الجسم اية مسافة الا وتحضر في ذهنك ايضاً المدة التي قضاها ذلك الجسم في عبور هذه المسافة. لان الحركة تشغل المسافة والمدة (المكان والزمان) معاً. فهي الوثائق الذي يوثقهما. رأيت ان البعوضة في انتقالها من الشمعدان الى المصباح اشغلت مسافة ومدة في آن واحد. فكان مستحيلاً عليها ان تقطع المسافة من غير ان تشغل وقتاً، كما انه لا يحسب لها وقت اذا لم تتحرك حركة تشغل مسافة. فالحركة اذا هي صلة زمانية مكانية بين حادثي قيام البعوضة ووصولها. هذه الصلة هي البعد الرابع. ليس الوقت وحده البعد الرابع الذي نعنيه اذ لا وجود له. واما الوقت الذي تدججه الحركة بالمسافة هو البعد الرابع. ولذلك في كل حركة نعتبر عن المسافة بمحاصل ضرب معدل السرعة في الثانية بعدد الثواني (او اي وحدة من وحدات الوقت) فنقول م (المسافة) = م × ق (السرعة مضروبة بالوقت). اذاً، البعد الرابع هو «الحيز-الوقت» معاً كما ستراه في المعادلات الرياضية التي يفضي اليها توسعنا في البحث التالي

\*\*\*

مع ذلك لا يكتفي الرقيب بهذا الحساب لانه ناقص نظرياً كما ستري. هو ناقص لاننا لم نحسب حساب النور الذي ينقل خبر الحادث الى عين الرقيب. اذ لا يخفى عليك ان النور الذي ينقل الخبر يستغرق وقتاً ايضاً (٣٠٠ الف كيلومتر في الثانية). نعم ان مدة انتقال النور (من موضع قيام البعوضة ومن موضع وصولها) الى عين الرقيب في غرفة، لا تعتبر شيئاً البتة (النظرياً) ولكن في المسافات الفلكية السحيقة تكون المدات دقائق وساعات وأياماً وسنين فلا بد من ادخالها في الحساب. ونحن نضرب الامثال النظرية بالمسافات القصيرة تسهيلاً لفهم القارئ الحقائق العملية في المسافات العظيمة

ولكي تنجلي حقيقة القضية للقارئ جيداً نضرب مثلاً آخر ونغفل عنه حساب الارقام لكيلا نغنت ذهنه. ونستعيض عنها برموز الحروف. لقد فهم القارئ ان الموقع المكاني



( الحيزي ) لا يمكن تحديده الا بتعامد ثلاثة متعامدات فيه بين الجهات الست . الطول من الشرق الى الغرب (مثلاً) ، والعرض من الجنوب الى الشمال ، والعلو من فوق الى تحت — فهم القارىء ذلك فلم يبق لزوم لتكرار الكلام فيه ولا للتمثيل بالغرفة او نحوها . يكفي بسط قضية اخرى بالرسم التالي

لنفرض ان النقطة ع محطة سكة حديدية وفيها تتعامد الابعاد الثلاثة م . هـ . ي ( كما ترى في الشكل الثاني ) محددة لموضعها . وفيها قطار . قط . تتعامد فيه ايضاً الابعاد الثلاثة : م . هـ . ي

نرمز عن الوقت الذي قضاه القطار في رحلته بالحرف ق في نظر ناظر المحطة ع وبالحرف ق في نظر سائق القطار . وسنرى ان الوقت في نظر الواحد يختلف عنه في نظر الآخر . ولنفرض ان القطار يسير بسرعة ١٠٠ متر في الثانية نرمز عنها بالحرف س . وهو يسير على خط الطول م وبنفس اتجاهه . ونفرض ان طول الخط الذي يسير عليه القطار يساوي م . والمسافة التي يسيرها القطار تساوي سرعته مضروبة بالوقت اي س × ق اوس ق والمسافة التي لم يسرها بعد ، اي الباقية من الخط م ويُسنتظر ان يسيرها ، تساوي م

فلما كان القطار في المحطة كانت متعامدات القطار وبالاخرى جميع ابعاده مطابقة لابعاد المحطة اي ان م = م هـ = هـ ي = ي ق = ق

ثم سار القطار دارجاً على الخط م الى ان وصل او عبر على النقطة ط بعد عدد كذا من الثواني رمزنا عنها بالحرف ق في نظر ناظر المحطة وبالحرف ق في نظر السائق كما تقدم القول . وبناءً عليه اصبحت المسافة م = م + س ق في نظر ناظر المحطة و م = م - س ق في نظر سائق القطار

وبقيت هـ = هـ

» ي = ي

» ق = ق  
سنرى { ق = ق

وهنا نوجه نظر القارىء الى مسألة جوهرية وهي : في نظر ناظر المحطة القطار يبتعد عنه . وفي نظر سائق القطار المحطة تبتعد عنه ، كأن القطار ساكن والمحطة راحلة . فكل من ناظر المحطة وسائق القطار يحق له ان يعتبر نفسه ساكناً والآخر مبتعداً عنه . وما دامت المسافة بينهما تتسع وتنفرج فلا عبرة في ايهما السائر وايهما الساكن وانما العبرة في ان المسافة بينهما تتسع وان نظر كل منهما يختلف عن نظر الآخر كما سنرى



هذه نظرية دقيقة من نظريات النسبية قد لا يطمئن لها تصوّر القارئ، إلا بعد شرح كافٍ. وبالإسف ليس هنامتسع لهذا الشرح الآن. ربما عدت إليه في حين آخر. ترى فيما تقدم ان مسألة الوقت دخلت حتماً في حساب انتقال القطار من المحطة الى نقطة ط كما ترى في المعادلتين الأوليين من المعادلات الست السابقة. ولكن هل هذا الحساب صحيح وتام؟ او هل هو كل شيء في مسألة البعد الرابع، الوقت؟ فلنرى ان الملم بنظرية النسبية لا يقتنع بهذا الشرح البسيط، حتى ناظر المحطة، ومثله سائق القطار، اذا كان قد اطلع على تعليل مسألة تقلص الاجسام في اتجاه خط حركتها (كما شرحناها في مقتطف فبراير ١٩٣٣) واقتنع بان هذا التقلص يتوقف على نسبة خاصة بين سرعة الجسم وسرعة النور كما تدل عليها عبارة لورنتز الرياضية (التي استخرجناها في ذلك المقال) — اذا كان قد فهم جيداً هذه القضية الخطيرة الشأن التي بنيت عليها نظرية النسبية فلا يقتنع بهذا الشرح البسيط لا يقتنع الملم بنظرية النسبية بهذا الشرح البسيط لانه يعلم ان ناظر المحطة لما رأى القطار قد مرّ على نقطة ط — او لما بلغه بواسطة اشارة برقية او لاسلكية (راديو) ان القطار مرّ على نقطة ط — كان القطار قد تجاوز هذه النقطة الى نقطة ل (مثلاً) في اثناء انتقال الاشارة اليه لان الاشارة استغرقت وقتاً. ولذلك اصبحت المسافة من ل الى ع تساوي في نظره المسافة من ط الى ع فكانها تقلصت بقدر المسافة من ل الى ط

\*\*\*

وقد فهمنا من مقال التقلص المشار اليه آنفاً ان مقدار هذا التقلص يساوي :

$$\text{هذا في نظر ناظر المحطة ع} \quad \frac{m + \frac{v}{c} \frac{m}{\sqrt{1 - \frac{v^2}{c^2}}}}{\sqrt{1 - \frac{v^2}{c^2}}} = m + \frac{v}{c} \frac{m}{\sqrt{1 - \frac{v^2}{c^2}}} \quad \times m$$

$$\text{وأما في نظر سائق القطار فان} \quad \frac{m - \frac{v}{c} \frac{m}{\sqrt{1 - \frac{v^2}{c^2}}}}{\sqrt{1 - \frac{v^2}{c^2}}} = m - \frac{v}{c} \frac{m}{\sqrt{1 - \frac{v^2}{c^2}}}$$

ومن هاتين المعادلتين يمكننا (لو سمح المقام) ان نستخرج قيمة ق وق اي قيمة الوقت في نظر كل من ناظر المحطة وسائق القطار. فهي :



$$\frac{ق}{\frac{س}{ن}} + \frac{ق}{\frac{س}{ن}} = \text{في نظر ناظر المحطة ق}$$

$$\frac{ق}{\frac{س}{ن}} - \frac{ق}{\frac{س}{ن}} = \text{وفي نظر السائق ق}$$

فنرى في هذه المعادلات كيف ان الوقت يختلف عند الواحد عنه عند الآخر كما ان المسافة تختلف ايضاً (ولها بحث خاص) ونرى ايضاً كيف ان الوقت اندمج مع المسافة فكوّن بُعداً رابعاً جعلته سرعة النور وسرعة الجسم المتحرك يختلف في نظر الواحد عنه في نظر الآخر. (يتضح هذا جيداً في البحث في نسبية التوقيت)

ماذا نفهم مما تقدم؟ لم نفهم مما تقدم ان الزمن يُبعد رابع فقط بل علمنا ايضاً امر آخر عظيم الشأن وهو ان الزمن او الوقت (او المدة) نسبي يتمدد في نظر المراقب البعيد كما ان المسافة نسبية تتقلص في نظر المراقب البعيد

كان العلماء والفلاسفة قبل عهد «النسبية» يعتبرون الزمن او الوقت شيئاً مستقلاً قائماً بنفسه لا علاقة له بالمكان او الحيز. وهو هو بعينه في نظر المراقبين للحوادث مهما تباعدت مواقعهم ومهما ترامت مواقع الحوادث عنهم. فكانوا يعتقدون ان الوقت لحادث في اي مكان بعيد هو نفس الوقت لرصد هذا الحادث اينما كان ومهما اختلفت ابعاد الحادث عنه ولكن من مجرد التأمل في المعادلات المذكورة آنفاً يتضح لك ان الوقت لا وجوده ولا هو بالشيء المستقل القائم بنفسه. ماهو الا نتيجة فعل الحركة (الحادث) في الحيز. فهو مقياس للحركة فقط. ولما كان نظر الرقباء للحوادث يختلف باختلاف ابعادهم عنه لان النور (او اي امواج كهربائية مغناطيسية) هو الوسيلة لنقل خبر الحوادث اليهم، صار الوقت (الذي هو مقياس الحركة)، في نظر الواحد منهم يختلف عنه في نظر الآخر حتماً كما تدل عليه المعادلات المذكورة آنفاً

اذاً الوقت (الذي هو بُعد رابع كما تقدم تبيناه) هو شيء نسبي ايضاً. وتتضح نسبته جيداً في شرح نظرية «التوقيت» اي حدوث حادثين متباعدين في وقت واحد. وهي من أهم قضايا النسبية وافكها. وربما عدت اليها في مقال آخر





غوردون باشا



وصول الحملة البريطانية المصرية الى الخرطوم



# شهيد الخرطوم

او غوردون باشا

صدر المستر بير كراييتس القاضي الاميركي في المحكمة مصر المختلطة الابتدائية كتاباً نفيساً بعنوان « غوردون : النخاسة والسودان » تتبع فيه حياة غوردون من ناحية عمله في فتح السودان ومحاربة النخاسة وانحصاره في الخرطوم وغير ذلك من الحوادث المتصلة بتاريخ مصر الحديث اوتق اتصال. وقد كتب المؤلف كذلك مقالة في مجلة آسيا الاميركية لخصناها في ما يلي وانما نشير على المعنيين بهذا الموضوع ان يجمعوا المقالة توطئة لقراءة الكتاب . وهو يطلب من مكتبة الانجلو المصرية بشارع قصر النيل

احتفل في ٢٨ يناير سنة ١٩٣٣ بالعيد المئوي لولادة غوردون «الصيني» ولا بد ان يكتب الكتاب احتفالاً بهذا الحادث بضع تراجم جديدة للضابط الانكليزي الشديد التمسك بالدين والذي قاد الجنود الصينية الى النصر في فتنة تاينغ سنة ١٨٦٣ و ١٨٦٤ ثم دافع بعد ذلك عن الخرطوم دفاعاً موسوماً بالبسالة ومثيراً للاشجان مما يقل نظيره في مأساة الحرب وفي مدة حياته تبارى الكتاب في المبالغة بدمه وبمدحه . ويقول معاصروننا في تقدير صفاته انه بطل عسكري وديني معاً عاش للانسانية لا لنفسه

كان لتشارلس جورج غوردون عينان زرقاوان خلابتان تولدان الثقة في الناظر اليهما ويكتسب صاحبهما بهما الاصدقاء . وكان في صوته نعومة ورنه يعرف بهما « الرجل » الانكليزي الكريم وكان اقرب الناس الى القلوب واكثر الجنود تمسكاً بالمسيحية وقد مرت الى الآن خمسون سنة منذ اصبغ في ٢٦ يناير سنة ١٨٨٥ « شهيد الخرطوم » ولكن المناقشة التي قسمت انكثرا حينئذ معسكرين وتلاميذ السياسة الخارجية في العالم كله حزين لم تحمد ويلوح انها سوف تدوم الى الابد

وقد يكون المثل القائل ان الولد ابو الرجل صحيحاً ولكن لم يكن في حادثة غوردون ما يدل على اخلاقه وصفاته التي اشتهرت فيما بعد . فقد ولد في ٢٨ يناير سنة ١٨٣٣ وكان الابن الرابع في عائلة مؤلفة من احد عشر ولداً . وكان ابوه جنرالاً في الجيش البريطاني وعني بتربيته تربية عسكرية . ولكن مرّ زمان ظهر فيه ان «شقاوته» في المدرسة الحربية قد تضطّره الى ترك الخدمة العسكرية لانه كان شديد الايذاء للطلبة الذي هم دونه في الصفوف وولج مرة على ذلك فانتقل من قسم المدفعية الملكية الى المهندسين المكين في المدرسة العسكرية الملكية لهذا السبب



ولما ترك مدرسة وولت للخدمة ضابطاً في قسم المهندسين امر بالذهاب الى بمروك وعهد اليه في وضع رسوم لبناء حصون عند مدخل الميناء . وفيما كان هناك تملكته الافكار الدينية فكان يصلي بغير قرجل متجدد ويكثر من قراءة الكتب الدينية وتغير نظره الى الحياة تغيراً كاملاً ثم شبت نار حرب القريم فانتدب للخدمة في خنادق سباستبول فامتاز بالشجاعة وهو ابن ٢٢ سنة . وبلغ من ثقة وزارة الحربية به انه لما شهرت بريطانيا الحرب على الصين سنة ١٨٦٠ وجه اليها ولكن القتال انتهى قبل وصوله الى الشرق الاقصى ومع ذلك بقي في الصين اربع سنوات واشتبك في حربها الاهلية فكان ذلك واسطة للتمرس بشؤونها المحلية تمرساً اكسبه احترام حكامها وحبهام له

وقاد جيشاً صينياً لقب « بالجيش الدائم النصر » فأنعم عليه بالسترة الصفراء وبريشة الطاووس ورتقي الى رتبة « مندرين » . وعاد الامبراطور فرقاه الى رتبة تيتو اي ميجر جنرال في الجيش الصيني حتى عرف في الهيئة الاجتماعية في لندن بلقب غوردون « الصيني » . وانعمت عليه الملكة فكتوريا بنيشان الحمام وبرتبة لفتنت كولونل في المهندسين المسكين . فلم يبلغ الثلاثين حتى عدّ احد ابطال الوطنيين

ولما عاد الى لندن حاولوا حرق البخور له فلم يرقه ذلك بل آثر ان يترك شأنه . ورجب بالفرصة التي سنحت له اذ انتدب لاقامة حصون على نهر التايمز فدفن نفسه في ذلك العمل مدة خمس سنوات . وقضى ساعات فراغه في الاعمال الخيرية . وكان كثير من المرضى اذا حضرتهم الوفاة يدعونه اليهم ويفضلونه على رجال الدين الرسميين فكان يلبيهم مهما بعدت الشقة . ولكنه لم يكن يلبى دعوة الذين يدعونه لرياسة الاجتماعات الدينية لانه كان يمتقت الظهور والتظاهر وافضى كرهه للظهور وبذلك نفسه عن غيره الى تقول كبار الضباط وصغارهم الاقوال فيه ففسروا زهده في امور الدنيا بشذوذ طباعه وغرابة اطواره واستهدف بسبب ذلك لسخريتهم حتى بلغت سخريتهم وزارة الحربية . واتفق ان خلا منصب كبير في لجنة الدانيوب الاوربية فعين فيه حالاً مما دلّ على ان اهل الشأن لم يبالوا مثقال ذرة بما تقول الناس فيه

وفيما كان في الاستانة بصفة مهندس ملكي اجتمع بنوبار باشا وزير خارجية مصر في عهد اسماعيل باشا الخديوي . وكان السر صموئيل باكر الحاكم العام للاقاليم الاستوائية ينوي الاستعفاء من منصبه وكان لا بدّ من انكليزي يحمل محله فأعجب نوبار باشا غاية الإعجاب به فطلبت مصر من الحكومة البريطانية ارساله اليها فلبت طلبها

وكان مرتب السر صموئيل باكر ١٠ آلاف جنيه في السنة فاصر غوردون على ان ينخفض مرتبه هو الى النجنيه وقال « ان الفلاح يعطي هذا المال من عرق جبينه ومرتي في لجنة الدانيوب الفا جنيه فليس هناك سبب يحتملي على ان ادع مصر تدفع اليّ اكثر من هذا المرتب »



وسر المهندس الملكي بهذا الميدان الجديد الذي فتح امامه اذ رأى فيه فرصة لخدمة الإنسانية . وكان يعرف ان اواسط افريقية اروج اسواق النخاسة فلذلك فسر تعيينه في منصبه الجديد بأنه وسيلة لمحاربة الرق في منبعه

وكتب الى شقيقته سنة ١٨٧٣ وهو في لجنة الدانيوب وقبل قبوله المنصب المصري يقول : « ان الله اذن في ترك النخاسة وشأنها هذه السنين الطوال . ولما كانت قد خلقت مع القوم نهي في حاجة الى اكثر من حملة لاستئصال شأفتها . لتفتح البلاد اذا لسقطت من تلقاء نفسها . اني اكره ان تفقد نفس واحدة في هذا السبيل وسأحاول منع كل حادث يحدث اذا ذهبت الى هناك » وكتب اليها بعد ذلك باسبوع :

« اعتقد اذا استقرت احوال السودان ان الخديوي يمنع الاتجار بالرقيق ولكنه لا يرى السبيل الى ذلك واضحا حتى يتمكن من التجوال في البلاد . ومن رأيي ان نفتحها بجعل البواخر نصل الى البحيرات . وفي اثناء ذلك اهتدي الى النخاسين فاسأل الخديوي ان يقبض عليهم » وخير ما يوصف به غوردون انه كان اغناطيوس لويولا ( مؤسس فريق اليسوعيين ) في القرن السادس عشر او متصوفا انجليكانيا عيناه في السماء وقدماه على الارض . او عالما يفهم نواميس الاقتصاد ويؤمن بالصلاة ويعير تعاليم ادم سمث ( الاقتصادي ) اذنا صاغية وقلبا واعيا وقد رأى بعين الحالم الخيالي الذي فيه خميرة من الحقائق ان النخاسة جزء لا يتجزأ من بناء افريقيا الاقتصادية فلذلك عزم ان يناوئها لا بأوامر عالية من الخديوي ولا بالصلاة والصوم بل باسكان الناس في السودان وايصال البواخر الى البحيرات كما قال وبفتح الاقاليم الاستوائية في وجه الحضارة

ونال غوردون الخطوة عند اسماعيل باشا في اول اجتماع به فوضع فيه كامل ثقته ومنحه سطة لا حد لها في منصبه الجديد وعين رئيسا لاركان حربه اميركيا اسمه الكولونل تشايلي لونج من مريلند وولى اميركيا آخر هو الميجر وليم كبل منصباً حربيّاً آخر تحت قيادته لمقاومة تجارة الرقيق . ثم سافر غوردون الى قلب افريقية

ولم يكد كبل يتولى منصبه في الخرطوم حتى توفي بالحمل . اما لونج فانتدب لمهمة في اوغنده فعين اميركي آخر محله هو الميجر بروت وكان ينوب عن غوردون في اثناء غيابه ولم يمض زمان طويل حتى طلب من الخديوي ووزارة الحربية في لندن طلباً اثار مقاومتها معا وهو تعيين نخاس عربي اسمه ابو سمود في خدمته . وكان السر صموئيل باكر قد قال عن ابو سمود انه مجرم لا يصلح وشهر به في العالم قائلاً انه اعظم نخاسي افريقية . ولكن ذلك كله لم يمنع غوردون من ان يطلب اطلاق سراحه وتعيينه في خدمته حاذياً في ذلك حذو باكر نفسه اذ جمع حرساً له من المجرمين ومعتادي الاجرام وهم من الذين سماهم في احد كتبه



« اللصوص الاربعين » فحولهم من لصوص الى حفظة للامن منفذين للقانون لم يخونوه مرة واحدة واشتهروا بالبسالة والامانة والاخلاص له . ولما سافر من افريقية عين « وات الملك » من كبار النخاسين سابقاً لحفظ النظام والقانون في السودان الى حين وصول غوردون ولكن باكر خالف غوردون في اختيار ابي سعود لخدمته وكان عنده اسباب حملته على ذلك وكتب في التيمس ينتقد هذا التعيين . ولم يكذ غوردون يستخدم ابا سعود حتى رأى انه لا ينفعه فصرفه على عجل

ومن اغرب ما روى عنه في اوائل مقاومته للنخاسة ان اول سرب من الرقيق اسره من النخاسين كان مؤلفاً من فتيات سودانيات جيء بهن من بلدان تبعد مئات الاميال . فقال في نفسه : ماذا تريد هؤلاء الفتيات حقيقة غير الزواج ؟ ثم امر بهن فخرن امامه فسالهن هل تزوجن من جنودي ؟ فأجبته بصوت واحد « نعم » . والتفت الى جنوده وسألهم السؤال عينه فأجابوا بما اجاب به الفتيات . فقال « يا بنات اخترن ازواجكن » ففعلن فزوج الفتيان بالفتيات . وكتب في مذكراته في ١٩ سبتمبر سنة ١٨٧٧ يقول :

« لقيت صباح هذا اليوم قافلة من الرقيق وعددهم ٦٠ او ٨٠ رجلاً وامرأة وولداً وهم موثقون بالحديد . فماذا اصنع لهم ؟ فاذا اطلقتهم فمن يعنى بهم او من يطعمهم ؟ ومنازلهم بعيدة فمن يعيدهم اليها ؟ لذلك قررت ان اكره النخاس الذي معهم على فك قيودهم وابقائهم معه . والحق ان النخاس لم يؤذ احداً بشرائهم لأن شراء الرقيق محلل في مصر ولم يأخذهم من منازلهم . ولا علاج لهذه الحالة الا وقف النخاسة على الحدود »

وبقي غوردون يناوىء النخاسة حتى تخلى اسماعيل باشا عن عرش الخديوية سنة ١٨٧٩ وكان الخديو صديقه ومؤيده فلما اكرهت اوربا اسماعيل على الاعتزال رأى غوردون ان الأليق به ان يرحل في اول فرصة . وترك افريقية وعين سكرتيراً خصوصياً للورد ريبون حاكم الهند ولكنه لم يلبث ان استعفى ثم جاءه تلغراف من السر روبرت هارت المفتش العام للجمارك الصينية يلح عليه في السفر الى الصين فسافر وساعد على منع الحرب بين الصين وروسيا وعين بعد ذلك في مناصب مختلفة ثم عاد الى انكلترا فطلب اجازة للسفر الى فلسطين . وفيما كان فيها طاب منه ليوبولد الثاني ملك البلجيك ان يتولى ادارة ولاية الكنگو الحرة فقبل بشرط موافقة وزارة الحربية في لندن وعاد الى انكلترا للاستعداد للسفر اليها

ولكن « القسمة » حالت دون انفاذ هذا المشروع . ذلك انه لم يكذ يصل الى سوميبتن حتى جاءت الأنباء بان جيش هكس باشا ابعد في الابيض ومات هكس وجميع الضباط الانكليز الذين كانوا معه . فروع انكلترا كلها وضربت الصحف على هذه النعمة وتزعزت وزارة غلادستون فانفذ غوردون الى القاهرة وهكذا انتقد وزارته . وبقي غوردون على الطريق عشرة أيام استردت





مقتطف ابريل ١٩٣٣ قبيل قتله  
 غوردون باشا امام قصر الحاكيم في الخرطوم  
 امام الصفحة ٤٥٥



فيها البلاد صوابها وغلادستون رزائنه . فطلب غوردون انضمام الزبير (باشا) الى بعثته فاستنكر غلادستون ومن لف لفه من كارهي النخاسة هذا الطلب لاشتهار الزبير بها . ووافقهم اللورد كرومر (السرافلن بارنغ حينئذ) على هذا الاستنكار اولاً فلم يسع غوردون الا السكوت ولكنه لما سافر جنوباً جعل ينفذ الرسالة اثر الرسالة الى السرافلن ملحقاً في اقناع لندن بالموافقة على طلبه والحق يقال ان كرومر اقتنع بعد ذلك برأي غوردون وأيده في طلبه . ومما قاله غوردون

ان المصريين والانكليز طبعاً — سيتحولون قريباً عن السودان فتسمي هذه البلاد السوداء معرضاً للرجل الاسود . واقدر رجل اسود اعرفه هو الزبير . هو السوداني الوحيد الذي يستطيع اقامة حكومة منظمة في تلك الانحاء . فاذا اعزلنا — ولا بد من اعزلنا — وجب ان اسلم مقاليد الامر الى رجل ما . فان لم يتول الزبير امر رحيلي مع الحماية والملكيين الذين يريدون الرحيل فانه لا يسعني اذ ذاك الرحيل وان استطعته تلاه مذبحه بين الاهالي ، فقد يكون الزبير رجلاً شريراً ولكن الضرورة تحوجنا اليه الآن . فباسم كل شيء مقدس ارجو منك ان تدعني استخدم الزبير

انقذ غوردون غلادستون ووزارته من الهزيمة والخذلان ولكن غلادستون ترك غوردون يقاوم التيار ويفرق مفضلاً ذلك على ان يعهد في امر انقاذه الى وسيلة غير مستقيمة لكن معقولة (الزبير) . لذلك طاول غلادستون وسوف وانتظر واكثر الكلام . وقبل ارساله الجواب الاخير كان المهدي قد اطبق على الخرطوم

وبعبارة اخرى ان الوزارة البريطانية ارسلت تلغرافاً من القاهرة الى الخرطوم تخبر غوردون فيها بانها لاتوافق على استخدام الزبير ولكن يظهر ان هذا التلغراف لم يصل بسبب قطع الاسلاك . فقد قال اللورد كرومر في كتاب « مصر الحديثة » الذي كتبه « لا اظن ان هذه الرسالة وصلت الجنرال غوردون »

ويوميات غوردون لاتبقى مجالاً الى الارتياح في هذا الامر . وذهب غوردون الى قبره وهو ينتظر جواب طلبه لاستخدام الزبير . وفيما كان غوردون بين الرجاء والياس وقف غلادستون في البرلمان وقال « ان غوردون غير مكنتف . وموقفه موقف سلامة على ما نعلم »

ان غوردون لم يخن ولم يضح به ولم يتخل عنه ولم يسأ فهمه . لكن غلادستون الخطيب السياسي اصر على درس عيني غوردون الخيالي وأبى ان يقرأ عقل غوردون صاحب الحقائق فقد كان هذا العقل صافياً شفافاً . وسجلات وزارة الحربية وسجلات جريدة التيمس والملحق الذي اضيف الى كتاب باكر « الاسماعيليه » وحملات الجمعية المضادة للرقيق على غوردون وكتابه عن اواسط افريقيا — وفيه ٤٥٦ صفحة — هذه كلها جعلت عدم فهم غلادستون لعقل غوردون امراً مستحيلاً ، ومع ذلك لم يفهمه . وقد اعماه عظم اغتراره بنفسه



## قيارتاه

دنياك تسقي الكأس في حينها      من خمرة ما عتقت في الدنان  
 إن غاب ما للارض في ارضه      فلم تزل تلك المعاني الحسان  
 راحا الى الخلد خلاً على      خمائل الطوبى بأسمى مكان  
 وعلقت في سدره المنتهى      بين خدور الحور قيارتان  
 اذا شدا الأملاك تسبيحهم      شاركنا جوق العلى تصدحان

ما نومة الشاعر في لحده      بضجعة المهزوم بعد الطعان  
 لا تندبوه ! ما خبا نوره      فشعره نبراس اهل الزمان  
 معتصر من مهجة سمحة      شعورها يملأ سمع الكيان  
 يأسى مع الآسين في حزنهم      ويبرىء الجرح بلمس الحنان  
 ويكسب الغبطة في كأسه      خمرًا — لحاسيها المنى والامان  
 الزهو والحكمة في شعره      وعبرة الدهر وشدو القيان  
 ودائع التاريخ في لحنه      وفي امانيه نحيبي الجنان  
 مجتجح الفكرة يسمو بها      الى ذرى فوق حدود المكان  
 يحس شوق الورد في روضه      ونعمة الزينق والاقصوان  
 ويقرأ النجوى اذا أومضت      في الزهر ليلا او عيون الحسان  
 ويحمل الحملة فرداً على      جحافل الظلم ويأبى الهوان  
 في الكوخ حرَّ عظمت نفسه      وفي قصور الملك حرَّ اللسان  
 من يعرف الشاعر في ذله      مرفوعة هامته ما استكان  
 من يعرف الشاعر في مجده      يسحب في ظل المنى الارجوان  
 احلامه شتى افانيتها      عزّت على ذي التاج والصولجان  
 فلنحترم زقده بعد ما      فاز فألقى سيفه والسنان

(١) من قصيدة للشاعر السوري الاميركي نسيب عريضة القيت في الحفلة التي اقامها ادباء نيويورك  
 وأديباتها لذكرى حافظ وشوقي



## موقف الأمويين من الدعوة الإسلامية

واسباب منافستهم لبني هاشم

ما برحت السيرة النبوية ميداناً فسيحاً لأقلام الكتّاب والعلماء شرقيين وغربيين يحولون في نواحيه ومرتعاً خصباً للشعراء والادباء يستمدّون منها الوحي والالهام ، يزيد بها البحث والاستقصاء اشراقاً وسناءً ، ويبحولوها الدرس والاستقراء ويساعد على استخراج العبر والعظات من ثنائها وعلى استنباط الاحكام والقواعد من تضاعيفها

ويضيق بنا المقام لو حاولنا احصاء ما أُلّف في موضوعها من كتب فامر ذلك يطول وحسبنا ان نقول انه لم تبق لغة من اللغات الحية وخصوصاً اللغات الاوربية المنتشرة الا وضعت فيها عشرات المؤلفات ، ولئن تجاوز بعض المؤلفين والباحثين الغربيين في القرون الوسطى حدود الاعتدال والروية في تدوين حوادثها وسرد اخبارها ، فقد انصف متأخروهم المسلمين ونبييهم فجاءت كتاباتهم يزينها الانصاف وتتجلى فيها روح التجرد والرزانة

وليعدّ دارس السيرة النبوية في كتب العرب والاfrican على معلومات مبعثرة في التنافس بين الهاشميين والامويين. تميّط اللثام عن عوامله واسبابه وتبين البواعث التي بعثت هؤلاء على مقاومة الدعوة الإسلامية وخصوصاً في ابتداء امرها ، وهو التنافس التي حفلت بحوادثه واخباره المؤلفات القديمة ، وكان مصدر شقاق ونزاع خلال القرن الاول ونصف القرن الثاني بين المسلمين اي انه استمرّ سجابة الحكم الاموي وامتدّ حتى اوائل قيام الدولة العباسية وقد بالغ رجالها في التنكيل بالامويين وانصارهم ، فلجأوا الى المغرب وانشأوا فيه دولتهم الكبرى ، ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك في الشرق . ولئن نسي المسلمون هذا الخلاف بعد زوال الحكم الاموي وانقضاء عهده ، فلا يزالون يذكرون مصرع الشهيد ابي عبد الله الحسين في كربلاء على يد الامويين وما اقترن به من فجائع وفظائع يتلون تفاصيلها بكراً وعشياً

لقد كان حبل الود والصداقة ممدوداً في الجاهلية وقبل البعثة النبوية بين الهاشميين والامويين تجمعهم جامعة النسب والقربى وتربطهم اوشاج المصاهرة وهم ابناء عم لحا فرسول الله يجتمع مع ابي سفيان في الجد الخامس فهو ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أما ابو سفيان زعيم الامويين يومئذ فهو ابن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف



وكانت الزعامة السياسية والحربية<sup>(١)</sup> والتجارية لبني عبد شمس في مكة ابان البعثة النبوية وفي الفترة التي سبقتها — لغنائم ولا تساع لطاق تجارتهم فقبضوا على مقاليدها . وكان ابو سفيان يقود القوافل الى الشام والعراق ويضرب اكباد الابل مصعداً ومصوباً وطاويماً ارض الجزيرة طيماً في طلب الثروة والغنى . وكانت الزعامة الدينية في بني هاشم وهم اصحاب سقاية الحجيج ولم تكن حالتهم المادية على ما يرام حيال أبناء اعمامهم من الامويين التجار . ولم يشذ عن هؤلاء سوى العباس بن عبد المطلب فقد اصاب حظاً من الثروة والغنى . من اشتغاله بالتجارة وكانت حالة ابي طالب رقيقة يدل على ذلك انه قبل اقتراحاً عرض عليه بان يوزع ابناءه بين آله في احدي سني الجذب للتخفيف عنه فتولى الرسول — بعد زواجه بخديجة وقد حسنت بسببه حالته المادية — امر علي . وكفل العباس جعفر واستبقى ابوطالب عقيلاً لنفسه وكان احبّ بنيه اليه وبين الذين اسرفوا في معاداة النبي ومقاومته في ابتداء امره ، ابو جهل واسمه عمرو وكنيته ابو الحكم وهو ابن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي ، وهو عميد بني مخزوم انداد الامويين في الزعامة والثروة والغنى . وقد امتاز هو وابو سفيان في تدبير المكائد وقيادة الجيوش لمحاربة الاسلام والقضاء عليه ، ولئن هلك الاول مقتولاً بايدي المسلمين يوم بدر فقد اسلم الآخر ( ابو سفيان ) يوم فتح مكة وشهد « حنيناً » مع النبي وتم لابنه معاوية امر الخلافة وانشأ الدولة الاموية وقد نسبت الى جده الاكبر وما يصح الاستشهاد به على ما بين الامويين والهاشم من صلة قرابة ونسب ما خرجه البخاري عن ابي سفيان حينما ورد كتاب رسول الله الى قيصر الروم هرقل يدعوه الى الاسلام وكان في حصن فقال حين قرأه التمسوا ههنا لي احداً من قومه لا سألهم عنه . قال ابو سفيان فوجدنا رسول قيصر فانطلق بي وباصحابي من تجار قريش حتى قدمنا ايلياء . فأدخلنا عليه فاذا هو جالس في مجلس ملكه وعليه التاج واذا حوله عظماء الروم . فقال لترجمانه سلهم ايهم اقرب نسباً الى هذا الرجل الذي يزعم انه نبي . قال ابو سفيان فقلت انا اقربهم اليه نسباً . قال ما قرابة ما بينك وبينه فقلت هو ابن عمي وليس في الركب يومئذ احد من بني عبد مناف غيري<sup>(٢)</sup> . وعلل ابو جهل اسباب مقاومته لدعوة رسول الله تعليلاً عبر فيه احسن تعبير عما يجده على بني هاشم الذين بعث الله منهم رسولاً فقال ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف اطعموا فاطمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى اذا تماخضنا على الركب وكنا كفرنسي رهان قالوا منا نبي يأتيه وحى السماء فتى ندرك مثل هذا ، والله لا نؤمن به ابداً ولا نصدقه<sup>(٣)</sup>

(١) يؤيد ذلك ما رواه المؤرخون وهو ان حرب والد ابي سفيان قاد قريش في حرب الفجار وقد وقعت قبل البعثة النبوية وشهدها النبي وهو صغير مع اعمامه وكان يناولهم النبال (٢) البخاري ج ٢ — ص ١٠٥  
(٣) ١٩٣ — ج ١ ابن هشام



فهذا «التصریح» يدل على ما كان هنالك من منافسة بل وحسد وعلى ما كان هذا المخزومي يجده على الهواشم وكيف كان يعد قيام واحد منهم بنشر دعوة لدين جديد مجدداً شخصياً يضاف لهؤلاء ويحرم هو وقومه منه ولذلك اجمعوا امرهم منذ الساعة الاولى على المقاومة وعدم التماسح بوجه من الوجوه ، وقد لا يبعد ان يكون هذا الباعث نفسه ، هو الذي بعث بني هاشم ، ولم يقبل الدعوة منهم في اوائلها سوى عدد قليل جداً ، على تأييد الرسول وشدة ازره وتحمل انواع الاذى والاضطهاد في سبيله . ولا يخفى ان اول من اسلم من الهاشميين هو علي بن ابي طالب وقد كان غلاماً يافعاً في كنف محمد . وتلاه اخوه جعفر وكان بين الذين هاجروا الى الحبشة وأسلم حمزة في السنة الثامنة . وأسلم العباس في السنة العاشرة وكان النبي زاحفاً على مكة . وكذلك سفيان بن المغيرة . ومات ابو طالب وابو لهب على دين الجاهلية . وشذ هذا وحده عن آل هاشم فالألامويين على ابن اخيه واهله . ومات عام بدر متأثراً من ضربة ضربته بها زوجة العباس اخيه في حادث طويل ليس هنا مكان بسطه

ويلاحظ لنا ان السبب في اغراق ابي جهل في العداء وتمادييه فيه هو ملازمته للنبي في مكة لا بكاد يفارقه ليلاً ولا نهراً خلال السنوات العشر الاولى ، على الضد من ابي سفيان الذي كان يرحل في تجارته . على انه ما لبث ان تفرد بالعمل بعد هلاك ابي جهل فأنتهت اليه الزعامة العليا في قريش واصبح سيد القوم غير مدافع . والف ابو جهل الوفود وسار على رأسها الى ابي طالب رجوه باسم قريش بأن يكف لسان ابن اخيه عنهم ويمنعه عن الطعن في آلهتهم ومعتقداتهم ثم مستعدون ان ينيلوه جميع ما يرغب او يسلمه اياهم ليقتلوه وقالوا له يا ابا طالب ان ابن اخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفقه احلامنا وضلل آباءنا فاما ان تكفه عنا واما ان نتخلى بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه فنكفك فلهذا فقال لهم ابو طالب قولاً رقيقاً وردهم رداً جميلاً وكرر ابو جهل وابو سفيان قيادة الوفود الى ابي طالب رجونه ان يكف عنهم ابن اخيه وكان من عصبية في حرز حريز . ولما ضاقوا ذرعاً وادركوا انه لن يتخلى عنه ، وان الاعتداء عليه قد يؤدي الى اضرار نار حرب اهلية في مكة لا تبقي ولا تذر وان امره في ازدياد ، قرروا ان يقاتلوا بني هاشم كافة ويحاربوهم حرباً اقتصادية اجتماعية ، وربما كانت قريش اول من لجأ الى هذا الضرب ( المقاطعة ) من ضروب الحروب الاقتصادية في مقاومة خصومها والاقتصاص منهم لاعادتهم الى رأيها ومعنى ذلك ان المقاطعة عرفت منذ اربعة عشر قرناً ونيف

وعقدت الجمعية العمومية لقريش في الكعبة فدرست قضية بني هاشم وبني عبد المطلب من آل عبد مناف وشدهم ازر محمد فاتفقت الكلمة على ان لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعون منهم شيئاً وكتبوا بذلك صحيفة وقعتها الجميع وعلقوها في الكعبة ورأى بنو هاشم انهم امام حالة جديدة وان مكة اتفقت بجميع هيئاتها واحزابها ورجالها



عليهم لجهلهم على تسليم رجالهم لخنحوا الى المقاومة وابوا الخضوع وانحازوا الى ابي طالب فلجأ بهم الى شعبه<sup>(١)</sup> اي شعب ابي طالب واقاموا فيه ثلاث سنوات محصورين لا يتصلون بمكة الا في خلال الاشهر الحرم فاذا انتهت رجعوا الى شعبهم وعاد المكبيون الى حصارهم على انهم كانوا يمتارون سرّاً وقد انضم اليهم في هذه العزلة المسلمون . وفي نهاية السنة الثالثة ظهرت حركة في مكة ترمي الى وضع حدٍّ للمقاطعة قادها زهير بن ابي امية وهاشم بن ربيعة وابو البخثري بن هشام والمطعم بن عدي فتم لها تقض قرار الحرمان والغاء المقاطعة رغم مقاومة ابي جهل الشديدة واشتد ساعد المسلمين بعد الغاء المقاطعة وانصرف النبي الى نشر دعوته بين القبائل فاضطربت قريش وعقدت اجتماعاً في دار الندوة فاقترح ابو جهل<sup>(٢)</sup> اقتراحاً فقال : ارى ان نأخذ من كل قبيلة شاباً فتىً جليداً ، نسيباً ، وسيطاً ، فينأثم نعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يعمدوا اليه ( محمد ) فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه فانهم ان فعلوا ذلك تفرّق دمه في القبائل جميعاً فلم يقدر بنو مناف على حرب قومهم جميعاً واتصل به نبأ هذه المؤامرة فغادر مكة الى المدينة مهاجراً ليكون في مأمن على نفسه ، بعد ان مهد لذلك بمبايعة الاوس والخزرج له وبعد ان امر المسلمين في مكة بالهجرة الى يثرب وهناك اسس دولته الجديدة فقاتلت قريشاً وغلبتها على امرها وانتزعت منها السيادة والمجد فقد اصطدم المسلمون بقريش في بدر للمرة الاولى فانتهصروا عليهم فسهل لهم هذا النصر التغلب على المصاعب العديدة والاستيلاء على جزيرة العرب . وخلاصة ما وقع ان النبي خرج يوم ١٧ رمضان من السنة الثالثة للهجرة يقود جيشاً يتألف من ٢٤٠ من الانصار و٧٠ من المهاجرين ليسطو على قافلة قريش السنوية الكبرى التي تسافر بين الحجاز والشام فنزل بداراً وهي مكان متوسط تمر به القوافل في غدوها ورواحها وتسقى من آبارها فلما علم ابو سفيان وكان يقود قافلة قريش بخروج المسلمين للقائه خاف على قافلته وفيها نحو الف جمل موقرة بالبضائع ويبلغ ثمنها نحو نصف مليون دينار فاستأجر رسولاً ارسل الى مكة لينذرها لئلا يخطروا وليدعوهم الى الخروج للدفاع عنها فلبوا النداء وهرعوا للحرب بقيادة ابي جهل وعدّتهم النفا فساروا ووزلوا وراء كتيب العقنقل في العدو القصوى من بدر . واقاموا هناك ثلاثة ايام . ثم جاءهم رسول من ابي سفيان وقد نجا بقافلته يقول لهم : انما خرجتم لتمنعوا غيركم ورجالكم وامرائكم وقد نجاها الله فارجعوا . فقال ابو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرأ فنقيم عليه ثلاثاً فننحر الجذور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا ابداً فامضوا وانتشرت في جيش قريش فكرة الرجوع وعدم الاشتباك في حرب مع المسلمين يؤيدها

(١) لفظ شعب لا يزال حتى الآن شاملاً في مكة فيقال شعب جباد وغيره والمقصود به معنى المحمي تقريباً

(٢) ٢٩٨ ج ١ ابن هشام



حكيم بن حزام وعتبة بن ربيعة والخنس بن شريق وغيره ، وقد عاد هذا فعلاً بقومه من بني زهرة فلم يشهدوا أحد منهم . وحاول حكيم ابن حزام اقناع أبي جهل بالرجوع فأبى وحرص الناس على القتال فوقعت المعركة ودارت الدائرة على قريش وقتل أبو جهل نفسه قتله شابان من الانصار ( معاذ بن عمرو بن الجموح واخوه معوذ ) ارشدهما اليه عبد الرحمن بن عوف فضرباه فخرحاه . ودافع عنه ابن عكرمة

ومرَّ عبد الله بن مسعود بأبي جهل بعد انتهاء المعركة ، يتلمس القتلى ، فوجده بأخر رمق فعرفه فوضع رجله على عنقه ثم قال له هل اخذك الله فقال اخبرني لمن الدائرة اليوم — لله ولرسوله — لقد ارتقيت مرتقى صعباً يارويعي النغم  
ثم حزن عبد الله رأسه وجاء به الى النبي والقاه بين يديه فقال الله الذي لا اله الا هو . وهكذا انتهت حياة هذا الزعيم

\*\*\*

انتهت الزعامة العليا في الوادي<sup>(١)</sup> بعد قتل أبي جهل وغيره من كبار الأمويين يوم بدر الى أبي سفيان فاخذ يعد العدة للنار والانتقام فهو الذي دبر حملة أحد وقادها كما قاد غزوة الخندق ثم أسلم يوم فتح مكة كما قلنا آنفاً وذلك أنه خرج يبحث في أعالي مكة عن خبر النار وقد أوقدها جيش المسلمين حينما وصل ليلاً ، وما كانت قريش تعرف من أمره شيئاً ، لأن النبي بالغ — حسب عادته — في كتم خبر زحفه على مكة . فالتقى أبو سفيان بالعباس عم النبي وقد أسلم هذا قبل ذلك فقال له يا أبا حنظلة هذا رسول الله في الناس واصباح قريش وأتمه . قال فما الحيلة فذاك أبي وأمي ؟ — والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فأركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله فاستأمنه لك وركب أبو سفيان خلف العباس وكانا كلما مرَّا بنار من نيران المسلمين قالوا هذه بغلة رسول الله حتى مرَّا بنار عمر بن الخطاب فقام عمر حينما رأى أبو سفيان وقال هذا عدو الله أبو سفيان الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله وركض العباس البغلة فسبقتُه فدخل عليه ودخل عمر وراءه . فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني فلا أضرب عنقه . فقال العباس اني قد أجرته ثم جلس الى النبي فاخذ برأسه وقال لا يناجيه الليلة دوني رجل . فلما أكثر عمر في شأنه قال العباس : مهلاً يا عمر فوالله انه لو كان من رجال عدي بن كعب ما قلت هذا ولكنك قد عرفت انه من بني عبد مناف . واخيراً أمر النبي العباس بأن يذهب به في رحله ويعود به في الغداة فلما رآه الرسول في الغداة قال ويحك يا أبا سفيان لم يأن لك ان تعلم انه لا اله الا الله — بأبي انت وأمي ما أحملك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت انه لو كان مع الله آله

(١) كانوا يكتون بهذا عن مكة لوقوعها في واد بين جبال شامحات



غيره لقد اغنى عني شيئاً بعد — ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك ان تعلم اني رسول الله — بأبي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك . اما هذه والله فان في النفس حتى الآن شيئاً فتدخل هنا العباس وقال له : ويحك اسلم قبل ان تضرب عنقك فاسلم . واقترح العباس على النبي ان يجعل لابي سفيان شيئاً يمتاز به عن غيره فاعلن ان من دخل دار أبا سفيان فهو آمن وانطلق هذا الى قومه فصرخ باعلى صوته : يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم في ما لا قبل لكم به فمن دخل دار ابي سفيان فهو آمن . فلما سمعت زوجته هند بنت عتبة صياحه قامت اليه فاخذت بشاربه فقالت اقتلوا الحميت الدسم الاحس قبيح من طليعة قوم . فقال لا تصغوا اليها وهكذا كانت نهاية ابي سفيان وعلى هذا المنوال دخل في الاسلام فهل كان مخلصاً في اسلامه ؟ ان هنالك حادثتين حدثتا بعد ذلك تلقيان شيئاً من النور على موقف ابي سفيان

فالحادثة الاولى كانت يوم حنين فقد كمن المشركون للمسلمين فلما وقعوا في الكمين اسخنوا فيهم طعناً وضرباً فترجعوا وكان ابو سفيان في جيش المسلمين فلما رأى ارتدادهم وتراجعهم في اول المعركة قال « لا تنتهي هزيمتهم دون البحر <sup>(١)</sup> » فهو بذلك يعرب عن اغتباطه بهزيمة المسلمين ويقول انهم لن يقفوا حتى البحر اي انهم سيجلون عن مكة

واما الحادثة الثانية فكانت يوم وفاة النبي فقد حاول ابو سفيان ان يحدث حدثاً نخطب سهيل بن عمرو وكان من خطباء قريش في مكة فقال « والله اني لأعلم ان هذا الدين سيمتد امتداد الشمس في طلوعها . فلا يغرنكم هذا (واشار الى ابي سفيان) من انفسكم فانه يعلم من هذا الامر ما اعلم ولكنه قد ختم على صدره حسد بني هاشم <sup>(٢)</sup> »

على انه لا بد لنا من الاشارة الى موقف يزيد بن معاوية حينما جيء له برأس الحسين الى دمشق بعد كربلاء وهو ذو صلة بموضوعنا ويدل على ان دخول الامويين في الاسلام وبلوغهم الدروة العليا من السيادة بفضلهم تنسهم قتلاهم بيدد فقد روى الرواة انه لما وضع رأس الشهيد ابي عبد الله الحسين بين يديه في طشت اخذني كتفه بقضيب في يده وينشد — ليت اشياخي بيدد شهدوا الخ وهناك امر آخر قد يفيد التنبيه عليه وهو انه كان بين الامويين من اسلم في ابتداء الدعوة وأدى خدمات جليلة للاسلام وفي مقدمة هؤلاء الخليفة الثالث عثمان بن عفان صهر النبي فقد دخل في الاسلام على يد ابي بكر وكان رابع اربعة دخلوه فأولهم خديجة ثم علي ثم ابو بكر ثم عثمان واسلم معه في يوم واحد سعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وبلال وكذلك فقد دخل في الاسلام حنظلة بن ابي سفيان وهو كبير انجاله واستشهد هذا في صفوف المسلمين يوم احد . وحذيفة بن ربيعة وغيرهم ولعلنا ندرس هذا الموضوع في مقالة اخرى

القاهرة

امين سعيد



# القضايا الاجتماعية الكبرى

في العالم العربي

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

## معرض المذاهب السياسية

﴿ المصلحة الفردية فوق سائر المصالح ﴾ كان الرأي الشائع في القرن التاسع عشر — قبل انتشار الآراء الاشتراكية — عن الحكومة وحق تدخلها في الشؤون العامة رأياً فردياً خلاصته ان كل فرد هو اعرف الناس بمصلحته الخاصة فلو ترك وشأنه في الظروف الملائمة لسمي دائماً للحصول على ما ينفعه ، لذلك لا يجوز للحكومات ان تتدخل في شؤون الناس أكثر مما هو ضروري لدفع الأذى ومنع سوء الاستعمال والأفان عملها يعرقل سير الناس في طلب المنافع ويقضي عنهم في المسائل التي يجب ان يقضوا هم فيها بأيديهم . ومن العجيب ان تكون هذه النظرية الفردية — لا نظرية «العقد الاجتماعي» ولا «الحقوق الطبيعية» — هي التي انتقلت بانكلا من الحكم العظمي الى الحكم العصامي . وان (جرمي بنثم) مؤسس نظرية السعادة الفردية وصاحب كتاب ( اصول الشرائع ) الذي نقله الى العربية المرحوم فتحي زغلول كان الحكيم الذي طبع بطابعه الخاص اصلاح سنة ١٨٣٢ البرلماني وهي سنة وفاته . وبموجب هذا الاصلاح امتدت حقوق الانتخاب الى الافراد واتسعت اتساعاً كبيراً وازيحت بعض العقبات المهمة التي كانت تعترضها . ونحنا هذا النحو الفردي ايضاً الفيلسوف الاقتصادي الكبير ( جون ستورتل ) المتوفي سنة ١٨٧٣ والمستر (هربرت سبنسر) شيخ الاجتماعيين المتوفي سنة ١٩٠١ وفي وسعنا ان نوجز «الحكمة البنثمية» ورأي البنثمين اجمالاً بما يأتي : وهو ان المعيار المضبوط للحقوق السياسية التي يتمتع بها الناس هو المصلحة وان السعادة العظمى للاكثرية العظمى هي غاية المجتمع وان هناية الافراد من النساء والرجال الذين يؤلفون المجتمع — لا المجتمع نفسه — هي التي يقيم لها وزن في القسطاس السياسي . وكان اصحاب هذه الديمقراطية الفردية ومن لف لفهم من الد اعداء التدخل الحكومي حتى ان المستر (هربرت سبنسر) لما نشر كتابه «الاحصاءات الاجتماعية» في سنة ١٨٥٠ ذهب فيه الى ان وظيفة الحكومة تقتصر على حماية حياة الافراد والدفاع عن حريتهم واموالهم فقط وفيما عدا ذلك يكون عملها تجاوزاً لاسوغ له ، وعنده ان دستور «المساواة في الحرية» هو ان يكون للفرد ملء الحق في ان يتمتع بجميع ملكاته او مواهبه ضمن حدود الحقوق التي لغيره ان يتمتع بها ، وعلى الدولة — بل واجها



الوحيد— ان تنفذ هذا الدستور فاذا ما تجاوزته الى غيره اصبحت متعدية ولم تعد حامية وكان هذا الاطلاق للفرد ان يعرف من حلة السعادة والهناء بقدر كل ما تنسج له معدته سبباً في ازالة الشيء الكثير من العقبات التي كانت تعتور الافراد في سيرهم مما آل في آخر الامر الى ظهور «الرأسمالية» بثوبها القشيب وتمتعها بحرية مطلقة وسلطان قاهر بحجة الحرية التي يحب ان يتمتع بها اصحاب رؤوس المال في روحاتهم وغدواتهم . واقتضت هذه الحرية في نظر القائلين بها مذهباً معروفاً هو مذهب «ترك الحبل على الغارب» *Laissez-Faire* يعني عدم تدخل الحكومة في الشؤون على امل ان مصالح الافراد الشخصية وتمتع كل واحد منهم بملكاته ومواهبه في الحدود التي لاتضير غيره تنتهي في آخر الامر الى التسوية العامة بين الجميع . ولو كانت المسألة كما قال (برنارد شو) هي جلوسنا على شاطئ النهر ومرور الماء من تحت ارجلنا يحمل الينا مطالبنا لهان الامر وصح هذا المذهب ولكن المسألة اننا هائمون في مركبة خيلها جامحة لا ندرى متى نسقط في الهوة او نصطدم بالصخرة . وكانت الفكرة الاجتماعية السائدة يوم كتب سبنسر « الاحصاءات الاجتماعية » ان الجمعية البشرية كناية عن حيوان كبير ذي وظائف بدنية فسيولوجية متنوعة فالسكك الحديد مثلاً هي اورده الدموية واسلاك البرق هي الاعصاب وأما الحكومة فهي العضو المدير للشؤون فلا غرو ان تكون وظيفتها الاولى والكبرى حماية الارواح والدفاع عن الحرية<sup>(١)</sup>

ومع كل ما في هذا المذهب الاجتماعي الحيوي — البيولوجي — من الحقائق الراهنة وما في الرأي الفردي من الاسس المشجعة فالمجتمع اليوم معتبر وحدة عقلية اجتماعية قائمة على الارتباط الذهني بين الافراد اكثر منه وحدة عضوية حيوانية قائمة على الارتباط الفسيولوجي . ولكن من الخطأ الفادح والاستنتاج المغلوط ان يظن احد ان اتصاف المجتمع بهذا الوصف الفكري المعنوي يزيل عن الافراد غرائزهم الحيوانية الاولى فهذه الغرائز البيولوجية هي الاساس والمجتمع الروحي الذهني هو البناء المشمخ القائم عليها ، بل دلتنا الحرب العالمية وما لزها من فظائع ومجازر ومجاعات وأوصاب والثورات الوطنية التي حضرناها على ان هذا الانسان «الكامل» المربى في احضان المدنية والمهذب في مدارسها العالية متى تملكته سورة الغضب او شعر بالحاجات الاولى عاد الى اساسه البيولوجي حالاً فظهر بمظهره الحيواني الصريح وممن نشأوا على النظرية الفردية الاقتصادية والابتعاد عن التدخل جهد الطاقة الرئيس (هوفر) في ايماننا هذه فكان مذهبه سبباً في عزلة اميركا واطالة الازمة الاقتصادية الآخذة بخناق الناس الى ان خذل في الانتخابات الاخيرة خذلاناً دل على نفرة الناس من سياسته . وارى ان هؤلاء الكتّاب الفرديين قد افراطوا كثيراً عند ذكرهم وجائب الدولة في جعل حماية

(1) Encyclopaedia Britannica, Vol. XI. p. 9.



الأرواح والأموال الكل في الكل ، ولئن كنا لا ننكر ان الدنيا تنقلب في يوم واحد رأساً على عقب ويتحول نظامها الى فوضى متى زالت هذه الحماية واصبحت الارواح عرضة للقتل والأموال عرضة للنهب الا أن مثل هذا الخلف في ذكرها والاقتصار عليه هو أليق بدولة تناسس حديثاً في عصر من الأعصر الخالية ، ولعمري ان هذه الحماية هي من البديهيات في نظر الدول الحاضرة والاقتصار على تصنيفها وشرحها هو اغفال لما استجد من الوجائب وما يستجد ، خذ على ذلك مثلاً حركة العمال التي تقيم المجتمع وتقعده في ايماننا . والتي تهدد النظم القديمة من الاساس ، ففي البلدان الصناعية استجد على الدولة واجب خطير يعبر عنه بقولهم « حق العامل ان يعمل » يعني حق العامل النشيط ان يحصل على ما يضمن له العمل اللائق به بحيث يتمكن من المعيشة معيشة شريف . فالمسألة اذاً كما قال <sup>(١)</sup> ( كوزدجل ) ليست دفع الفاقة والتسول ومنع الموت صبراً عن هؤلاء الناس فقط بل ضمانه حصولهم على مقياس من الحياة يجعل هذه الدنيا محتملة لديهم ويخفف من آلامها عنهم ، فمثل هذا الواجب المستجد على خطورته لا تشعر به البلدان التي تعيش في اجواء القرون الوسطى ، بل ما احوج هذه البلدان الى من يحفر بالازميل والمطرقة في مجامع حكامها آية تذكرهم بقدسية الحرية الفردية وشأن الحياة المنبسطة ، وما يعد من البديهيات المسلم بها في الاقطار الراقية قد يكون منار الشبهة والجدل في الاقطار المتأخرة

ولا ادل على رفض النظرية الفردية وما تستند اليه من مذهب « ترك الحبل على الغارب » من اجماع الدول الحاضرة — حتى اشدّها رأسمالية — على وجوب التدخل في الشؤون حرصاً على المصلحة العامة ومنعاً من سوء الاستعمال . ولعل اثنان تحفة أدبية خلفتها لنا نصوص المشترعين في وجوب التدخل ما جاء في حديث عبد الله بن المبارك « أن قوماً ركبوا سفينة في البحر فاقسموا ، فصار لكل رجل منهم موضع ، فنقر رجل منهم موضعاً بفأس فقالوا له ما نضع ؟ فقال هو مكاني اصنع فيه ما شئت ، فان اخذوا على يديه نجا ونجوا وان تركوه هلك وهلكوا <sup>(٢)</sup> » ونظرة واحدة في منهاج دولة من الدول الكبرى الحاضرة فيها المقنع الصادق على صحة هذا الرأي ، وفيما يأتي خلاصة مقتبسة مع التعديل من البرنامج الحكومي الذي اورده الرئيس « ودر ولسن » في كتابه « الدولة » المطبوع قبيل الحرب العالمية ، والرئيس كما هو معلوم هو وحكومته من ابعد الناس عن الاشتراكية <sup>(٣)</sup>

(١) حفظ النظام الاجتماعي كما يحفظ الشرطي سير المركبات والسيارات في الشوارع الزدجة منعاً من الاصطدام ولو كان السواقون من الاخصائيين في مهنتهم والملائكة في اخلاقهم (٢) وهو ما ذكره المستر (هربرت سبنسر) واقتصر عليه — يعني حماية الابدان والأموال



من التلف والسرقة ، وربما كانت هذه الوظيفة اهم وظيفه تقوم بها الحكومة لتوقف الحياة الاقتصادية والاجتماعية عليها وارتباطها بها

(٣) الاشراف العام على الاسرة وتعيين العلائق المشروعة بين الزوج والزوجة وبين الآباء والابناء ، فجل بعض الناس ، والاختفاء التي يرتكبها غيرهم في احكامه ، والشر المستحكم في قلوب الآخرين . والعقائد السخيفة البالية المستحوذة على الجامدين من الافراد خصوصاً من فسر منهم الاوامر والنواهي بما ينطبق على رغباته وشهواته كل ذلك يقتضي الا تتخذ الحياة العائلية ذريعة للاضرار بأي فرد كان والا اصيب المجتمع بالكوارث وحل به الدمار من جراء الفساد في الاسرة وهي هي الوحدة الاجتماعية القياسية التي تبنى عليها الجمعية البشرية في تدرجها الحاضر

(٤) تنظيم استهلاك الاملاك والاموال وتناقلها وتبادلها

(٥) تعيين التبعية الملقاة على العاتق من الديون المستدانة والجنايات المقترفة وهذه الوظيفة نتيجة لاحقة للوظيفة السابقة والا جاز للناس ان يستقرضوا الاموال ثم ينكروها وللأشقياء ان يقتربوا الجنايات ثم يفلتوا من تبعاتها فيختل النظام الاجتماعي من اساسه

(٦) تعيين الحقوق التي تخولها العقود المتفق عليها بين الافراد

(٧) تعريف الجناية وتعيين الجزاء المترتب على اقترافها ، ويحسن بنا ان نذكر هنا ان الجرم كان في الاصل مقترفاً بحق الفرد ونازلاً به فكان عليه ان يسويه بنفسه مع المجرم ، ولكن الدولة اصبحت من وجائبها اخيراً ان تحمي الفرد ، وليس ذلك فقط ، بل ان تحمي نفسها ايضاً لذلك كان الجرم معدوداً جرمًا بحق المجتمع ونازلاً به . وعلى الحكومة ان تعين الجناية وتضع الجزاء على ارتكابها

(٨) احقاق الحق وازهاق الباطل في القضايا المدنية ، وما دامت الدولة هي القوة الوحيدة التي تستطيع العمل بعيدة عن المصلحة الفردية فهي الحكم الطبيعي الذي يقضي بين المتخاصمين بالعدل والقسطاس المستقيم

(٩) تعيين الواجبات السياسية المترتبة على الوطنيين وتعيين العلاقات القائمة بينهم وتعريف الامتيازات التي يتمتعون بها . وينطوي تأليف الدولة على فكرة حاكم ومحكوم وان كان القسط الذي يناله الفرد في الحكم يتوقف على نوع الدستور الذي تألفت بموجبه الحكومة والطريقة التي سلكتها ، فالفرد في الحبشة مثلاً يختلف جداً باختلاف عن الفرد في لندن وباريس . وتعني كلمة « السلطان » في البلدان المستقلة ان يد الدولة فوق الايدي وان كلمتها هي العليا وانها بقوة ارادتها تمتلك ناصية السلطة وتحفظ بها ، وتظهر هذه السلطة للعيان اما بواسطة الملك او مجلس النواب او الدستور ، وبديهي ان ارادة الدولة السلطانية هي التي تدير الشؤون التي تتناولها الواجبات السياسية والامتيازات التي اشرنا اليها . ففي الحكومات النيابية حيث يحكم الناس أنفسهم بنواب ينتخبونهم يكون السلطان في الدستور وهو من صنع الشعب ، يعني ان



الشعب يمتنع حقوقه السياسية وواجباته والامتيازات التي يتمتع بها بواسطة الدساتير والشرائع التي يسنها وبالسلطة المحترمة التي يمتلك ناصيتها . ثم ان حق الاقتراع والتوظيف وواجب تأدية الضرائب وحمل السلاح للدفاع عن الاوطان ورد عادية الطامعين وتعيين وظائف الضباط وحدودهم السياسية كل ذلك يجب تقريره بواسطة الحكومة بحسب قوانين واضحة تصدرها ونظم معينة تجري عليها . فأين هذا الموقف من تلك البلدان التي حرمت استقلالها فبلغت من الضعف والامتهان ان أصبحت جميع مظاهر سيادتها احجار شطرنج تلعب بها الايدي الغاصبة ، حتى ان دستورها وهو قاعدة عملها الغني الغاء صريحاً بمجرد مادة اضافية واحدة دخلها اليد الاجنبية فجعلته هزئاً وسخرية

(١٠) على الدولة ان تعيش وان تحتفظ بعلاقاتها السياسية بالدول الاجنبية ، فكل دولة هي حيال الدول الاخرى وحدة مستقلة ، وعليها ان تحتفظ بهذه الوحدة وهذا الاستقلال ، وكل اتصال بالدول الاخرى يجب ان تكون الدولة واسطة عقده وطريقة تنفيذه ، ومن اعظم وجائها ان تدفع عن الاهلين ما يداهمهم من الاخطار الخارجية ، وان تنمي جميع مصالحها المتعلقة بالدول الاجنبية ، وأن ترعى حقوقها والامتيازات التي لها وان يكون رعاياها وما يمتلكون في حوز من حمايتها حريز متى تعلق ذلك كله بالشؤون الدولية

ويلحق بهذه الوظائف الضرورية وظائف اخرى اختيارية منها ادارة التجارة والصناعة وتنظيم العمل والاستيلاء على الطرق والمعار والجسور والسكك الحديدية والبرق والبريد والاشراف على الشؤون الصحية وتعهيد التربية والتعليم والعناية بالفقراء والايتم والعجزة وسن القوانين التي تتناول صنع بعض الاطعمة وبيعها واستهلاكها

ولسنا بحاجة بعد سرد هذه الوظائف الى القول ان هناك ميلاً مضطرباً في الحكومات الحاضرة الى الاضطلاع بالوظائف المتزايدة واستجاء القوى المشتتة مما حمل الكثيرين من اهل البحث على القول ان هذا الميل سيشتد الى ان تقبض الدولة على الاملاك والصنائع والمرافق والاعمال فتتألف حينئذ الدولة الاشتراكية باختيار الامة وزولا على ارادة الرأي العام فيها . وهذا (برنارد شو) يذهب فيما يذهب اليه الى ان العالم يسير في طريق الاشتراكية رغم انفه ويتجلى هذا السير فيما تمتلكه الدولة في ايماننا من المنافع العامة والمرافق المشتركة ، فالطرق والشوارع والحدائق البلدية والجسور العمومية كل ذلك يستعمله الافراد على الطريقة الاشتراكية الشبوعية . وقد بقي البريد في انكلترا الى اجل قريب ملك الافراد يستثمرونه استثماراً خاصاً الى ان تحول فصار ملك الدولة ، ولا يفكر احد في شيء من الضرر في مثل هذا التحول النافع ، وقد تسير البنوك سيرة البريد ايضاً فتعسي ملك الدولة ويبطل ان تكون حصتها من الربح الذي تأخذه رباً على الاموال اضعاف ما يربحه الافراد المتعاملون ، ولم لا يوزع اللبى ياترى



على الناس بالطريقة الاشتراكية كما توزع المياه في المدن بالانابيب على البيوت فيتنعم الاطفال بالبن جوهر غذائهم كما يتنعم الناس بالماء اصل حياتهم ؟ لكن التبع دل على انه ليس من الضروري ان يؤدي تنظيم المنافع المشتركة على هذا النحو الى تأليف الحكومة الاشتراكية الشيوعية فقد قطعت المانيا وايطاليا مثلاً شوطاً بعيداً في هذا المضمار من غير ان تبطلوا الرأسمالية او ان تشيعا على الطريقة الروسية ويظهر من قائمة هذه الوظائف الاختيارية المتنوعة ان ليس ثمة طريقة يعتمد عليها في بيان ما يجب ان يضطلع به الفرد وما يجب ان تضطلع به الحكومة ، ويجوز ان يكون القول الفصل في ذلك للرأى العام متى كان ناضجاً ومنظماً تنظيمياً صحيحاً صالحاً للتعبير عن ارادة الشعب وحينئذٍ تعمل الحكومة بارشاده وتحت اشرافه وتقوده كل ما من شأنه ان يؤدي الى السعادة والهناء ولو اقتضى ذلك زيادة تدخلها. وقد افضنا في ذكر وجائب الدولة لنوجه انظار القارئ الى مجال الحكومات الحاضرة المتسع في العالم الغربي ولكننا لم نقصد بوجه من الوجوه ان نسمح لمثل هذا المجال ان يتعدى الى الحرية الفردية المقدسة فهذه الحرية هي الغاية العظمى لكل حكومة صالحة والهدف الاسمى لكل تشريع كريم وتضييقها الى حد بعيد هو العيب الاكبر الملتصق بالحكومات الدكتاتورية الشديدة الوطأة، ولولا الحرية ما ارتقى البشر الى مستواه ولا حلت العقول فيما لها من سماء صافية ولا كانت فنون ولا حكمة ولا دين ، وليس من مصلحة البشر في شيء ان تكف افواه النقاد وان كانت في مصلحتهم ان يلجم السفهاء . ولا يرتقي المجتمع متى كانت افكار النبغاء عرضة في كل جولة من جولاتها للاصطدام بالقانون، ولا هون على الخوت ان يعيش في ساقية من الماء الضحضاح من ان يعيش الرجل الكبير في نظام ضيق، فعلى المشترعين عند سنهم الدساتير ان يضعوا نصب عيونهم ان القانون انما جعل لمنع الانحراف المرضى من جهة ولتشجيع السير الصحي من جهة اخرى ، وقد ادى العالم ثمناً باهظاً جدياً على تلك الجرائم التي اجترمها « ديوان التفتيش » في القرون الوسطى في اوربا بقتله الالوف من النوايع الى ان تغلبت الحرية ففاز اهل المزايا بالبيئة التي تسمح بظهور خصائصهم وعاد الازدهار بعد المحل، ويجوز لنا ان نقول ان كل امة ضربت على عقول أبنائها نطقاً ثابتاً يحول دول ظهور مواهبهم هي امة صائرة الى الزوال (قال جون لوك) :

« ليست الشريعة بالمعنى الصحيح التضييق على الرجل الحر العامل بقدر ما هي تدريبه وترويضه للوصول الى مصالحه القانونية ، وهي لا تأمر باكثر مما يعود بالنفع على العائشين بكنفها فلو كان في مقدورهم ان يكونوا بفقدائها اكثر سعادة منهم بوجودها لتلاشت حينئذٍ من نفسها باعتبارها فضلة زائدة لا فائدة منها . . . . لذلك مهما اسيء فهم الغاية من الشريعة فهذه الغاية لن تكون لسحق الحرية وخنقها بل للاحتفاظ بها واطلاقها » (١)

(1) John Locke Second Essay on Civil Government.



# بَابُ الزَّرَاعَةِ وَالْاِقْتِصَا

## الجراد

بحث علمي لغوي عملي للدكتور هلال فارحي

الجراد احد اقسام الحيوانات المفصالية الاربع ومن أكلة الخضروات . ومن فصيلة الحشرات المستقيمة الاجنحة الناقصة التطور *Ametabola* . وينسب الجراد الى قسم الجنادب من الحشرات التي تتألف من ثلاث فصائل (١) الرواكض *Cursoria* (٢) المشاة *Gressoria* (٣) الوثابة *Saltatoria* . ثم الفصيلة الثالثة تنقسم الى ثلاث عائلات والى احداها ينسب الجراد وهي (١) الحرجل وانواعه *Locustodae* (٢) الصرصار *Gryllidae* (٣) الجراد وانواعه *Acrididae* . ويتركب جسم الجراد كبقية الحشرات من ثلاثة اجزاء الرأس . الصدر او الظهر . والبطن . وهذه مؤلفة من ١٦ حلقة . ثلاث في الرأس متصلة بعضها ببعض وثلاث في الصدر والظهر وعشر في البطن

يحيط جسم الجراد طبقة سمكية مكونة من الشيتين وهي مادة صلبة تفرز من الطبقة الادمية بمثابة القرون والاذافر والاظلاف غير انها لا تذوب في الاحماض والقلويات . وهذا الشيتين يكون صفائح وهيكلها يقفها من الارض وتسمى الصفائح التي في اعلى الجسم الترجا . والمحيطه أسفلها الاسترنا وهاتان الصفحتان تتصل احداها بالاخري بصفيحة رقيقة تسمى البلورا . جميعها تحفظ وتثبت اعضاءها الباطنية في مواضعها . وكل جسم الجراد مغطى بشعر دقيق جداً ما عدا القرون والاجنحة

يعيش الجراد على الارض ويتنفس بانابيب تسمى بالقصببات الهوائية تمتد طولاً وعرضاً وتحمل الهواء الى جميع فراغ الجسم ذات لون فضي لامع لامتلائها بالهواء مركبة من خيوط شبيهة دقيقة حلقيه ملتفة على جدارها فتبقى مفتوحة على الدوام . تنفتح هذه الانابيب الى الخارج بواسطة فتحات على الجانبين تسمى بالفوهات التنفسية او الثغور وعددها عشرة أزواج الزوج الاول بين قطعتي الصدر الاولى والثانية . والثاني بين الثانية والثالثة والباقية على اجناب



الحلقات الثمان الاولى للبطن وتوجد على حوافي ( جمع حافة ) هذه الفوهات شعور دقيقة تمنع دخول الاتربة والاقذار للمقصبات الهوائية  
من اهم انواع الجراد الرحال له صفة خاصة تجمعها في اسراب ومهاجرته من جهة الى اخرى طلباً للغذاء فيفتك بالبلاد التي يمر بها وهو في طور الحوريات قبل البلوغ وبعد ما يبلغ ويكمل نموه يأكل مزروعاتها ويحطها ويتركها جرداء خالية من النبات وهو من الحيوان الذي ينقاد لرئيسه فيجتمع كالعسكر اذا ظعن اوله تتابع جميعه ظاعناً . واذا نزل اوله نزل جميعه

### (١) الرأس

﴿الرأس﴾ الجزء الامامي من الجسم يشمل المخ مركز الحس وفيه قرنا الاستشعار والعيون وفم قارض تميزاً عن اللاعق . وهو قصير وصغير بالنسبة للجسم ، صلب مستطيل الشكل . قته Vertex واسعة مقعرة في الوسط كالسرج مرتفعة قليلا في الاجناب . وتتصل بقسمه البارز بزاوية مستديرة . في مقدمته قرنان للاستشعار antennae من النوع الحريري الخيطي يتركب كل منهما من اربع عشرة قطعة منفصلة بعضها عن بعض مخروطية الشكل . تستدق مع اتجاهها الى الطرف . طولها اقصر من الجسم . جبهته عمودية فيها قسم كبير Costa frontalis مرتفع وواسع بمساواة على طول الجزء الاعلى من هذا القسم مقعر وفي وسطه العين الوسطى احدى العيون البسيطة التي له

﴿العيون﴾ للجراد خمس عيون اثنتان مركبة في كل جنب وراء قرون الاستشعار كلوبنا الشكل بارزتان جداً كعيون الجرذون ويمكن تحقيق شبكة صفحتها Facettes المولفة من ستة اضلاع بواسطة عدسة مكبرة عشر مرات وتحتاج الى مكبرة اقوى لتحقيق اضلاع صفحتها واما العيون البسيطة Ocellus فنلاث . واحدة في وسط الجزء الاعلى من ارتفاع الجبهة وواحدة في كل جنب امام ذيول العيون المركبة الاصلية الامامية فوق وضع القرون . هذه العيون عبارة عن عدسات بسيطة شكل نقط تتركب من نقطة ماء صغيرة

ينزل من وسط الحافة الامامية للعيون الاصلية الى جانبي قسم الجبهة المرتفع حد Carina lateralis الى ترس الرأس Clypeus يفصل الجبهة عن الاحناك genae . هذا الترس ينفصل عن الجبهة بواسطة حز عرضي عميق . كما ان قسم الجبهة الكبير مرتفع في اجنابه قليلا كحدود فاصلة فهذه مع الحزوز الفاصلة للاحناك تكون مجويفاً فيه رقد قرون الجنين وهو داخل البيضة

﴿الفم﴾ فتحة الفم في جنب البطن مفتوحة جداً مغطاة من امام بالشفة العليا محاطة من جانبيها ومن تحت بثلاثة ازواج آلات قارضة للاكل



﴿الزوج الاول﴾ من آلات القرض فوق الزوجين الآخرين سن كالمشمار (المشرشر) معمول من مادة قرنية صلبة كالفلوذا ذخال من نتوات في الاجناب ويتصل باطراف الفكين مع الفم mandibulae يتحركان احدهما مقابل الآخر تحركاً جانبياً كذراعي كاشة تقاطع جنبهما الخارجي عرضاً سبعة حوزوز مجوفة بين ثمانية نتوات منفصلة عن بعض ينتهي كل منها بسن حاد صالح للعض والقضم حتى لكسر مواد صلبة كاللوز ايضاً ومن السن الخامس ثا فوق يوجد صفّاً اسنان ثانٍ موازي للاول الخارجي ومتجهاً للداخل وعلى سطح التاج الواسع الممتد بينهما نجد نتوات وارتفاعات تشبه الموجودة في تيجان اسنان الحيوانات المجترة كالبقرة وهذه ضرورة الجراد لتسحق غذاءه النباتي بين التيجان . اما اسنان هذا الزوج المنشارية فلا تشبه بعضها بعضاً لونها اسمر كما لو كانت محروقة بالنار

﴿الزوج الثاني﴾ من آلات القرض والاكل هو الفك الاسفل الفقم Maxilla هذا مؤلف من اربعة اجزاء . المحور الكاردو Cardo عليه يدور الفك من جانب الحلق تحت الزوج الاول وخلفه قليلاً (٢) الساق ام القصبة Stipes يتصل بالمحور بزاوية قائمة . يتحركان جانبياً كالزوج الاول (٣) الفص الداخلي Lobus internus (٤) الفص الخارجي L. Externus فوق الداخلي كالقبة وينتهي هذا الزوج بثلاثة اسنان غامقة اللون تساعد على القضم ومضغ الغذاء من النباتات وهو المشرشر وتوجد في الجانب الوحشي من كل فك الزائدة الفكية Palpus maxillaris تستعمل كعضو لمس مؤلفة من خمس قطع كل قطعة تزداد في الطول لغاية طرفها الاخير . وبين هذه والمشرشر القلنسوة . مؤلفة من قطعة واحدة موازية للزائدة الفكية واقصر منها

﴿الزوج الثالث﴾ مؤلف من الشفة العليا Labium وهي عبارة عن قطعة صفيحية عرضية صلبة متصلة باسفل الرأس بذيل الترس الامامي وتغطي الفم . والشفة السفلى كالعليا في اسفل الفم تقفل الفم من تحت ومن خلف فتحفظ الطعام من السقوط وتساعد في تناوله مشقوقة في وسط حافتها السفلى وفي جانبها الزائدة الشفوية Palpum labiales تتألف كل منهما من ثلاث قطع غير متساوية بالطول . وكل من هاتين الشفتين مركبة من قطعتين متشابهتين موضوعتين جنباً لجنب تتحركان تحركاً جانبياً

﴿اللسان﴾ Ligula طوله ١ ١/٢ - ٢ ملمترات مخروطي الشكل رأسه مستدير غير حاد واسع شكل الجزء الاعلى من منقار الطير ومجوف من تحت كالمعقة يمتد الى كل تجويف الفم ما عدا السقف لونه اسمر ﴿المريء﴾ Oesophagus طوله ٣ ملمترات طول المعدة ٢٠ ملمتراً لونها اسمر Stomodeum ٢ ملمترات . في باطنه طيات تمتد طولاً وعرضاً وفيها نتوات تساعد في سحق الغذاء . وتوجد عضلات عرضية مستديرة تبعد احداها عن الاخرى ٤ ملمترات . تضغط الطيات (مقابل بعض) لاجل طحن الاكل قبل دخوله الامعاء Proctodeum طول الامعاء نحو ٤٠ ملمتراً



محل اتصال المعدة بالامعاء محاط بنتو يبرز من ٦ امعاء مسدودة مختلفة في الطول متوسطها ٩ ملترات والامعاء ملتوية كالشعبان

### (٢) الصدر

﴿الصدر﴾ Thorax القسم من الجسم الذي يلي الرأس يتركب من ثلاث قطع Segmenta متوالية (١) الاولى تسمى بالقطعة الصدرية الامامية Prothorax تشمل قسم الظهر الاول Pronotum وقسم الصدر الاول Prothorax (٢) الثانية المتوسطة mesothorax تشمل قسم الظهر الثاني Mesonotum وقسم الصدر الثاني Mesostenum (٣) الثالثة تشمل قسم الظهر الثالث Metanotum وقسم الصدر الثالث metasternum يختلف حجم هذه القطع تبعاً لنمو الاجنحة وغيرها من اعضاء الحركة . ثلثه الاول مقعر شكل مرج تقاطعه ثلاثة حوز الى جانبه ثلثاه الخلفيان يرتفعان ويبرزان كعجن مرسوم ومستدير قليلاً في الاطراف الخلفية فوق جزء الظهر الثاني ، ويغطيان قاعدة زوج الاجنحة الغشائية . ويبرز نتوء عمودي على طول جزء الظهر الاول تقاطعه الحوز العرضية الثلاثة في ثلاثة محال . حافة هذا القسم مرتفعة قليلاً بشكل ثنية جزء الصدر الاول ضيق جداً ويصغر بين الرأس والجزء الثاني الغليظ والمنفتحخ فيه حرفقتا زوج الارجل الامامية Coxae بينهما تبرز زائدة اسطوانية طولها من ٣ - ٥ ملترات Processus cylindricus وفي وسط جداره توجد أول فوهة للتنفس ذات اطراف قائمة تفتح وتقل فبواسطتها يمكن الجراد ان يضبط سرعة تنفسه غير انها مغطاة بفصوص قسم الظهر الاول الواسعة ويلزم قطعها لفحص الفوهة المذكورة جيداً

في قسم الظهر الثاني يوجد زوج الاجنحة الغشائية على جانبي سطحها . جزء الصدر الثاني يغطي القسم الاوسط من الجزء الثالث بواسطة فصي اجنابه المربعة وحوافيه المستقيمة وفي جدران اجنابه Pleurae تجد حزين مائلين وفي آخر الثاني منهما بين قسمي الصدر الثاني والثالث فوهة التنفس ويمكن مشاهدة حركة هذه الحوافي اثناء التنفس بالعين المجردة في هذا الجزء يتصل مفصل نخذ زوج الرجلين الثاني

قسم الظهر الثالث داخل بفصيه بين فصي القسم الثاني فيه ثقبان صغيران وعليه وضع زوج الاجنحة الثاني الكبير جدرانه مجمدة ومثنية وخالية من فوهات التنفس يتصل مع هذا القسم زوج الرجلين الثالث للوثب وبين فصيه الجانبيين يدخل فص اول حلقة من البطن وهذه الحلقة تشترك مع ثلاثة اقسام الصدر والظهر لتكوين القفص المتين

### (٣) البطن Abdomen

﴿البطن﴾ المنطقة التي تلي الصدر ويتصل به مباشرة ويتألف من تسع حلقات وحلقة العجز الاخير المركب من ثلاثة اقسام الدبر وازرار الجنب Cerci ، الحلقة الاولى



Segmentum medianum مشتبكة بالقفص . صفيحتها العليا أي الترجا شيتية . جانبها ضيقان بسبب قسم الصدر الثالث المفتوح جيداً ، فيهما فوهتان كبيرتان للتنفس مفتوحتان جيداً وبالقرب من حافة كل فوهة امامية توجد الاذن وهي عبارة عن تجويف بسيط شكل قمع في اسفله غشاء براق شبيهة بجلد الطبلة بين نتوين قرنيين بارزين من القسم الداخلي للغشاء . تحت الطبلة يوجد كيس صغير مزخرف جداً يملؤه سائل وهو لصدى الاصوات . يتصل باسفل الطبلة عصب السمع المتفرع من الدرب الثالث الصيديدي (عقدة عصبية) ويكون ذرباً جديداً ثم هذا يتفرع وينتهي بخيوط عصبية دقيقة جداً وقيل ان في نوع الجراد ذي القرون الطويلة توجد الاذان على الساق الامامي شكل شق ضيق مستطيل . وتلتصق الصفيحة السفلى الاسترنا بجزء الصدر الثالث وتشترك معه بتكوين القفص (الصدر)

الحلقات الست من الثانية الى السابعة لها شكل واحد وترتيب واحد ويوجد في الحافة الامامية من كل منها نتو كجناح يعلو فوق الحلقة السابقة كزرد الدروع فيثبتها ويسهل حركة البطن ، وكما سبق تتصل الترجا مع الاسترنا بجلدة رقيقة البلورا هذه مثنية تسهل امتداد البطن والالتواء والحركة

وفي كل جنب من الترجا قرب الحافة السفلى توجد فوهة مدورة للتنفس يمتد منها انبوب الى جهة الرأس مائلاً . وهذا الانبوب يتفرع الى انايب دقيقة صغيرة ايضاً شكل شبكة الحلقة الثامنة توجد في جنبها ايضاً فوهة التنفس الاخيرة واكبرها . يختلف شكل هذه الحلقة بحسب جنس الجراد . ففي الذكور هي كالحلقات السابقة تماماً وفي الاناث نصفها الاسفل يمتد كسند Lamina Subgenitalis الذي يتصل به الذراعان الاسفليان لقناة المبيض وعند قاعدة هذين الذراعين بيت الرحم Vulva وأما قناة التلقيح لقبول المني Sperm فتفتح الى ثقب غير القناة التي تخرج منها البيض (آلة وضع البيض) فان الاول كما سبق عند قاعدة ذراعي قناة المبيض الاسفليين Vagina inferior ويرى عند فتح الذراعين احدهما عن الآخر في الحلقة الثامنة ، والثاني هو الكلابي الشكل الداخلي الاعلى Vagina Superior interna الملازم للحلقة التاسعة والمتصل بين رؤوس ذراعي قناة المبيض الاسفليين . وكل منهما ينفتح امام الفتحة الشرجية

الحلقة التاسعة هي الوحيدة الخالية من فوهة النفس . وفي الذكور تتصل بها قناة رفيعة تسمى بالوعاء الناقل الوعاءان الناقلان يكونان قناة واحدة تسمى بالقاذفة وهذه تفتح الى الخارج داخل العضو المسمى بالقضيب Lamina Subgenitalis (آلة السفاد)

الحلقة العاشرة الاخيرة وهي الاست وشكلها متساوٍ في الجنسين . فم الخاتم مقفل من ثلاثة اجنابه بزردة الاست Lamina Supra analis من فوق وتشبه وسادتين ليتين في الجنين



## اعضاء الحركة والطيران

✽ الاجنحة ✽ للجراد زوجان من الاجنحة المستقيمة شتية رفيعة عريضة كالورق تتركب من طبقتين بينهما عروق ظاهرة عبارة عن انابيب وقصبات هوائية يحيط بها السائل الدموي الزوج الاول الامامي مستطيل ضيق يقال له الغشائي عليه بقع غامضة سوداء فيها العروق الآتية: (العرق في الاجنحة اسم عام للاعصاب والاوردة والاضلاع والانابيب) تتخللها ستة اسطحة وهي: (١) وريد الحافة الامامية Vena mediastina (٢) وريد الحافة الخلفية V. Plecata (٣) الوريد الثلاثي V. radialis = V. radialis anter المتوسط V. radiatis media الخلفي V. radialis posterior (٤) الوريد الثاني V. ulnaris = V. uln-anterior (٥) الوريد المنفرد V. dividens الخلفي V. uln-posterior السطوح بين العروق :

- |                  |   |
|------------------|---|
| area mediastina  | (١) الامامي بين الحافة الامامية وعرقها                    |
| a. scapularis    | (٢) بين عرق الحافة الامامية وبين الفرع الامامي من الثلاثي |
| a. externo-media | (٣) بين الفرع الامامي والمتوسط                            |
| a. discoidalis   | (٤) بين الفرع الاخير وبين العرق الثاني                    |
| a. interulnaris  | (٥) بين فرعي الثاني                                       |
| a. axillaris     | (٦) بين الحافة الخلفية وعرقها                             |

زوج الاجنحة الخلفي اكبر من الاول وهو للطيران ، شفاف فيه انعكاسات وردية اوصفراء وفيه الاربعة العروق الرئيسية الموجودة في الزوج الاول غير انها ليست متشعبة كثيراً كما في الاول ثم من مركز اتصال هذا الجناح بالجسم تمتد عروق طويلة مستقيمة متوازية الى اطرافه بدون تشعب

الجناحان الاولان لتغطية الزوج الخلفي ويساعدان على الطيران ايضاً واذا ازيلا لا يمكن ان يطير الجراد سوى جزء من الجسمين من المسافة التي يطيرها بالزوجين معاً  
اعضاء الغناء وتوليد الصوت في الجراد ضعيفة جداً ولا توجد سوى في الذكور فقط.  
يحدث الصوت من احتكاك الجزء الاعلى من نخذي الزوج الخلفي كقوس الكمنجة مع الوريد الثلاثي الغليظ من زوج الاجنحة الغشائية كوتر الكمنجة الثابت . ولا يسمع صوته بعيداً كصراصر الغيط . وذكر الجراد ينادي عشيقته ويسحر قلبها ويجذبها للسفاد كالبلبل الذي يغرد على اغصان الاشجار لاجل حبيبته

✽ الارجل ✽ للجراد كما سبق ثلاثة ازواج من الارجل المفصليّة للمسك والمشي والوثب تتصل بالجسم بواسطة الحرقفة مباشرة . ساق كل من الرجلين الاماميتين والمتوسطة



مساح في جنبه الخلفي بصفين من اسنان كالمنشار كساق الزوج الخلفي يشعر بها بمجرد اللمس . وبواسطة عدسة مكبرة يمكن رؤيتها مسطحة مائلة الى الوراء . اما عدد الاسنان فيها فيختلف ولكنه اكثر دائماً في الجنب الداخلي . ويتراوح ما بين ٨-١١ في الداخلي و ٩-١١ في الخارجي عند آخر الساق من الزوج الخلفي توجد ٤ اسنان طويلة مفصلية سهلة الحركة تتصل بكف الرجل اي الرسغ . هذا يتركب من ثلاث قطع اولها مؤلفة من اجتماع ثلاثة مفصل ايضاً فوق ثلاث وسادات . وتنتهي القطعة الاخيرة من الرسغ بالخلب وهو عبارة عن ظفرين

حادين منحنين بينهما فص مستدير *Arolium pulvillus*

يوجد عند الربع الاول من جهة الفخذ الداخلية تنوء صغير جداً في وسطه وسادة لينة داخلها حامة تساعد الساق للوثب بأكثر قوة وفي جنب الفخذ الاسفل يوجد شكل ميزاب مكشوف لقبول الساق وسطه عند ما الرسغ يدخل ايضاً بين صفي اسنان الساق عند ثنيها وهكذا تتداخل الاجزاء بعضها في بعض في بقية الارجل عند ما يقتضي الامر ذلك كيفية تناسله

روى اهاروني استاذ علم الحيوان في جامعة القدس مشاهداته العيانية عن كيفية تناسل الجراد عندما حل في مستعمرة رحوبوت محل اقامته (ومنه اقتبست بعض معلوماتي) فقال في ثالث يوم من حلوله في الغيطان وبعد اكل المزروعات الخضراء الطرية كالبطاطس والطماطم والساق وما اشبه بشراهة قوية وقحطها ولم يبق منها ولا عوداً واحداً . كانت الارض صباحاً مغطاة بازواج من ذكر وانثى بعضها فوق بعض ولم يمكن ان ترى انثى واحدة خالية لم يعمل عليها ذكر وكانت عشرات من الذكور طائرة ترفرف هنا وهناك تفتش عن انثى خالية عاجزة فتعلو عليها وكان يوجد بقرب كل انثى وزوجها فوقها لا اقل من ذكرين او ثلاثة عزاب ينتظرون بفروغ صبر زول الذكر عن عشيقته وخالوها فيغتممون الفرصة ليعلو احدى عليها بدوره ويشفي غليله ولحفظ الجنس وكانوا يظهرن تشوقهم باصوات الغناء التي كانوا يحدثونها ويتربون بها عشيقاتهم بواسطة احتكاك اجنحة الغشاء بالخفاذم الخلفية . وكانت الاصوات واطية وليست بايقاع لكثرة عدد الذكور وكان الذكر السافد يتمسك بزوجته باظافيره الحادة فلا يمكنها ان تتخلص منه وكانت تحملها على ظهرها اينما ذهب على الاشجار لتبيت وكانت تتقلب وتتدحرج على الارض معاً عندما يضطهدا العدو حتى ولو امسكت ولا يتخلى عنها الا عند اتمام السفاد لكي ينجو بنفسه اذ يعلو عليها ذكر طازب آخر كان ينتظر بفروغ صبر . ومن شدة شراهم للسفاد قد شوهدت الذكور تعلو على اناث مقطوعة الرأس ولم يشاهدني الجراد ذكر يعلو على ذكر كما في الذباب البيتي . وتموت الذكور بعد السفاد كما في اكثر الحشرات فكان الزواج يقصر حياة الحشرات ولكن الذكور في الجراد اكثر من الاناث فكثير منهم لا يحظى بالزواج فيعيش العازب اطول من المتزوج



# بَابُ شُؤْنِ رُبِّ الْمَرْأَةِ

## وَتَدْبِيرِ الْمَنْزِلِ

### الصحة الجنسية والنفس

بقلم الدكتور محمد زكي شافعي

السكرتير الفني لمصلحة الصحة العمومية

يستطلع كثيرون من الوالدين المستنيرين رأي المقتطف في هل تقضي الضرورة بتلقين الابناء في الصغر بعض مبادئ الصحة الجنسية واذا كان الرد بالاجاب فالى اي مدى وبأية وسيلة يمكن تفهيم الصغير المسائل الجنسية ومن الذي يقوم بهذا الامر؟ فنتفضل حضرة محرر المقتطف الفاضل وأحال عليّ بحث هذا الموضوع الدقيق وابداء الرأي فيه بما يروي غلة السائلين لا سيما واني طبيب ووالد فنزولاً على ارادته ورغبة قراء المقتطف سأبحث هذا الموضوع من وجهتيه الفنية والاجتماعية في عدة مقالات لما له من المكانة الحيوية في التعليم والتربية اصبحنا الآن والاطباء ليس جلّ همهم التفرقة بين الامراض وبراء المرضى فقط. بل غايتهم القصوى اجتناب اسباب الامراض ووقاية السليم من المريض. ومن هنا نشأ الطب الوقائي الذي لا يقصر مداه على الامراض المعدية والوبائية فحسب بل غايته الوقاية من كل الامراض معدية كانت او غير معدية باطنية او جراحية عقلية او اجتماعية ولذلك تفرع منه طب النساء الوقائي والجراحة الوقائية وطب الاسنان الوقائي وطب العقل الوقائي وهلمّ جراً فمن هذا يرى ان الطب الوقائي نما نمواً عظيماً واصبح وثيق العلاقة بعلم وظائف الاعضاء التطبيقي لانه اصبح من اهم دعائمه رفع كفاية اجهزة الجسم المختلفة مع مراعاة الاحوال الشخصية من بيئة ووراثه وغيرها. ولذلك كان وقوف الجمهور والاحداث بصفة خاصة على وظائف اجهزة جسمهم ومبادئ الطب الوقائي هو من اهم الاسلحة التي تقاوم بها الامراض لان الطب وان كان قد قطع شوطاً بعيداً في طريق التقدم والارتقاء لم يتمكن من التغلب على كافة الامراض. فنحن في اشد الحاجة الى التدريب على الحياة الصحية. وموت الناس من الجهل اكثر من موتهم من المرض. ولا ادل على ذلك من انه يولد سنوياً ثمانون في المائة



من الاطفال اصحاء فلا يصل الى سن الشباب الا العدد القليل وهم متمتعون بالصحة الكاملة. ولهذا وجهت في كل البقاع والامصار العناية الى الصحة العامة واصبحت تدرس في كل المدارس على السواء. غير ان الصحة الجنسية لحدثة العهد بتوجيه النظر اليها لم تعط العناية الكافية. فاذ نرى الوالدين والمعلمين يعنون كل العناية بصحة الاطفال الشخصية تراهم يحجمون عن كل ماله مساس بالجنس ولا يلقنون اولادهم عنه لا الكثير ولا القليل وخصوصاً الفتيات. واذا عرف الاحداث شيئاً فعن طريق من هم اجمل منهم. وما يحصلون عليه يكون عادة خاطئاً ومضراً مع ان صحة الجنس ليست الا فرعاً من فروع الطب الوقائي. وقد اصبح يدرس الآن في معاهد خاصة في بعض البلدان وأساسه العمل على نجاح الزواج ودرء كل اسباب الفشل عنه سواء من الوجهتين النفسية او الطبية الوقائية والتشجيع عليه وتحسين النسل. وقد درس باحث من الاطباء باميركا حالة ألف سيدة متزوجة للاغراض المتقدمة واغلبهن كن من الطبقة المتوسطة وقد جمع هذه المعلومات بواسطة اطبائهن الخصوصيين وكانت نتيجة الابحاث ان نصف هذا العدد قصدن الى الاطباء للعقم والربع لاورام في الحوض والتهابات والباقيات لاسباب اخرى ظن انها ذات علاقة بالحوض. وقد لوحظ ان نصف هؤلاء السيدات يشكون بعض الاضطراب الحيضي وكان الاضطراب عادة خفيفاً كما ان صحة ٥٦ في المائة منهن جيدة او تظهر عليهن مخائل الصحة و٢٧ في المائة صحتهن دون المتوسط ويشكون من اضطرابات عصبية و١٧ في المائة صحتهن متأخرة وفريق منهن مصاب ببعض امراض العقل او الاعصاب. ووجد ان في كل ١٢ سيدة منهن واحدة مصابة بمرض زهري وان كانت هذه الاحصاءات لا تنطبق على الحالة في جميع البلدان ولكنها تنطق بمخطورة الحالة التي قد تكون سبباً لانهايار صرح هناة الاسرة وهذا ما يجب ان يتلافى بالتعليم الصحيح

وقد تغير فهمنا الآن للمسائل الجنسية تغيراً كلياً في العشرين السنة الاخيرة واصبحت النظريات الحديثة تخطئ القول بان الشعور الجنسي لا يبدأ الا عند سن البلوغ وقد ارجعها فرويد الى سن الطفولة اذ تكون خامدة او كامنة حتى تنمو فسيولوجياً وسيكولوجياً في سن البلوغ. وقد صار لهذه النظريات أثر بليغ في الصحة الجنسية وامكن بواسطتها تفهيم اسباب بعض الامراض العقلية والنفسية بل والشذوذ الجنسي. فلو كان الوالدون والمدرسون والاطباء مقتنعين بضرورة تعليم الابناء صحة الجنس لما وقعوا فريسة هذه الامراض وغيرها ولما تعرض الكثيرون للفشل في حياتهم العملية والزوجية

لكن للعادات الموروثة ما قد يعرقل فكرة تلقين الاولاد صحة الجنس فما هي الوسائل التي نتغلب بها على هذه العوائق؟ وفي أية سن يعلمون؟ ومن الذي يتولى امر هذا التعليم؟ وما هي المواد التي تعلم؟ هذا ما سأحاول الاجابة عليه من المقالة التالية



## الادب التركي الحديث<sup>(١)</sup>

خالدة اديب خانم

ننتقل الآن الى الكلام عن السيدة خالدة اديب خانم الشاعرة التركية الحلوة الاغريد الرقيقة النغم التي رفعت من شأن المرأة التركية وكانت مثلاً عالياً لتطور المرأة المسلمة واتساع معارفها ولعل الظاهرة غير العادية التي تسترعي النظر بصفة خاصة في حياة السيدة خالدة اديب خانم انها لم تنقف على الطريقة التي جرى عليها الاتراك في الزمن القديم . فان هذه الطريقة القديمة وان كنا نجلها ونعترف لها بنتائج باهرة لانها اخرجت عالمة تركية كبيرة مثل فاطمة خانم التي اشتهرت بسعة علومها في الفقه والتشريع غير انها ابقّت على أسرار المرأة التركية من الوجهة الذهنية والخلقية . اما السيدة خالدة اديب فنستطيع ان نقول انها تلقت تهذيباً حراً وعاشت في بيئة حرة ، او بعبارة ادق لا تدين بغير حرية الفكر وحرية النظام فقد ولدت من والدين متوسطي الحال وكان والدها سكرتيراً في دائرة الخزانة السلطانية الخاصة وكانت منذ حداثها تظهر ميلاً للتبحر في العلوم والآداب ولم يكن يؤذن للبنات الوطنيات في ذلك العهد بدخول المدارس الاجنبية ولم تكن المدارس الوطنية تفي بالحاجة فتوسل والدها الى السلطان عبد الحميد ان يأذن لابنته بدخول الكلية الاميركية في الاستانة فأذن لها فدخلتها ولم يمض زمن على ذلك حتى برزت على اقرانها وتخرجت سنة ١٩٠١ برتبة بكالوريوس علوم وهي اول امرأة مساهمة في تركيا نالت هذه الرتبة . وقد برعت في جميع العلوم الا الهندسة فقد كانت حجر عثرة في سبيل تقدمها فأحضر لها والدها استاذاً خاصاً من اساتذة الجامعة السلطانية ليلقنها في المنزل ما اشكل عليها فهمه من هذا العلم فلم يلبث ان علق بها نخطبها من والدها ثم اقترن بها وهي لا تعلم ان لزوجها امرأة وأولاداً في باريس على أنها لم تكن لتجد خلاصاً لها من تلك الحالة فاضطرت الى ملازمة خدرها وكانت تقضي أوقاتها في مطالعة ما حوته مكتبة زوجها من التأليف النفيسة ولا سيما الفرنسية منها فكان لمطالعها أثر شديد في نفسها الكبيرة ولم تلبث أن سنحت لها الفرصة المنشودة إذ طلقت زوجها وأصبحت حرة لتقيد حياتها على الجد والعمل وكان ذلك قبل اعلان الدستور في تركيا فلما أعلن وأطلقت الحرية للأفكار والمطبوعات نشرت خالدة اديب قصيدة حماسية تخاطب فيها رجال الفرقة الرابعة التي تم على يدها قلب

(١) تنمة المحاضرة التي القاها حضرة الكاتب الاديب الاستاذ نقولا شكري في دار نقابة موظفي الحكومة المصرية بدعوة من جماعة الادب المصري



الحكومة الاستبدادية بلسان مؤسس الدولة العثمانية فكان لقصيدتها وقع عظيم وطار  
شهرتها وذاع صيتها

وفي هذه البيئة السياسية التي كانت تدوي فيها اسماء ابطال الاتراك في الحقبة الاخيرة :  
انور وطلعت ونيازي وجمال وجاويد . في هذه البيئة نفسها ابتدأت السيدة خالدة اديب تفكر  
وتكتب على مثال ماترى وتحس وكانت الجمعية التركية وقتئذ تشكو مظالم العهد الحميدي وتتألم  
من ضروب العسف وضياح سيادة الدولة فابتدأت كسيدة منقفة ومطلعة تكتب في سبيل  
الدفاع عن حقوق المرأة فصار الناس يطالعون كتاباتها بلهفة ولكنها لم تقتصر على ذلك بل  
جعلت تنشر في جريدة « طنين » مقالات اجتماعية وسياسية فاشتهرت بسداد الرأي واعتدال  
اللهجة وكانت تجتمع برجال تركيا الفتاة ولا سيما انور وطلعت وجمال فتبدي لهم رأيها في  
شؤون الدولة وهم لا يستنكفون من الاصغاء اليها والعمل بآرائها . ولما قلب عبد الحميد  
الحكومة الدستورية سنة ١٩٠٩ ورد اسمها في قائمة المحكوم عليهم بالاعدام فاضطرت الى  
الفرار حرصاً على حياتها فسيختص الى مصر ومكثت فيها الى ان استعاد الاتحاديون سلطتهم  
وفي ذلك الوقت كانت قد اثمرت في اذهان الاتراك فكرة العصبة التركية وانبثقت في الجمعية  
التركية ففكرة الاندية السياسية التي كانت تحض على انقاذ العنصر التركي . وكان هذا المبدأ  
المجرد يعمر قلوب الاتراك نساء ورجالاً فلما تردد في جو العاصمة التركية صوت السيدة خالدة اديب  
في سبيل الدفاع عن حقوق المرأة لم يلبث ان تجاوب مع اصوات كثيرة كان يصدرها وقتئذ بعض  
الرؤساء وقادة الحركة السياسية

والى السيدة خالدة اديب يرجع الفضل في رفع شأن المرأة التركية بانشاء الاندية والجمعيات  
ولما نشبت الحرب البلقانية انتظمت كثيرات من النساء في سلك جمعية الهلال الاحمر وجعلن  
يكتبن ويخطبن ويحرضن على الجهاد في سبيل الوطن وقد احتشد عدد منهن يربي على خمسة  
آلاف في دار الجامعة السلطانية فوقفت تخطب فيهن بمحاسة متوهجة ولما امت خطبها كان  
الغرق يتصبب من جبينها من شدة التأثر والانتقال فزعت حليتها الثمينة والقت بهي في صندوق  
امامها اعانة للوطن فاقتدت بها سائر النساء وجعلن الواحدة تلو الاخرى يقدمن حليهن لهذه  
الغاية الشريفة

وابتداءً بعد ذلك انضمها الى الحركة الوطنية التي كان يعمل رجالها لتحرير تركيا القديمة  
من ربة النظم والعادات التي قضت على العنصر التركي بالجمود . واتسع اشتراكها بعد ذلك في  
نلك الاحزاب السياسية فصارت عضواً في حزب التقدم الجمهوري من بعد أن اشتركت اشتراكاً  
فعلياً في الجهاد مع الوطنيين الاتراك وكانت تحضر اجتماعات زعماء الاحزاب الوطنية وترأسها  
أحياناً ولا يوضع اولئك الزعماء خططهم السياسية الا بعد استشارتها . وكانت الى جانب ذلك ترأس



الاجاز التي تؤلف لحل المسائل الشرعية المتعلقة بالمرأة وعلى الاخص مسألة تعدد الزوجات وكان يشاركها في ذلك طائفة من السيدات التركيات منحصر بالذكر منهن السيدة زيهه محبي الدين خانم الرئيسة السابقة للاتحاد النسائي بالاستانة وسلمى خانم . اولئك اللواتي عملن بكل ما في وسعهن على صيانة حقوق المرأة التركية واصلاح قانون الاسرة . وبينما كانت السيدة خالدة اديب تواصل جهودها في سبيل تحرير لدايتها كانت الصحف تملأ أعينها برسائل في الادب والشعر الرقيق الذي كانت تصنفها في اوقات الفراغ : والى السيدة خالدة اديب يعزى الفضل في توضيح مهمة المرأة التركية في المجتمع وان هذه المهمة أوسع وأجل مما يفهمه رجال العصر . ولما تقرر في الازهان أنها سيدة مثقفة من الطراز الاول وأن جهودها تسع النهوض بالاعمال الجليلة في دوائر السياسة والادب والاجتماع وأنها زعيمة متفوقة تتصف بأجل ما يمكن ان تتصف به المرأة المهندبة من المزايا والخلال الباهرة رأى الزعماء الوطنيون الذين شاركهم حيناً طويلاً في ميادين العمل السياسي والدفاع عن حرية البلاد أن يكفلوا مهمتها الشريفة بمنصب تستطيع أن تترك فيه لمواهب المرأة والزعيمة اصدار امثلة أخرى باهرة في حياة المرأة فعهدوا اليها بتولي وزارة المعارف وكان ذلك في موطن تقليدي قديم نوعاً من التجديد لم يسبق له نظير في الشرق . وقد رفع مقام السيدة خالدة اديب في نظر جميع الذين يمجدون نبوغ المرأة وعبقريتها . وكان مثلاً باهراً يوحى بان ثمة مستقبلاً عظيماً للمرأة في الشرق . وقد أعلت مركزها كأديبة واسعة الاطلاع ومجاهدة سياسية اقترن في مهمتها العمل لجنسها بالعمل الجدي للوطن وللجمعية وكانت مثلاً فذاً للمرأة المسلمة بوجه عام

\*\*\*

على ان السيدة خالدة اديب لم تبلغ هذه الغاية في المجتمع الذي عملت على تحريره الا بعد أن ضحت بجانب كبير من ايامها وراحتها وهنائها في الاشتراك مع اولئك الذين كان النظام التركي القديم قد جعلهم موضوع تقمته ومطارده

وكان لابد ان يقترن بذلك التطور الباهر في حياتها كسيدة تركية تطور آخر في ذهنها وطريقة تفكيرها . وفي الحقيقة ان الجمعية التركية والعادات التركية بوجه خاص كانت وقتئذ مستعدة كل الاستعداد لتلك التطور . وقد ابتداء اول ما ابتداء في الغناء والموسيقى ثم في الشعر . ومن الممكن ملاحظة ذلك في الطرائق الجديدة التي يستعملها الاتراك الآن في كتاباتهم واشعارهم . وينسب الى السيدة خالدة اديب في هذا المعنى تعابير وصيغ طريفة تفرغ فيها افكارها فهي ترى ان المرأة التركية لا ينقصها للترقى غير حظ الرجل الحر من التعليم وهي تعني بالرجل الحر ذلك الذي تحرر من القيود الادبية والحوائل التقليدية التي تحول دون



ترقي الجماعة . أما التحرير السياسي وحقوق المرأة بحسب التعبير الشائع فهما عندها في الدرجة الثانية . فتوجه القول الى لداتها « ان السياسة لا تملأ الا جانباً تافهاً من حياتنا وانما هو نير القيود الاجتماعية والادبية الذي ينقل كاهل المرأة »

الى أن تقول : —

« اذا كان يراد بنا نحن النساء ان نكون احراراً في هذه الارض فينبغي ان ننال من التعليم حظ الرجل الحر . ولكن التعليم في المدرسة كان طلاء للحرية مموهاً فان فتياتنا جميعاً لا يزلن في اعماق قلوبهن عبيداً للاكاذيب الاجتماعية المقررة التي خلقها الرجال . وليس الغرض من هذا الا ان يعرف الرجل الى اي حد يمكن التوسع في تهذيب المرأة على شريطة ألا يبلغ بها الى حدود تحريرها من الأسر »

« ان الرجال يحاولون ان يهدبونا من الناحية الذهنية فقط ولكنهم من الوجهة الادبية أو الاجتماعية يأبون الا ان يحكموا علينا الوثائق ويشدوا الاغلال ولكنهم لم ينحسروا فان الوثائق على مر الزمن سيقطع والغل سينفك . لانك اذا ابتدأت اليوم بتعليم النساء فأنت ولا رب منته غداً بتحريرهن »

وحسب هذا الرأي الوضعي البحث أن يصور لنا مذهب السيدة خالدة أديب في تحرير المرأة . وفي الحقيقة ان مهمة المرأة محدودة بمهمة الرجل التي هي اوسع . لذلك كانت قيود الاجتماع والاصطلاح تثقل كاهل المرأة من حيث أنها زعيمة تلك المملكة الصغيرة التي هي الأسرة أو المغنى العائلي . ولقد كان في أساس المهمة الشاقة الجليلة التي قامت بها السيدة خالدة أديب مسألة تحرير الأسرة التركية وكان من أهم القيود التي تغلها مسألة تعدد الزوجات والسيدة خالدة أديب الى كونها زعيمة حركة نسوية من الطراز الاول . ففكرة وادبية وخطبية بليغة لا تكاد تصل عبارتها الى الاسماع حتى تملك القلوب وتجذب اليها الجماهير . وقد كان لخطبها الرفعة ومحاضرتها أثر قوي في تحقيق عناصر المهمة الواسعة التي أفصت في النهاية الى تحرير المرأة التركية . ونعلم من تأليفها — وهي من الكاتبات اللواتي لا ينقطعن عن الكتابة — مذكراتها عن الحرب بين تركيا واليونان وهي تلك الحرب التي اشتركت فيها بتخفيف آلام المرحى والمنكوبين ورواية بديعة بعنوان « الامة الحمراء » كلها تصوير للحرب وحمية الجنود الأتراك وحماستهم والسيدة خالدة أديب رسالتها الاسبوعية في الصحف التركية

\*\*\*

وقد امتازت الى سعة اطلاعها بالدقة في التصوير وقوة الحياة في التعبير ومقدرة على وصف روائع العالم التركي الذي جاهدت من اجله وامتلات شعاب قلبها حماسة في سبيل الدفاع عنه .



ثم هي خصلة الذهن قيّمة الانتاج مستحدثة الاسلوب كسائر الكتاب الاتراك المعاصرين فانك لا تكاد تجد فارقاً كبيراً اليوم بين كاتب تركي من الطبقة الاولى وبين كاتب اوربي معاصر في اخراج الصيغ والتعابير . وهذا يرجع الى طبيعة اللغة التركية اكثر مما يرجع الى مواهب الاتراك انفسهم وان كنا نعتز للسيدة خالدة أديب بتلك الموهبة العظيمة التي جعلت منها كاتبة وادبية وشاعرة من الطبقة الاولى ولعني بها خصوصية الذهن المقترنة ببلاغة التأليف

\*\*\*

ومن بدائع انتاجها قصيدة بعنوان « موت الشاعر »

قالت : —

« ايها الشاعر

« ان الجو الذي عهدته لا يزال على عقبه . والانهار التي شهدتها تجري كذوب اللجين ، والنسيم كعده  
يهب حاملاً أرج الازهار وعطرها

« وما هي الطيور ما برحت تأوي الى وكنائها صادحة مفردة وما هي الطبيعة والشمس ذات النصال  
الابريزية تتألق في الافق . والراحة كما عهدتهم ينشدون متهللين لتحية ملكة النور عند غيابها

« كيف ايها الشاعر ، هل كسرت قيثارتك التي ترددت انغامها ملء الدنيا  
« وهل رميت بالقلم الذي كان يبعينك كالطائر الغرد فلا تعود الى التوقيع الشجي المطرب ؟

« هل قضى نهائياً عليك بالانزواء في هذا المعتزل القعي وقد فارقت هوائك ومربدك ؟  
فلما سمع الشاعر اجاب : —

« بلى ، قضى الامر وكسرت براعتي ، وحطمت قيثارتي . اني ارى كل ما في الطبيعة يستحني على الانشاد ،  
ولكنني اشعر بالعجز امام الموت الذي يفتسنني

وفي هذه الدقيقة كان قرص الشمس الذهبي يهوي في اعماق المغرب فراح الشاعر يناجيه :

« ايها الكوكب المنير ، اذا بلغت اله النور فذكره بهذا الشعب الهضم المضنك

« قل له ان تركيا ما برحت تتمزق كل يوم وثني تحت نير الطغيان فرئت لها الشمس بنظرها وقالت :

« اذن ، هلم ايها الشاعر الى الله المحيط بكل شيء فتهبته مصائب قومك الشاكين المتوجعين

« هلم الى الله تبته ما يجيش في صدرك

« وفابت الشمس على الاثر وراء البحر بينما كانت الامواج تصطخب في سكون

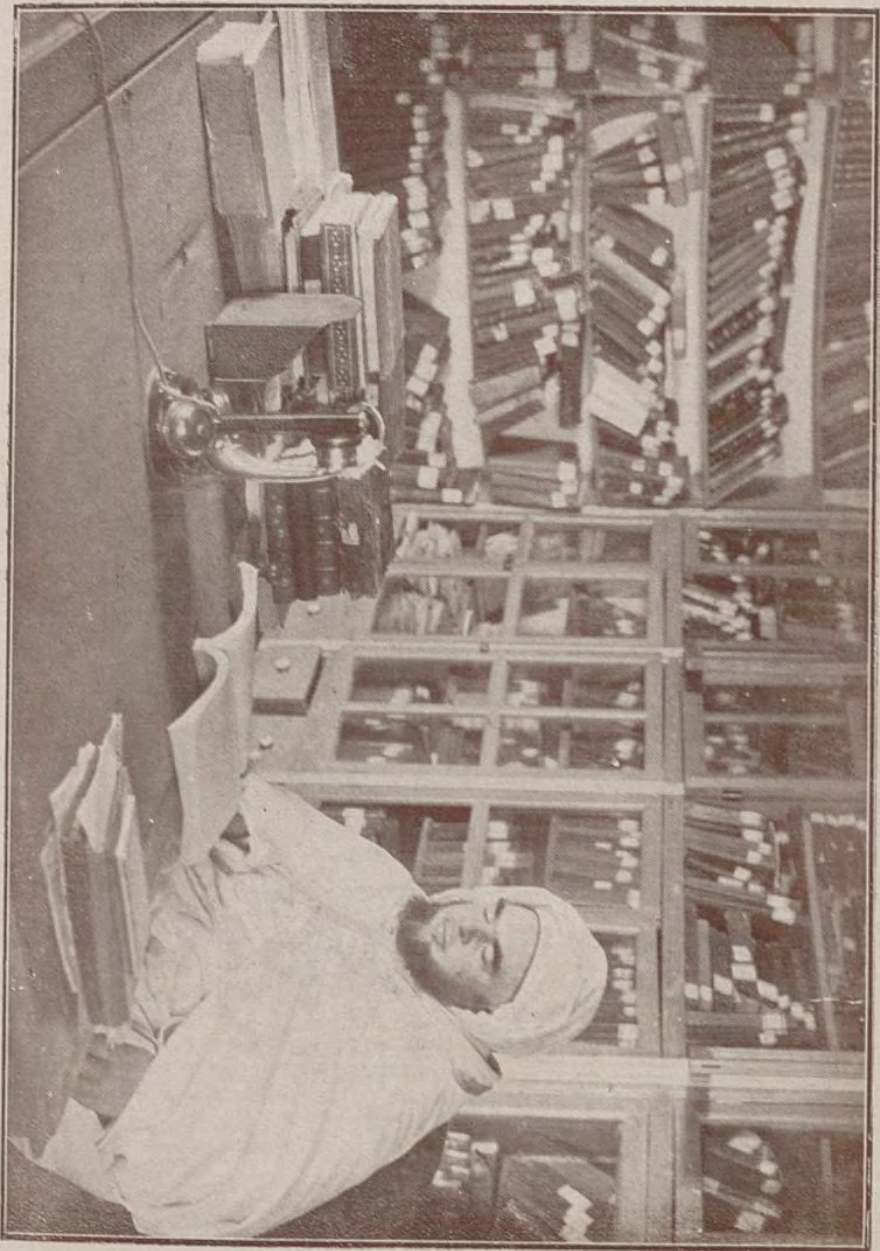
« وأرخت الظلمات سدولها وساد المدينة صمت عميق لان شمسين ظابتا عن تركيا... »

وبعد ، فاننا لم نتحدث عن السيدة خالدة أديب اشهر كاتبات تركيا الجديدة الا لكي تقدم  
مثلاً عالياً لسائر سيدات الشرق فان خالدة أديب تستحق أن تكون قدوة للمرأة الشرقية

تقولاً شكري

بوجه عام





امام صفحة ٤٨٣

السيد الشريف محمد عبد الحادي الكتّاني

مقتطف ابريل ١٩٣٣



# بَابُ الْمِرَاسِلَةِ وَالْمُنَاطَرَةِ

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترضياً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشجيعاً للاذهان. ولكن المدة فيما يدرج فيه على أصحابه فنحن نراه منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقطف . وراعى في الإدراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من أصل واحد فنأظرك نظيرك (٢) أما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فإذا كان كشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف بأغلاطه أعظم (٣) خبر الكلام ما قل ودل . فالعبارات الوافية مع الأبيجاز تفضل على المطولة

## الشریف الکتانی

جاءتنا هذه الرسالة البليغة في وصف الشريف الکتانی الذي زار مصر في طرقة الى الحجاز لتأدية فريضة الحج من حيث هو عالم من أكبر علماء الفقه الاسلامي واديب واسع الاطلاع عميق الفهم جمع خزانة من انفس المخطوطات العربية واتمها في داره بفاس . فنشرناها شاكرين

هارجلان لأن الله لهما من صخرتي أول ما رأيتهما : السيد الجليل « محمد نصيف » كبير جُدة وعماد الحجاز والأمل الممتد في جزيرة العرب ، وهذا السيد المبارك محقق العلم الاسلامي وعمدة التاريخ العربي « محمد عبد الحمي » بن عبد الكبير الکتانی الادريسي « واحد فاس ، وكبير مراکش ، والعلم الشامخ بين أعلام الامّة الاسلامية في هذا العصر ما بين الصين إلى رباط الفتح من المغرب الاقصى

وما عساي أقول في رجل ... كلما أمسكتُ القلم لا كتب عنه تهيبته من غير خوف كما يتهيب المؤمن قاله الحق تحيك في قلبه ، خشية ان يجور فيها لسانه ، أو ان يعدل بها سامعها عن وجه قصد اليه . وأنا حين اكتب هذه الكلمة — بعد ان لازمت الرجل ايامه ولياليه في القاهرة ، وأخذت عنه ، وقبست من نوره وعلمه وحُلقه الغض ، واستنشيت ريثاً شمائله — أجدني كالذي انتقل بروحه من عالم كثيف فيه من ثقل المادة ما يبيض جناح الطائر ، الى عالم من الرُوحانية المصفّاة التي ألقت اوزار المادة الى مشارها ومعدنها من الارض ، وحلقت في جو السماء بين نسائم النفثحة الالهية وفتنة الجمال العلوي ...

الجمال الذي ينتظم الكون كله بأفلاكه وكواكبه ودقة تديره وحكمة امره رجل منضّر الوجه كالوردة الزاهية فيها سرّ الجمال الالهي الذي لا يذبل ، مشرق الجبين كنور الفجر الصادق الذي لا يتكدّب ، وضاح الشبا كالاقحوانة المبتسمة في ربيعها من الظل والندى ، صافي العينين كالماء النير في مجرى من البلور ، كث اللحية مخفوف الشارب



أهدب الاشعار أباج الحاجبين في شعرها وطف ، ضخم الهامة سابق الهيبة بادي الخنان في جسمه بسطة تذكرك بما تقرأ في صفة علي بن ابي طالب رضي الله عنه . هذا هو السيد الشريف «الكتاني» عالم الشريعة الاسلامية وهذه صفته اول ما تكتحل عينك بطلعته

هو في الثامنة والاربعين من عمره ، ولكن تطالعك هذه السنوات القلائل من عينه بالكبرية المطلقة بشباب القلب ، المخففة بحياة النفس العزيزة المتألمة المشخنة بالجراح من احداث الدهر وعواديته . ينظر اليك حيناً نظرة العالم المتمكن الامين المتثبت الذي شغله العلم عن الحياة المادية الغليظة ، فتحملك نظرتة هذه من مجلس بسيط وديع الى بحر من العلم يفتنك هدوءه كما يروعك اصطخابه إذا ازدحت فيه أسباب الحركة العلمية . وينظر اليك حيناً وهو يستمع هادئاً نظرة المشفق الحريص الذي يود أن يراك مصيباً لم تخطئ . وأنت لا تزال في مجلسه بين انواع من النظرات لها معانيها ، ولهذه المعاني أسبابها ، ولهذه الاسباب بواعثها ، ولهذه البواعث محركتها ، وهذه المحركات خفايا من وراء النفس ، منقمة مكتومة لا تنفذ اليها إلا نظرات أروع وقاد قد ابتلى دقائق النفس الانسانية بالممارسة والذهن المتوقد الذي يرى من آيات الله آيات من البلاغة الالهية التي تمس الروح مسة تيار كهربائي ترعشه اعصاب الانسانية وتنفض أنت من مجلسه في مجلس الحافظ لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والفقيه الذي قلب آيات الفقه الاسلامي بالبصر والبصيرة ، والمؤرخ الذي انفتق له السور عن تاريخ العرب والامة الاسلامية في مشارق الارض ومغاربها ، والالهي ذي الدهاء الذي ركب الاحداث في نفسه آلة احساس دقيقة تحس بالبعيد احساسها بالقرب ولا تكاد تخطئ الا بمقدار ما في النفس الانسانية من اسباب الخطأ الذي لا تنفيه إلا العصمة التي لم يقض الله لاحد من الناس ان يبلغها . وهو وراء ذلك أحد المتصوفة الذين عرفوا حقيقة التصوف لا أوهامها التي ملأ بها الدخلاء ساحة التصوف ، وأحد الذين يزنون العلم الحديث وما نشأ عنه من أحوال الاجتماع بميزان يفرق بين الخير والشر والحق والباطل ، فهو يطلع عليه اطلاع المتبصر الذي لا يرضى لنفسه ان يكون من الغوغاء اتباع كل نظرية هوجاء لا قرار لها على حال ولهذا الرجل احساس علمي عجيب ، فهو لا يكاد يسمع بأديب أو فقيه أو عالم أو فيلسوف إلا حن إليه وقلق إلى رؤيته ، ورغب في التحدث اليه وسبر غوره ، فلا تصرفه شواغله وهو في دار الغربة عن أن يقدم أهل العلم — أي كانوا — بالزيارة بل تراه يبدوهم بها . ويرحل من بلد إلى بلد لأن فيه عالماً جليلاً قد قرأ آثاره أو سمع به . وأنت فظن كيف تقدر رجلاً من أقصى المغرب بفاس ، لا يذكر أمامه اسم عالم أو غيره في مصر أو الشام أو الجزيرة العربية أو العراق أو الهند أو الافغان أو الترك إلا عرفه وقص لك من أخباره وعدد لك من كتبه . ومن هؤلاء الناشئ والمغمور الذي لا يعرفه أهل بلده على حين أنه منهم بمنزلة



البنان من راحته . بل . . . . . يسمع اسم الرجل يراه أمامه فيطمئن قليلاً ثم يسأله من أي بلدة هو فما يجيب حتى يسأله عن علماء هذه البلدة من مات منهم ومن حي وعن كتبهم كيف كان مصيرها ، ثم يعدد له بعض ما ألفوا . . . ويذكر له روايته عنهم ان كان روى عنهم شيئاً من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غير ذلك

فمن أجل هذا الاحساس العلمي المركب فيه أتيج له أن يجمع مكتبة في داره بفاس تعدد من أغنى المكاتب الخاصة وأنفسيها في العالم العربي كله ، فيها من النفائس والنوادر والغرائب ما لا يوجد في غيرها . وهو لا يكاد يسمع بكتاب نادر حتى يسارع الى استنساخه أو تصويره بالفوتوغراف . وما هو قد نزل مصر فجمع من شوارد المخطوطات ونواذرها أشياء كانت بين سمع دور كتبنا وبصرها ثم غفلت عنها . ويجلس هذا الرجل في نزله فيأتيه الوراقون بالمخطوطات حديثها وعتيقها فما يفتح أحدها حتى يعرف ما الكتاب ومن صاحبه ويفرح بالكتاب النادر فرح الذي ضن عليه الزمن طويلاً ثم جاد . وبالله أشهد صادقاً لكاني أرى الكتاب بين يديه يكاد يحن اليه حنين القلب الممزق المفطور الى سبب من أسباب سلوته وراحته ، ولكاني أراه يمسك الكتاب براحته كما يمسك أحداً الشيء فيه من آثار قلبه وحبه وآماله ورغباته ما فيه ، ويلقي عليه نظرة عاطفة تكاد تحيي من عطفها وحنانها وحبها وأشواقها هذا هو الرجل العالم المتيم بالكتب ، الذي يطلع جاهداً على آثار الناس وما ينشرون في الكتب والصحف والمجلات ويعي اسماءهم ويسأل عنهم ويرغب في رؤيتهم ويرحل اليهم بادئاً بالزيارة . وفي هذا الرجل رجل آخر قد جعلت من عيني جاسوساً مقتدرًا تفاداً يتتبع نظراته وحركاته وما يدور على وجهه وجبينه من آيات التغيير والتبدل حتى عرفته او كدت

حدثنا عنه فقالنا : هذا رجل في عظم هامته وانساع جبينه والتماع عينيه دليل على قوة مستحكمة شديدة . وهذه القوة — مع ما فيها من شدة — هادئة وادعة مسالمة ، تريت مفكرة ، فلا تظهر ولا تستعلن إلا ساعة الجِد حين تعلم ان قد دنا أو انها ، وأن موضع الفصل قد استبان ، وأنها لن تخطيء . وهو رجل في أسالة خدّه ورقعة نظره شاهد على طيب الخلق ، ودماثة الكنف ، وحسن العشرة ، وكال الحنان والعطف ، وهو رجل في تفاج ثناياه وانطباق شفقيه وطول صمته — اذا لم يدع الى كلام — وعمق نظراته في هذا الصمت برهان على الصبر في كل ملة ومع كل أحد . قالنا : ثم هو رجل حلو النفس صادق مخلص أمين على ما يؤتمن عليه رضي الشائل في كل حين . . . أما تراه يتسم ابتسامة رقيقة لا تكاد تخلص الا عن قلوب الاطفال المبرئين أو الكرام الصالحين فاذا ضحك اهتز جميعه لان ضحكته تصدر عن قلبه الطيع الكريم الذي يتحكم في كل عضو من أعضائه . وهو بعد رجل كتوم يحمل الآلام بين جنبه وهي تمزق قلبه وتفتك فيه . ينظر النظر المرامية في مفاوز الماضي البعيد فيرجع



بالذكرى الألفية ، وعلى نظراته معنى البكاء الذي لا يجد في الدمع ترجاناً او معيناً . وهذه وحدها نظرة لو أقيمت على جبل أصم لا يألم لوجد لها مساً كس الرحمة في القلب الرقيق . ويخيل اليك وهو يغض من طرفه ويرخي جفنيه أن الصبر والجلد والرجولة الصادقة أرادت بذلك أن تخفي عنك نظرات هي أحاديث أيام ، أشفق على نفسك ان تسمعها أو تلم بها وترأه حين يتكلم حتى في العلم يفيض حناناً ورقة وكرماً ووفاء ثم يشتد بعد تمهل حتى يأخذ عليك نفسك هيبه ووقاراً من ورعه وتقاه ، ثم تتعرف فيه اذا خالطته ذهنًا قد اجتمعت له أسباب الاحاطة بأحوال الناس في كل أمة وجيل ثم يدق حتى يكاد يغمض عليك اذا لم تلق اليه بسمعك وبصرك وقلبك جاهداً متفهماً . وان تعجب فعجب لهذا الرجل الذي اتسع أفقه حتى ألف ما ألف على مائتي كتاب فيها موضوعات عجيبة لم يسبق اليه بمثل تحقيقه ودقته على الاسلوب الذي يفهمه عن اهله ومن عرف مذاهب القوم في كتبهم ومؤلفاتهم

كلمة مقتضبة في رجل بحر كريم الاصل والمنصب سليل جدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوه من هذه الامة العربية التي تدفقت في الارض تدفق السيل من رؤوس الجبال فأنبتت في كل أرض نباتاً حسناً زكاً مغرسه وطاب ثمره . كلمة نصل بها أرحاماً تقطعت أو كادت في زمن توالى علينا أحداثه واستمرت علينا عواديته وتركنا لظماء

يأشهرُ الفارغُ الخلي ، وبأسى مُشرعُ الصُدُرِ من جوى ملائنه

محمود محمد شاكر

## حقائق جديدة

عن الربع الخالي

حضرة محرر المقتطف الأغر المحترم

ارجوكم ان تفسحوا لي مجالاً على صفحات المقتطف الاغر لاضافة ما يلي الى بحثي الذي تفضلتم بنشره في عدد فبراير عن الربع الخالي

حين كتابة ذلك الفصل وارساله الى المطبعة لم يكن في امكاني ان اضمنه النتائج التي اسفرت عنها رحلة المستر فلي في شتاء العام الماضي ، اما الآن وقد اتاح لي المستر فلي فرصة الاطلاع على مسودات الكتاب الذي وضعه عن الرحلة ، وعلى التقارير المختلفة التي وضعها الاخصائيون العديدون في المتحف البريطاني للتاريخ الطبيعي بعد فحصهم الدقيق للنماذج المختلفة التي أتى بها من مواضع مختلفة في الاماكن التي زارها رأيت لزماً علي أن اضيف الملاحظات الآتية الى ما نشر سابقاً

اولاً : كان المعلوم عن التكوين الجيولوجي للبلاد العربية ان باطنها خلو من آثار الاصداف البحرية الباقية من العصر الجيولوجي المتوسط المعروف باسم « ميوسين Miocene »



لجأت رحلة المستر فلي مثبتة وجود مساحات واسعة في المنطقة المعروفة باسم جافورا بين الخليج الفارسي ومنطقة الربع الخالي ، مملوءة بالاصداف الميوسينية التي يتخذها العلماء دليلاً قاطعاً على وجود البترول فيها . واصبح في الامكان تحديد الجغرافية الجيولوجية للبلاد العربية بصورة واضحة في مناطق متوالية اعتباراً من ساحل البحر الاحمر الى الخليج الفارسي: —  
صخور ابتدائية . فترياسية . فيوراسية . فكريتاسية ، فايوسينية ، فيوسينية

ثانياً : ان المنطقة الجديدة التي اخترقها المستر فلي في رحلته الاخيرة لأول مرة والتي يمكن تحديدها بأنها تبدأ اعتباراً من خط الطول الشرقي ٥٠° الى حدود وادي الدواسر ونجران انما هي ببداء قاحلة ، جافة ، معظمها رمال كثيفة تتخللها مناطق شاسعة من الطمي والحصباء وتعرف باسماء مختلفة مثل ابو بحر وسحمة ورعلة وجليدة وجدة الفرشة الخ . وان الآبار فيها معدومة الا في حافتها الشرقية بقرب منطقة الخيران والرمال التي اخترقها المستر توماس من قبل وان عمق هذه الآبار عظيم جداً فعمق بئر مفينمة ١٧١ قدماً وبئر فاضل ١٢٥ ، وان المنطقة قليلة الانبات والعشب ولذا فان حيوانها قليل جداً

ثالثاً : من أهم آثار رحلة المستر فلي ايضاً أنها جاءت بدليل جديد يستند اليه العلماء الذين يظنون ان البلاد العربية كانت من قبل كثيرة المياه والخيرات ثم طرأ عليها جفاف عظيم أنضب أنهارها وأهلك عشبها وشجرها . فقد اجتاز المستر فلي اصقاعاً عديدة حوت اصداف المحار الذي لا يعيش الا في المياه العذبة وجلب منها نماذج درسها ، اخصائيو المتحف البريطاني للتاريخ الطبيعي واكدوا أنها من هذا الصنف . وجمع من هذه المنطقة بعض الادوات الصوانية التي استعملها انسان ما قبل التاريخ في العصر الحجري الحديث Neolithic . والنتيجة الطبيعية لهذين الاكتشافين هي أنه في الازمنة القديمة التي تقدمت الاعصر التاريخي كانت منطقة الربع الخالي ذات انهار جارية يعيش فيها المحار ، تنبع من جبال عسير واليمن والحجاز ونسب في البحر الميوسيني الذي يظن أنه كان غامراً الاراضي الكائنة بين رملة مفسن وآبار شنة والزكرت ونيفا وعين سالا . وقد تمكن المستر فلي من تمييز مجاري اربعة أنهار عذبة في هذه المنطقة وحاول ان يربطها بالاودية الحالية الآتية : (١) اودية الافلاج (٢) وادي مقرن (٣) وادي الدواسر (٤) وادي نجران

رابعاً : ونتيجة مهمة ايضاً هي القضاء على الاسطورة التي مؤداها ان كثيرين يعتقدون بوجود آثار مدينة او مدن مطمورة وسط رمال الربع الخالي وبالاخص آثار وبار مدينة عاد التي دمرت بنيران السماء . فقد نفي وجود آثار مثل هذه ، وحقق ان الاعصر التي كان في الامكان اعمار هذه البلاد فيها حينما كانت ذات انهار عذبة ، انما هي أعصر سابقة للعصر الذي بلغ فيه الانسان مرتبة انشاء القرى والمدن



خامساً : ومن أعظم نتائج الرحلة ايضاً تحقيق مسألة قصور ام الحديد التي ذكرت عنها في متن الفصل انها آثار بركان خامدة فقد جلب المستر فليي معه قطعة من الحديد المصهور من مخروط هذا البركان وسامها الى المتحف البريطاني للتاريخ الطبيعي مع كميات من البؤلؤ الاسود، ولدى فحص الكتلة تبين انها قطعة معدنية من نيزك سماوي ولا صلة بينها وبين المادة البركانية وان البؤلؤ الاسود ، رمل ( سليس ) مصهور بحرارة شديدة جداً أحرقته وجعلته يظهر على شكل الدخان البركاني . وقد اثار هذا الاكتشاف اهتمام الاوساط العلمية لكبر حجم النيزك ولكونه احد النيازك القليلة العدد المعروف عنها انها نزلت شديدة الحرارة الى درجة مرتفعة جداً فكان سطحها مصهوراً وباطنها لم تتصل اليه الحرارة الآنية فظل على حالته وأما السطح فقد تألف من صهره بالحرارة الآنية اشكال مخروطية تشبه مخروط البراكين واحرق الرمل المجاور للمنطقة المجاورة لهبوطه فجعله كمتقذوف البراكين مكة فؤاد حمزة

## تصحیح کتاب الزهرة

رد على نفر

تنحصر الاغلاط التي عرض لها الدكتور زكي مبارك مقتطف مارس ١٩٣٣ في اربعة انواع النوع الاول : ويشتمل على اغلاط أصاب الاستاذ مبارك في تصحيحها اصابة تشهد بسعة اطلاعه وها هي بحسب ارقامها (الارقام التي سار عليها حضرته في التصحيح) : ١٦ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٣٦ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥١ ،

النوع الثاني : عثرنا في اثناء العمل على كثير من الاغلاط كما اننا احتجنا في مواضع كثيرة الى الملاحظات . لذلك وضعنا جدولاً في آخر الكتاب يبتدىء في ص ٣٨٢ وينتهي في ص ٤٠٦ ويكاد هذا الجدول لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها حتى الاغلاط التي فات الاستاذ ان يلاحظها رغم افتتاحه بالتدقيق ، «وغرامه بالتصحيح» . وهناك اصطلاحات نشير منها الى الحرف  $m$  = مخطوطة ،  $Y$  = ياقوت ،  $H$  = حماسة ومنها ايضاً  $nc$  = غير واضح ،  $inc$  = غير تام وغير ذلك مما هو مفصل في مقدمة الجدول . وكأن الاستاذ مبارك لم يشأ ان يعترف بوجود هذا الجدول ، وكأنه لم يكده يعثر على الغلطة الاولى حتى استرسل في التصحيح ، والتصحيح عند الاستاذ غرام والغرام — كما يقولون — أعمى

وها هي الاغلاط التي انتبه لها على حين ان جدول الملاحظات لم يغفلها بل اشار إلى كل غلطة منها اشارة اقلها يدل على الشك والاستفهام : — ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٧ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٥٠ — وقد اهتدى الاستاذ الى اصلاح بعضها وصحح بعضها على الاحتمال . الا ان النقد العلمي النزيه يحتم على الناقد أن يعطي كل ذي حق حقه



ويعرف لذي الجهود جهوده ولما كان الجدول ذاك (ويقع في ٢٥ صحيفة) حقاً لنا ، وجانباً من جهودنا انتظرنا من الاستاذ مبارك ألا يشيخ بوجهه عنه فيغفل كل هذا الاغفال النوع الثالث : ويشتمل على اغلاط صححها الدكتور مبارك وهي مثبتة بتصحيحها في ذلك الجدول المظلوم الذي لم يستحق نظرة عطف منه ! وقد لفت نظرنا اتفاقنا في التصحيح لا اتفاق توارد الخواطر بل وقوع الحافر على الحافر . وفي هذا النوع من الاتفاق عجب حين يقع مرة واحدة أو مرتين ، فكيف به وقد وقع في اربعة عشر موضعاً ! ؟ . والى القراء جدولاً بأخطاء صححها في نقده وصححناها نحن كذلك في الجدول المذكور في آخر الكتاب

الغلطة برقمها	تصحيحها في جدول الملاحظات	تصحيح الدكتور مبارك
٤ وبعد	(الواو) لا لزوم لها	(الواو) لا لزوم لها
٩ الأهمم بالباء الموحدة	الأهمم بالياء المثناة	الأهمم بالياء المثناة
١٨ عتمة	عتمة رواية الحماسة	عتمة رواية الحماسة
٢٠ وما بي اذا زبي	رمانى اذا ربى	رمانى اذا ربى
٢٢ مكائد	مكايد	مكايد
٢٦ ان الذي	يا ذا الذى	يا ذا الذى
» قدر	قدر	قدر
٣٣ فرحة نكلتها	قرحة ؟	قرحة نكلتها
٣٨ لم يمكن	لم يكن	لم يكن
» منهم	فيهم	فيهم
٣٩ ترتيب سيء لآيات	هزج (الوزن الشعري)	رتبها الاستاذ على الهزج
٤١ كتوم	كظيم رواية الحماسة	كظيم رواية ابى تمام ...
٤٢ دوني	دونى بفتح الياء	دونى بفتح الياء
٤٥ لنقلهم	لتنقلهم ؟	لنقلهم

النوع الرابع : ويشتمل على ما بقي من الاغلاط . وقد شاء الاستاذ مبارك ان يسميها اغلاطاً وليست كذلك بل هي في الحقيقة تفضيل رواية بيت على رواية واستبدال كلمة بكلمة . ومعروف بالبديهة ان كل كتاب مخطوط أمانة في عنق ناشره يتحتم عليه ان يخرجهُ للناس مطبوعاً كما وجدهُ مخطوطاً . فاذا بدت وجوه للملاحظات كاختلاف رواية أو تسمية ونحوها احتفظ الناشر بالاصل ودون ملاحظته في الموضوع المخصص لها ومثال ذلك جدول ملاحظتنا المظلوم

نابلس  
ابراهيم عبد الفتاح طوقان



## تنقيط الياء في آخر الكلام

غير كافل بآزالة اللبس

حضرة رئيس تحرير المقتطف الغراء

قرأت في مقتطف فبراير ١٩٣٣ مقالا ممتعا ، في موضوع لغوي شائق ، بعنوان « تنقيط الياء في آخر الكلام » كتبه البحاثة الشهير الأب انتاس ماري الكرملي ، محاولا فيه اثبات نظرية زوال اللبس بين الكلمات التي تكتب واخرها املائييا بالياء بمجرد تنقيط الياآت الواقعة في آخرها ، وقد اهاب بكتاب العربية ان يلتزموا التنقيط فيما يقرأ بياء صريحة من هاتيك الكلمات ، نفيا للشبهة وحرصا على وقت القراء ، ونهضته باللغة من مهاوي التردد ، ثم ضرب الامثال تلو الامثال ، تأييدا لنظريته المشار اليها ، فأجاد وأفاد ، بيد اني ، عملا بحرية البحث وتمحيصا للحقيقة العلمية : اقدمت على تقديم ملاحظتي لكم ، على ما قرره ، مؤملا نشرها وفق ما اخذتم على طاعتكم : —

ان اقتراح الاب انتاس مفيد جدا ، وذو شأن خطير ، ومضعف لشوكة الوهم والالتباس ولكنه ليس بالقول الفصل في المسئلة ، ولا بالقاعدة الجامعة المانعة في الامر ، فباب الشبهة وان طُبق (اي الاقتراح) لا يزال مفتوحا . لناخذ مثالا كلمة (حبلي) التي مثل بها في مستهل بحثه ، وقرر انها اذا لم تنقط ياؤها يؤكد انها هي المرأة الحامل ، اما اذا نقطت فيؤكد انها منسوبة الى الحبلي — لناخذ هذه الكلمة نفسها ، ولنجعلها معيار الحكم على هذه النظرية — انا اذا فعلنا ذلك ، وقمنا بتنقيطها ، ورسمناها هكذا : (حبلي) تجلّى لنا ان غيم اللبس لا ينفك مخيما عليها ، فانها تحتل امرين ، والحالة ما شرح : احدهما : ان تكون منسوبة لحبلي ، وثانيهما : ان تكون من اضافة (حبيل) الى ياء المتكلم ، وكذلك (يمني) مجرد تنقيط يائها الاخرة لا يحصرها في النسبة الى قطر اليمن كما يراه الاب انتاس بل يجوز معه ان تكون من اضافة (اليمين) الى ياء المتكلم ايضا . ثم لنظرة (السامي) المنقطة الياء المتطرفة بماذا نجزم في شأنها ؟ هل هي نسبة الى سام بن نوح ، ام وصف بالسمو ؟ وكذلك قل في الحالي والراضي والمرضي والغالي والقالي وخلافها من الكلمات الكثيرة التي لا يفارقها شبح اللبس بمجرد تنقيطنا لياؤها المتطرفة . واذا فجع القول (في نظري) ان تضاف هذه الفقرة على ما رآه الاب انتاس ألا وهي : التزام وضع علامة (التشديد) فوق ياء المنسوب وما شاكله من ذوات الياءات المشددة المتطرفة ، علاوة على — التنقيط . فيكتب هذا النوع من الكلمات دائما هكذا : السامي ، يمني ، حبلي ، الحالي ، القالي ، أواني ، حواري ، وبهذا الصنيع نأمن جانب اللبس مطلقا ، ونحظى بالمرغوب محققا

المدينة المنورة

عبد القدوس الانصاري



# مكتبة المقتطف

مملكة اورشليم اللاتينية

في القرنين الثاني عشر والثالث عشر (١)

جاءنا هذا الكتاب من نحو نصف سنة فقرأناه ثم عرضناه على المستر جفري مدير الدروس في مدرسة اللغات الشرقية بالجامعة الاميركية، وعصر المملكة اللاتينية من العصور التي توفر على درسها، فكتب المقالة الآتية بالانكليزية فنشرنا ترجمتها هنا

نشر هذا الكتاب على أنه الحلقة الرابعة من سلسلة الكتب التي تخرجها الاكاديمية الاميركية لتاريخ القرون الوسطى . والغرض منه توضيح ناحية من نواحي المنشآت الصليبية في فلسطين ان دروس الممالك التي انشأها الصليبيون في الشرق يهم البحوث المهتمين بثلاث نواح من نواحي المعرفة — (١) فالباحث في الصلات التي تربط بين الشرق والغرب، يجد فيه مجالاً للبحث في زمن اتصل فيه الغرب بالشرق زمناً طويلاً وانشأ مملكة غربية في محيط شرقي، وترك فيه اراً متزايداً في اوضاعه وانظمته (٢) اما الباحث في تاريخ الحروب الصليبية فيجد فيه الطريقة التي جرى عليها الصليبيون في تحقيق ما يرمون اليه في جماعة مستقرة بعد ما قاموا بما قطعوه من العهود على الكفاح في سبيل تحرير الاراضي المقدسة من سيطرة غير المسيحيين. (٣) اما الباحث في تاريخ القرون المتوسطة فيرى فيه صورة جلية او مثلاً صافياً لعمارة فئدية (افطاعية) تحاول ان تسير سيرها الطبيعي من دون ما يعيقها او يعيق العمارات الفئدية في اوربا ومملكة اورشليم اللاتينية، انشأها زعماء الحرب الصليبية الاولى بعد افتتاحهم اورشليم ونصب جودفري ده بويون اول ملك عليها، مع انه رفض — وظل يرفض بعد تنصيبه — ان يدعى ملكاً لان اورشليم في نظره بلغت من القداسة ما يجب ان يمنع ايئاً كان ان يدعو نفسه ملكاً عليها . وكان زعماء الحرب الصليبية الاولى قد تعمّدوا النظام الفئدي في حكم في بلدانهم، فكان لابد لهم ان ينشئوا الممالك التي ينشئونها في الشرق على مثال فئدي.

(1) Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem 1100—1291 John L. La Monte, Massachusetts 1932, Medieval Academy of America—Price 4.50 Dollars



فاعتترضتهم صعوبات — ان سكان البلدان الشرقية التي دخلوها كانوا قد تعودوا قانوناً عرفياً يختلف عن قانون اي شعب من شعوب البلدان الفدنية في اوربا . فكان لا بد للنظام الجديد ان لا يفضي عن هذا الفرق . (٢) كان البابا الداعي الى الحرب الصليبية وكان له ممثل بين زعماء الصليبيين ، وكان هذا الممثل يحمل تعليمات خاصة ترمي الى وجوب مراعاة حقوق الكنيسة في كل البلدان التي يفتتحها الصليبيون وكان الزعماء يعرفون هذه الصلة التي تصلهم بالبابا ، ومعرفتهم هذه عدلت من نواح مختلفة النظام الجديد الذي ابدعوه للممالك التي انشأوها وقد اضطلع المستر « لامونت » في الكتاب الذي بين ايدينا بدراسة تطور الاوضاع في المملكة اللاتينية التي انشأها الصليبيون . وصحيح ان غيره من البحوث عالج الموضوع من نواحيه التاريخية والتجارية واثرا الاتصال بين الشرق والغرب في الأدب وغيرها . ولكن المستر لامونت اقتصر على ميدان معين من البحث يختلف عما تقدم . وهو نظام الحكومة في المملكة اللاتينية . فتناول في القسم الاول من الكتاب تاريخ التطور الدستوري في تلك المملكة ثم في القسم الثاني عرض لنظام الادارة وفي الثالث عالج الصلات السياسية بين ملوك اورشليم والذي يهمننا من القسم الاول ما يوضحه المؤلف من غوامض الخلافة في ملوك اورشليم . وليس من الامور الخفية كيف تطرق الضعف الى المملكة رويداً رويداً بسبب الخلاف الدائم بين الاحزاب المتباينة على مسألة « من يقام حاكماً على المدينة » . ولكننا لم نر قبل هذا الكتاب كتاباً يحتوي على مثل تفصيلاته الدقيقة المبينة على درس دقيق للوثائق الاصلية — وهو كذلك اول من بين الشأن العظيم الذي كان يعلّق بفكرة الخلافة عن طريق النساء في خلال تلك المدة . وان القارئ في العصر الحديث ليقف دهشاً اذ يقرأ القصة التي لا تنقطع حوادثها عن سيدات حسان كنّ يتزوجن رجلاً ثم آخر ثم آخر . من دون رغبتهن . لان مصالحة الدولة ( الاسرة الحاكمة ) كانت تقتضي ذلك

اما القسم الثاني . وهو القسم الذي يهمن القارئ بوجه عام — فيتناول نظام المملكة الدستوري تناولاً مبيناً على مراجعة واسعة النطاق للاصول التاريخية . فهناك يقرأ عن ( المجلس الاعلى ) وتأليفه ومدى سلطته ، وقد كان اعلى مجلس تشريعي في البلاد . ثم يلي ذلك بحث في المجالس التي دونها ( كمجلس الطبقة الوسطى ) الذي يتناول شؤون الرعية الفرنجية التي تحت طبقة الاشراف فالمجلس الذي يتناول الشؤون التجارية فالمجلس الذي يتناول الشؤون الحربية البحرية والشؤون التجارية البحرية ، والقواعد التي بمقتضاها يحكم السكان السوربون بحسب شرائعهم وعاداتهم

وفي هذا القسم يبحث كذلك في حقوق وواجبات كبار الفرسان من موظفي المملكة ، وقد كان النظام الذي يشملهم منقولاً عن النظام الفدني في اوربا . وهذا يفضي به الى درس



العلاقة بين هؤلاء الفرسان بالمجلس الاعلى وحقوقهم في الاقطاع وتفصيلات الخدمة العسكرية ونظام الهيئة الحربية في البلاد لانه كان لها اكبر مقام في نظام الحكومة اذ كانت البلاد في حالة حرب دائمة مع اعدائها من الامم غير المسيحية التي كانت تحيط بها . وهذا البحث يفضي بطبعه الى البحث في ادارة البلاد من الوجهة المالية

اما القسم الثالث من الكتاب فيتناول علاقة ملك اورشليم بامراء انطاكية وكونتات طرابلس وادسسا من ناحية، وبالبايا والقصداد الرسولين من ناحية ثانية، وبطوائف الفرسان Templars وال Hospitallers من ناحية ثالثة، وبالطوائف التجارية من ناحية رابعة. وكل هذه العلاقات كانت تتحد من سلطة ملك اورشليم وحرية

هذا ميدان البحث في الكتاب اما من حيث قيمته فنقول انه اول كتاب من هذا القبيل مبني على درس وافٍ وبحث لم يهمل شاردة ولا واردة من الاصول التاريخية . ومع ان المؤلف يتناول في بعض الاحيان مسائل مختلف فيها ، لكنه يتناولها بروح من الانصاف والتجرد ويبسط الادلة التي يعتمد عليها في ترجيح الرأي الذي يأخذ به ، بسطاً وافياً . فالكتاب مرجع لا يستغني عنه المهتم بدرس عهد الصليبيين . ففيه من ناحية اهم الحقائق التي تهتم الطالب في بيان سهل وامجاز غير مخل ، ومن ناحية اخرى ذكر لاهم المراجع الاصلية للاخصائي وقد طبع الكتاب طبعاً متقناً ويحتوي على بيان المراجع وملاحق مختلفة لتسلسل الملوك وقوائم باسماء كبار اصحاب المناصب ونصوص بعض الاذاعات والمعاهدات التي تخص المملكة اللاتينية

اما الباحث الشرقي المعني بموضوع الحروب الصليبية فيجد في هذا الكتاب امرين جديرين بعنايته . اولاً . اذا كان من السهل الحصول على الاصول الشرقية التي طالت موضوع الحروب الصليبية ، فمن المتعذر عليه الحصول على الاصول الغربية لانها في الغالب غالية الثمن ومكتوبة اما باللغة اللاتينية او باللغة الفرنسية القديمة . ولكننا نجد في هذا المؤلف موجزاً يصح الاعتماد عليه ، لاهم الحقائق ، مستقاة من هذه الاصول . ثانياً . اذ حاولنا درس الموضوع في اصولنا الشرقية نظرنا الى المملكة اللاتينية من الخارج ، كما نظر اليها كتاب هذه الاصول وهم في الغالب من الشعوب التي انشئت المملكة بين ظهرانيهم . ولكننا نجد في هذا الكتاب صورة جليلة لنظام المملكة كما رآه اناس اشتركوا هم في انشائه وادارة شؤونه . وهذه الصورة التي رسمها المستر لامونت تمكنا من نقد ما قاله الكتاب الشرقيون ، فنعرف ما بلغوه من الدقة في كتابتهم او تمكنا من فهم ما يقولونه وتفسيره التفسير المعقول واذا لم يكن المستر لامونت قد خدمنا الا هذه الخدمة فحسبه



## انفاس محترقة

شعر محمود ابو الوفا — طبعته دار الهلال — من النسخة ه قروش

عُنيَت دار الهلال بطبع ديوان الشاعر محمود ابو الوفا وطلب الشاعر من رئيس تحرير هذه المجلة كتابة المقدمة لديوانه فكتب ما يلي : —

اذا طغى الاستبداد على الحرية ، وتغلبت المادة على الروح . وضؤل نور الامل النياض حتى كاد يخبو ، واستبدت القوة العاشمة بالحق فوارته الى حين ، عجزنا عن بلوغ الطائفة النفسية الا في خائل الروح الخالدة . ذلك ان الانسان كائن روحي ، مهما يعارض في ذلك السلوكيون ، نزاع الى ما يمكنه من التغلب على نواحي الحياة المادية واخضاعها لمطالب الروح العليا . فنلتفت عندئذ ، بداهة ، الى الشعراء والفلاسفة الذين نسمع في إنشادهم ألحان النزاع النفسي العنيف ، فأهازيج النصر ، فألغام الاستقرار في ساح الحرية والمحبة والامل والحق والشاعر في نظري ، هو من تأخذ الحياة بتلايبه وتدفعه الى الانشاد قصراً . ففي طبيعته الدقيقة الحس ، تلتقي الافكار والاخلية والاحاسيس ، وتختلط وتندمج ، ثم تخرج صورا جديدة لا أثر فيها لاعنات الفكر ، ولا لكد الخيال ، ولا لتكلف الشعور ، ومن هنا أرى ان سماحة القرينة في الشعر spontaneity . هي في طبيعة ما يمتاز به الشعر العالي — وحسي ان أقول الشعر وكفى

فالشاعر اذ تملكه صورة ما ، لا يبرح يقلب فيها النظر ، حتى تنبثق من عقله الباطن آراء درسها ومثلها بالتأمل الطويل ، يوشيهما بذهب خياله الوهاج ، ويمررها بنار شعوره ، فتخرج في الكلام الذي يمنحها قواماً خارجياً ، صورة لست تجد فيها الفكر الذي نسج آراءها ، ولا الخيال الذي وشى حواشيه ، ولا الشعور الذي نفخ فيها رعدة الحياة . بل تجد شاعرية شاعر ، اجتمع فيها التفكير عميقاً صافياً ، والخيال جريئاً وثاباً ، والشعور متأججاً صادقاً... في الفاظ كأنها في معانيها ومبانيها وجرسها ومواقعها آيات التنزيل . هذه هي وحدة الاندماج في الشعر العالي بين أقدانها المتباينة

ونحن اذا رجعنا الى تاريخ الادب في أمة من الامم وجدنا عصور الانحطاط في الانتاج الشعري موسومة بسمه التفكك في هذه الوحدة ، فيتفوق العقل على الاقنيم الاخرى ، ويسمو شأن الصناعة ويضعف شأن «السماحة» أو «الطلاقة» . بذلك اتصف عصر دريدن في الشعر الانكليزي على ما بين المستر درنكوتر في محاضراته . وبالطلاقة وارسال النفس على سجيبتها امتازت عصوره الذهبية في ايام تشوسر وشكسبير ووردزورث وكتس وشلي

\*\*\*

لم تهبني الطبيعة الملكة التي تمكنني من معالجة الشعر . وانا مغتبط — وأحسب جمهور



القراء مغتبطاً كذلك — انني اعرف هذا . فأنا اذ أقرأ الشعر ، وأجد فيه رقيماً وعنيفاً ، منأى للنفس عن متاعب الحياة ، أبحث فيه عن سر أثره في نفسي فأجد صفة «السماحة» او «الطلاقة» التي ذكرت . اذ ذلك تكون القصيدة في نظري كالجدول المنساب في الروض الممرع . تحف به على جانبيه الجمائل المعطارة . تعطره أشداؤها ، ويطربها خريره ، فترتشف حواسي من القصيدة ، ما ترتشفه من روعة الجدول والروض ، وترتفع نفسي ، في الحالتين ، على ذرى التأمل في أسرار الكون والحياة ، الى عرش السماء . فأنا في تلك اللحظة ، ابن الكون المطلق لا ابن الارض الملتصق بالرغام

ولعل بحثي المبهم عن هذه الصفة في الشعر ، حملني على الاعجاب بشعر « أبي الوفا » اذ قرأت له :  
لغة البلابل أين تذهب بين هدهدة الهداهد

فتمثل لي العراك العنيف بين الخير والشر ، بين الضعف والقوة ، منذ فجر الحياة البشرية على الارض الى يوم الناس هذا ، في صورة قليلة الخطوط ، زاهية الالوان . واذا قرأت له أحب أضحك للدنيا فيمنعني ان عاقبتني على بعض ابتسامات فأحسست بصدق الشعور وتجلي لي ألم النفس ، فتخيلت أنني الشاعر ، أراجع ما عاقبتني به الدنيا على بسمات ساذجات كبسمات الطفل . فردتني ناقماً ساخراً ، تمنعني تقمي وسخريتي من ان أحاول الابتسام ثانية . واذا قرأت له :

كأنني فكرة في غير بيتها بدت فلم تلقَ فيها أيّ اقبال  
او أنني جئت هذا الكون عن غلط فضاق بي رحبه المأهول والخال

واذا قرأت قصائد « ذكرى » و « حيرة » و « الايمان » وغيرها فقلت في ذات نفسي ، في شعر هذا الشاعر سماحة القريحة التي يمتاز بها الشعر العالي ، فرغبت اليه في ان يشاركني في ذلك رهط الادباء من قراء المقتطف ، ونشرت له فيه ، قصائد « الايمان » و « حيرة » و « أريد » و « ضحية العيد » و « تغريدة » و « من الاعماق » و « ذكرى » و « الى صاحب البؤساء » وغيرها ، الخارجة من اعماق نفسه ، الجامعة لصفوة نظره الى الحياة ، الموشاة بوشي خياله الذهبي ، المطبوعة بطابع شعوره . وأحسب أنها وحدها تكفي لتجعل صاحبها شاعراً . . وحسبه هذا !

ان ديوان « أبي الوفا » صفحة من حياته — وحياة الشاعر حياة الانسانية ، في قلبه أملها وألمها . وفي عقله حيرتها . وفي وجدانه معتركها — فأنت ترى الحياة في هذا الديوان ، فطرة ندى . وشذى وردة . وثورة بركان . وإيماناً وبؤساً وأملأ ، واردة صلبة وأنفاساً محترقة . واني لشديد الغبطة ان أتيح لي تقديمه الى أدباء العربية ، اولاً على صفحات المقتطف وثانياً بين دفتي هذا الديوان . وأنا واثق ان الشاعر لن يخيب ظننا في تحقيق ما نتوقعه منه . والسلام



## نابغة بني شيبان

ان العربية لتزهي بما تخرجه دار الكتب من المطبوعات كما تزهى الحسنة بحال وحيدها بعد ان استفتحت الله على عقمها فجاءها بأسباب راحتها وفزعها في وجه معاً . فنحن بنا لدار الكتب مثل الذي بالحسنة لوحيدها من الحب والعطف والراية لانها واحدة جادت لنا بها ايام كزفة بخيلة . وبنا ايضاً مثل الذي بها من الخوف والفزع ان يستفزها الحذب الى الغرور ، وان يستخفها التغاضي الى الاهمال والتعالي وترك الواجب الذي لا يستحل خلافه . وقوة ما استقر في قلوبنا من الحذب عليها والتوجه اليها وما يعتلج في صدورنا من الخوف والفزع تدفع بنا الى العناية بما تنشره ، ومؤاخذتها على الكبار والصغار تنزيهاً لها وتبرئة . وهذا «ديوان نابغة بني شيبان» — آخر ما طلعت علينا به — نقول فيه كلمة تنفعها ان شاء الله

تحقيق نسب النابغة ودينه ﴿ نقلت دار الكتب في تصدير هذا الديوان كلمة ابي الفرج الاصبهاني في اغانيه » ج ٦ ص ١٤٦ مطبوعة الساسي » التي يقول فيها أن النابغة من شعراء الدولة الاموية « وكان فيما ارى نصرانياً لاني وجدته في شعره يحلف بالانجيل وبالرهبان وبالايمان التي يحلف بها النصارى » اه . ولم تعلق دار الكتب على هذا بكلمة ، فكان الديوان لم يطبع فيها ، ولم يهتم بشرحه القائمون بأعمال التصحيح فيها . ذلك ، لأن هذا الديوان الذي بين أيدينا ليس فيه قسم واحد بالانجيل او رهبان او يمين من الايمان التي يحلف بها النصارى ، بل فيه ما يدل على ان صاحبه مسلم عريق لم يضرب إلى نصرانية ولا يهودية ، كما سنبين بعد

وتقول دار الكتب في التعليق على نسب النابغة انها نقلته من الاغاني « بعد تصويب الاسماء الخاصة ( كذا ) بنسبه » ومعنى ذلك انها رجعت الى ترجمة ابيه « مخارق » ثم جده « سليم » الى آخر ذلك فصحت التحريف الذي كان واقعاً في نسبه . وهذا النابغة هو عبد الله ابن مخارق بن سليم ... الشيباني « من بني ذهل بن شيبان ولد ربيعة بن نذار . فلو كانت قد رجعت الى ترجمة ابيه — كما يفهم من كلامها — لعلمت ان « مخارق بن سليم ... الشيباني » صيبي ترجم له شيخ الاسلام ابن حجر العسقلاني في كتابه « التهذيب » ج ١٠ ص ٦٧ وفي « الاصابة » ج ٦ ص ٦٨ وابن الاثير في « اسد الغابة » ج ٤ ص ٣٣٥ وافرد له امامنا الجليل احمد بن حنبل مسنداً في كتابه « المسند » ج ٥ ص ٢٩٤ — ٢٩٥ وروى من حديثه النسائي في سننه ج ٧ ص ١١٣ . قال ابن حجر في التهذيب « مخارق بن سليم الشيباني أبو قابوس ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ..... وروى عنه ابنه قابوس و « عبد الله » . وقد ترجم أصحاب كتب التراجم — التي بين أيدينا — لابن قابوس لان اسمه ورد في بعض الكتب الصحاح الستة ، ولم يترجموا لعبد الله لان اسمه لم يرد في أحدها ولعلمهم لم يعنوا بروايته لانصرافه الى قول الشعر ومدح الخلفاء فقلت روايته للحديث وقام بها اخوه قابوس . وما



نظن إلا أن أبا الفرج قد وهم في قوله بنصرانته — ولا بني الفرج أو هام مثل هذه كثيرة — ولعل الذاكرة طوحت به إلى نصرانية نابغة بني الديان الحارثي من أرض نجران . وإلا فكيف يكون نصرانياً من يقول « الديوان ص ١٧ »

ويزجرني الإسلام والشيب والتقى ، وفي الشيب والإسلام للعرب زاجرٌ » وهذا نص لا يحتاج معه إلى الاستشهاد ، بكثير مما ورد في شعره من خُلُق الإسلام وأيمانه وتجانفه عن الشرك والخبائث كبيرها وصغيرها

﴿ شرح الديوان ﴾ عقلت دار الكتب على غريب هذا الديوان ونشكر لها عنايتها بذلك ، ولكن ما كان أشد أسفنا حين رأينا هذا الشرح محشوً بالاغلاط الواضحة التي نود أن نزهها عنها فن أمثال ذلك قولهم ص ٣ في شرح الكلمة « تعرُّق : « تعرُّق : تأكل ما على اللحم من عظم . وتأخذه « كله » ولا ندرى كيف يكون هذا اللحم المكسوة بالعظام . وكيف يؤكل . وقالت في شرح قوله

« وما الناس في الأعمال إلا كبالغ » يُبَنِّي وَمُنْبَتَّ النياط حسيرٌ

« فُسْتُسَلَبَ مِنْهُ رِيَاشٌ ، وَمَكْتَسٌ ، وعارٍ ، وَمِنْهُمْ مُشْرَبٌ وَفَقِيرٌ »

المترب : القليل المال . فيكون معنى البيت الأخير أن الناس منهم مكس وعارٍ وفقير ، لأن قليل المال هو الفقير لاشك . ونص اللغة « تَرَبَّ تَرَبًا وَمَتَرَبَةً . حَسِرَ وَافْتَقَرَ فَنَزَقَ بِالتَّرَابِ ، وَاتَّرَبَ : اسْتَغْنَى وَكَثُرَ مَالُهُ فَصَارَ كَالثَّرَابِ — كثرة — هذا هو الأعراف وقيل — وهذه لفظة التضعيف عندهم — قَلَّ مَالُهُ . وَالْمُشْرَبُ الْغَنِيُّ إِمَّا عَلَى السَّلْبِ وَإِمَّا أَنْ مَالَهُ مِثْلُ الثَّرَابِ » . فالمعنى (منهم غني وفقير)

وقالت في شرح قوله يصف شعور النساء

« وفروع كَلَمَاتِي زَانَهَا حَسَنُ جَمِيرٍ »

الجمير : الطيب . ونحن لا نعرف للبيت معنى بهذا الشرح . وكلمة اللغة أن الجمير : هو الشعر ما جُمِرَ مِنْهُ وَجَرَتْ الْمَرْأَةُ شَعْرَهَا جَمَعَتْهُ وَعَقَدَتْهُ فِي قَفَاها وَلَمْ تَرْسُلْهُ ، وَالْجُمَائِرُ الضَّفَائِرُ وَاحِدَتُهَا جَمِيرَةٌ . وَالْجَمِيرُ مِنَ الزِينَةِ وَلَا شَكَّ عِنْدَ النِّسَاءِ

ونكتفي بهذه الامثلة من الخطأ وقلة العناية والإهمال والاستهانة بأمر القراء والادباء الشعر العربي : وقبل أن أفرغ من كلتي هذه أبدي تألمي من أحد الكتاب المشهورين في زرايته على دار الكتب بطبعها الكتب القديمة من مثل « ديوان جران العود » و« نابغة بني شيبان » . ونقول لهذا الكاتب الفاضل أنه ما حملهُ على الزراية بالشعر العربي إلا تباطؤه عن الجِدِّ في فهم أساليب لغته التي يكتب بها ، وأنه إذا وجد ثقلاً على نفسه الرقيقة في قراءة شعر العرب المتقدمين فليس ذلك من ذنب الشاعر ولكن من ذنبه هو وذنب الذين وضعوا



برنامج — تدريس العربية في مدارسنا المصرية . وزغب اليه اذا كان هذا رأيه هو ان يكتبه عن الناس ثلاثاً يصدهم عن الاهتمام بأثار أجدادهم التي لا يبنى الادب العربي الحديث الا على أساسها . ونقول ان الذي يفهم الشعر ويفهم انه هو صورة النفس ان صافية فصاف وان غليظة فغليظة لا يقول بمثل هذه المقالة ابداً ، فما لا شك فيه ان النفوس من آدم الى اليوم هي النفوس البشرية التي لا تتغير ابداً ، وان الادب في كل العصور هو صورة هذه النفوس على اختلافها . وليس أدب اليوم هو الادب الذي لا يرغب في غيره حتى يكون ما سبق مما نعدمه ادباً وشعراً كلاماً من منطق لا نفهمه ولا نرغب فيه . ونعند بأن نظهر في هذه المجلة روائع من الشعر القديم الذي انطلقت السنة هؤلاء الكتاب المشهورين بانتقاصه والنيل منه والله الموفق

محمود محمد شاكر

### حكم الامم

مجموعة من الامثال والحكم والاقوال المأثورة باللغة الفرنسية اختارها ووضع ما يرادفها باللغتين العربية والانكليزية محمد افندي عبد الهادي كبير مترجمي محكمة الاستئناف المختلطة بالاسكندرية

في الامثال والاقوال المأثورة تتلخص تجارب الامم وفلسفتها الحية ، والامم تختلف في مواطنها واقليمها وتجاربها ولغاتها وعاداتها . ولكن لا بد ان تتجلى لها حقائق الحياة الاساسية ، طال زمن التجربة او قصر ، واختلف الاقليم او توافق . ولكن هذه الحقائق قد تتخذ من الالفاظ في امة قالباً يختلف عن القالب الذي تتخذه في امة اخرى . لذلك قلما تجد مثلاً سائراً او قولاً مأثوراً في امة الا ترى ما يوافقه معنى في امة اخرى وان اختلف عنه مبنى ولفظاً . فالمثل الآتي متشابه في لغات العرب والانكليز والفرنسين

La force fait l'union  
Union is strength }

الاتحاد قوة

والمثل التالي يتفق معنى ويختلف تعبيراً

L'esperance est le pain du malheureux

المنى مطية العاجزين

فالمعنى في التعبير الفرنسي « خبز » او قوت المسكين والمنى في القول العربي « مطية » والمطية صورة منتزعة من صميم الحياة العربية في البادية

او المثل التالي :

L'argent fait tout

المال يحقق كل شيء

Money makes the mare go

المال يدفع الفرس الى العدو

المال يفتح كل باب موصد

وقد جمع مؤلف هذا الكتاب ٩٣٥ من هذه الحكم والامثال والاقوال المأثورة . فنشكر عنايته وفضله



## كتاب المجمع المصري للثقافة العالمية

طبع بمطبعة المقطم — صفحاته ٢١٥ قطع المقتطف — ثمنه ١٠ غروش عدا اجرة البريد

انتخب المجمع المصري للثقافة العالمية احمد محمد حسنين بك ، الرحالة المشهور ، ليشغل كرسي الرئاسة في سنته الرابعة . فهو خير خلف لخير سلف ، في هذا الكرسي . وقد سبقه فيه الدكتور علي باشا ابراهيم وحسين بك سرتي والدكتور محمد شاهين باشا . وعلى ذلك يرى القارئ ان المجمع ماضٍ في القيام بالخدمة التي اخذها على نفسه وهي نشر العلوم الحديثة باللغة العربية ، في محاضرات تتلى وتنتشر بحرفها او ملخصة ، وتجمع في كتاب سنوي وقد عقد المجمع حتى الآن ثلاثة مؤتمرات تليت فيها ما يزيد على ثلاثين محاضرة علمية ، جمعت وطبعت في ثلاثة كتب سنوية هي من خير الكتب التي اخرجتها المطابع العربية في العهد الاخير . وقد عقد المجمع مؤتمره الرابع في الاسبوع الواقع بين ١٢ مارس و ٢٠ مارس في دار الجمعية الملكية للحشرات بالقاهرة . وتليت فيه ثمان محاضرات علمية نفيسة

وعلى ذكر هذا المؤتمر نقول ان كتابه السنوي الثالث قد خرج من المطبعة وهو في ٢١٥ صفحة من قطع المقتطف والهلل يحتوي على احدى عشرة محاضرة في موضوعات علمية متنوعة اولها محاضرة الرئاسة لحضرة صاحب السعادة الدكتور محمد شاهين باشا وموضوعها « رسالة رجل الصحة للعالم » واخرى للدكتور علي باشا ابراهيم مدير الجامعة بالنيابة وعميد كلية الطب في « التعليم الطبي بمصر » جاء فيه على تاريخ مدرسة قصر العيني وتقدمها . وبلي ذلك محاضرة شائعة للدكتور حسن صادق بك مدير ادارة المناجم والمحاجر وموضوعها « التفسير العلمي للناظر الطبيعية في مصر » . ثم محاضرة للدكتور مشرفة موضوعها « الاعداد العلمي ومستقبل النشء » . فمحاضرة في « الالكترون والبروتون ومكتشفيهما » للاستاذ فؤاد صرثوف رئيس تحرير المقتطف . فمحاضرة في « التأمين على صحة الطفل » للدكتور شخاشيري . فمحاضرة موضوعها « العلاج وتقدمه في خلال العصور » للدكتور جورج صبحي الاستاذ بكلية الطب . ثم بحث بيولوجي لغوي في « النوع وتصنيف الاحياء » للاستاذ اسماعيل مظهر . وآخر في « السدم » وما يعرف عنها للدكتور محمد رضا مدور الفلكي المقيم بمصر حلوان . ثم فصل في « الصناعات والعلوم » للدكتور احمد زكي استاذ الكيمياء في كلية العلوم فبحث « مبتكر » في « خبز الليرة والحلبة » للدكتور علي حسن الاستاذ المساعد للفسيولوجيا في كلية الطب

ولا ريب عندنا ان هذا المجمع يؤدي خدمة كبيرة للثقافة العلمية العربية بالقاهرة امثال هذه المحاضرات ونشرها في كتب سنوية متقنة الطبع سهلة الاقتناء . وبعض هذه المحاضرات سوف يكون في المستقبل ، اذ تراجع تاريخ نهضتنا ، اعلاماً في طريقها . فالمحاضرات الصحية النفيسة التي اعدّها الدكتور شاهين باشا والدكتور علي باشا ابراهيم والدكتور محمد خليل عبد الخالق بك تبين الخطوات التي تخطوها مصر في سبيل ترقية التعليم الطبي والاصلاح الصحي .



والمحاضرات الهندسية التي القاها حسين سرّي بك والدكتور عبد العزيز احمد بك والدكتور حسن زكي تفعل ذلك من الناحية الهندسية . وكلها بوجه الاجمال تضيف الى ثروة اللغة العربية في اللفظ العلمي ولا بد ان تكون في المستقبل مصدراً من مصادر المعجم العلمي العربي الضحايا

مجموعة اقاصيم — بقلم حبيب جاماتي — مطبعة مصطفى البابي الحلبي صنعته ٢٩٠ — قطع وسط  
اجاد الاستاذ خليل مطران اذ قال في المقدمة: «فاما العرب فقد آثروا بحكم طابعهم سوق كل نبي على التجريد لا يعدون لباب الخبر ، ولا يتناولون من صفة الاشخاص سوى ما يعلق لازماً بذلك الباب . فعلموا ذلك باجادة انشائية لا تضارع وإيجاز في السرد يكاد يكون غاية في الإيجاز ، ولم يقدروا للمطالع حاجة الى الوقوف على غير الجوهر او صبراً على تبسط . . . . . واما الفرنجة فهم يصفون في الاقصوصة بالكلمة العاجلة ما يهيء للقارئ الزمان والمكان ، ويبينون بالعبارات السريعة مقومات كل شخص ومميزاته ، ويكدون الذهن في تصوير النوازع النفسية والخلجات الوجدانية ، ويدخلون الحوار ، وان لم ينفسح الا لاقله ، ليقذف في روعك انك بمشهد ومسمع ممن تقرأ سيرتهم . » ويرى ان المؤلف توسط بين منحى العرب ومنحى الفرنجة «فانتقى من الانباء المشهودة او المنقولة عن التاريخ ما فيه مظنة عبرة .. لا يريد بالخبر الذي يحكيه لك الخبر بذاته بل بكل ما يحيط به من صور وذكريات وامور لها خطرها وموقعها المتمم الغرض المقصود ولا ريب في ان المؤلف موهوب في سرد القصص بارع في ايراد الحوار ، سليم اللغة تقيها في قليل من التبذل اللفظي وهو مما لا غنى عنه لكتاب يعالج تحبير المقالات للصحف كل يوم . على ان المجال الذي اختاره لقصص هذا الكتاب يتنازع صاحبه بين الامانة للتاريخ والاخلاص للفن . ومن النادر بين كبار الروائيين من بلغ الغاية في حسن الجمع بين الاثنين . اما « مظنة العبرة » غرض المؤلف او « تغذية العقول بالوان الطرائف » . فنقول ان المؤلف اجاد في تحقيق هذا الغرض . ولكن بعض القصص التي قرأناها شوهتها رغبته في استخلاص العبرة مع ان القصة نفسها يجب ان تكون العبرة المطلوبة . فقصة « خلية الشاعر » لا تحتاج الى اي تفسير بقوله « هذا ما فعله الشاعر الخ » لانها تبلغ عندما يبيل الشاعر حلق عدوه الظالم ذروة لا تحتمل كلمة بعدها الانشاء التعليمي

وضع هذا الكتاب الاستاذان الفاضلان محمد شفيق معروف ومحمد عبد الغني الاشقر وهما مدرسان بالمدارس الاميرية وجعلاه وفقاً لأحدث منهج اقرته وزارة المعارف العمومية للمدارس الاولى والابتدائية وبين يدينا الجزء الثاني منه وهو كتاب مفيد في باب اقتبس احداث ما وصل اليه التعليم في اللغات الافرنجية وقد طبع طبعاً متقناً على ورق جيد في المطبعة السلفية بمصر فنوجه اليه انظار التلاميذ لينتفعوا بأسلوبه وموضوعاته وثمنه خمسون ملياً



## علم استخراج المعادن

تأليف المهندسين يوسف العارف وحسن حسني عبد الحالقي وعثمان عبدالله صفحات ٢٧٢ قطع المقتطف  
طبع بالمطبعة الحديثة بمصر — منه ١٨ غرضاً

استعمل البشر المعادن أولاً لصنع أدواتهم واسلحتهم ولكنهم لم يكتثروا من استعمالها إلا بعد الثورة الصناعية التي حدثت في انكلترا وما عقبها من التوسع في استعمال الآلات في المناجم ومعامل الغزل والنسيج وبناء السفن والقطارات. ولا ريب في أن نجاح الثورة الصناعية في انكلترا إنما يعود في المقام الأول إلى وجود المعادن الضرورية فيها كالحديد والفحم جنباً إلى جنب. فلما استنبط بسمير طريقة جديدة لصنع الصلب بعث في الصناعة الانكليزية حياة جديدة ثم أقبل الألمان على الأساليب الصناعية المستحدثة واجمع رجال السياسة والصناعة والحرب منهم على تشجيع مناجم الألزاس واللورين. ثم استنبطت الاخلاط المعدنية وتعددت وخصوصاً الاخلاط الحديدية وكل منها يمتاز بصفات تختلف باختلاف المعدن الذي يخلط بالحديد. وكذلك أصبح رجال الصناعة والحرب يحتاجون إلى الفناديوم والتنجستن والمولبدنوم والالومنيوم والكروم والكوبلت والنيكل وغيرها بعد ما كان استعمال هذه العناصر محصوراً في المختبرات العلمية. واعتماد الصناعة على الاخلاط الحديدية المختلفة كان فاتحة عصر جديد في الصناعة والحرب. وكانت حدود البلدان في العصور الغابرة تعيّن وفق مقتضيات الزراعة ولكنها لم ترتبط بتوزيع الثروة المعدنية. والثروة المعدنية أصبحت في هذا العصر لامندوحة عنها لنجاح الصناعات في أثناء السلم ولتجهيز الأمم بأدوات القتال في أثناء الحرب فلا بد من تعديل الحدود وإقامتها على هذا الأساس إلى حد ما هذه كلمة تبين ما للمعادن من المقام في العمران الحديث في حالي السلم والحرب. والكتاب الذي بين أيدينا يبسط من الوجهتين العلمية والعملية الطارق الحديثة في استخراج المعادن. ففي الفصلين الأول والثاني كلام عام في خصائص المعادن كالصلابة وقابلية الصهر والمد (الاستطالة كما ذكرها المؤلفون) والطرق والتطبيقات وغيرها وتفسير بعض المصطلحات المستعملة في استخراج المعادن كنوع المعدن (البكر والنفل) وأنواع الأفران (أو الاتاتين) والخبث والهاشاشة وغيرها من صفات المعادن. وبلي ذلك تسعة فصول في استخراج الحديد والصلب على أنواعها وقد خصصوا الجزء الأكبر من الكتاب للحديد ومستخرجاته «لما له من الشأن في عالم الصناعة في العصر الحاضر الذي اطلق عليه بحق عصر الحديد». أما الفصول الباقية وعددها أحد عشر فصلاً فتتناول النحاس والزنك والقصدير والرصاص والفضة والذهب والنيكل والالومنيوم والكروم والمنغنيز والانتيمون والمغنيزيوم والبلاطين. أما ومصر سائرة في سبيل انهاض الصناعات من كبوتها وإقامتها على أساس علمي عملي حديث فهذا الكتاب يصبح له شأن خاص في توجيه الأنظار إلى الأركان الصناعية. ونرى أن المؤلفين مصيبون في قولهم أن ما يلتسمه البعض من المعاذير لسقوط الصناعة في مصر خطأ ظاهر وأن الأمر لا يقتضي إلا عقولاً مفكرة وعزائم ماضية



## أغاني أبي شادي

اخرج الدكتور أبو شادي كتاباً جامعاً فيه من شعره كل ما رآه جديراً بالتلحين منسجماً مع موسيقى التنغيم حتى تألفه الأذن ورضاه العاطفة فتذهب كل مقطوعاته أو بعضها في عالم الغناء إلى مدى ما يرضاه هو أو يرضاه لها الأدياء وغير الأدياء من عامة المثقفين والشاعر جريء في هذه الحملة الشعواء التي حمل بها على الأغاني الدارجة التي ألفها الشعب والتي لا يريد أن يألّف غيرها قبل نضوج فكري يستغرق منه تهذيباً عميقاً ذلك لأن الطبع المصري من طراز الطبع السامي لا يرتاح إلى التفكير العميق في التماس أسباب المرح والمتعة وإنما يريد أن يستشفها في حياته كما لو كانت من وراء زجاجة وهو في ذلك على نقبض الطبع الآري الذي منه الأوروبي والفارسي والهندي

ولعل أول ما يحس، القارئ الأديب في هذه الأغاني روعة الابهام الرمزي الذي يتغلغل فيها، وترف ألفاظها التي تحمل أختلتها إلى القارئ « المتأمل » على أجنحة هفافة لا يكون حظ الفكر منها بأسعد من حظ الخيال نفسه ! والابهام الرمزي في ذاته جمال رائع بل هو في عرف أفذاذ الناقدين « برادباي » و « لي هنت » العنصر الأول في الأسلوب . وتجد أمثلة كثيرة في الأغاني يشع منها نور الابهام الرمزي فاقراً مثلاً « أغنية الهيب المقدس » وفيها يقول قد رشقنا معنى الحياة بشعر وارتويننا من الهيب المقدس

وهذه الاغنية هي أول ما صادفني من شعر الديوان وقد أحسست بشعور غريب وأنا أقرأها . . فقد خيل إلى أنني في مدينة سحرية من مدن الخيال . . من مدن الشفق والفجر أو أنني في معبد بوذا الملح لبيب الآلهة المقدس وقد حجبته الضباب

كان هذا شعوري الخاص وأنا أتلو هذه « الصلاة » وهو شعور الفن المثقف وليس شعور العاطفة الساذجة التي تريد أن (١) تشعر ثم (٢) تغني . . لا أن (١) تفكر (٢) ثم تشعر (٣) ثم تغني ! . فالفلاح لا يعرف شيئاً من مدن الشفق أو الفجر . . والفلاح لم يقرأ شيئاً عن معبد بوذا وكل ما رآه الفلاح في عالم السحر والخيال هو لبيب « أبو شعلة » وهو الشيطان الذي يخلقه في وهمه ليخيف به صغاره ! . ولست أكذبك أيها القارئ أنني شعرت بلذة لا تعد لها لذة وأنا أقرأ هذه الانشودة وقلت في نفسي أما كان الأحرى بالدكتور أبي شادي أن يطلق على كتابه « أغاني وصلوات » بدلاً من « أغاني » فقط ! !

وهناك أمثلة أخرى كثيرة من هذا النوع في الكتاب وحسبك أن تقرأ قبله البرتقال وفيها يقول

عشقت عصير البرتقال فذهبت بعصيره الناري من شفيتها  
ورشفت أخرى بعد أن جادت بها فاستقت حلو غرامها بيديها



حتى إذا لم تبق منها نفحة وظللت كالظلمات عاد إليها  
جادت عليّ بقبلة معسولة جمعت شهية الخمر من حلويها  
فغنمت خمر البرتقال بشعرها وغنمت خمر الحب من شفيتها  
ولكنني أخذت على الدكتور أشياء كان يجدر به أن يراعيها وهو إهمال التروّي في بعض  
الصور الشعرية مثال ذلك قوله

رحلت عنك رحيل الطيب عن زهر يودي به البعد لولا حبك الداني  
فقد شبه نفسه بالعطر وشبه حبيبته بالزهر وفي هذا التشبيه غرابة لو تروى فيه قليلاً .  
وقوله: وبخلت حتى بالعناق لعلي أمضي الضحية في سرور الواعي  
كأن وراء العناق غاية وهي كما يراها ابن الرومي ونراها نحن غاية الغايات وفي ذلك يقول ابن الرومي  
أمانقها والنفس بعد مشوقة إليها .. وهل بعد العناق تدان  
والدكتور أبو شادي يجعله في الشطر الأول كأنه شيء لا فاه فيؤنبها لأنها بخيلة «حتى بالعناق»  
وقوله: تتلاقى الشفاه وهي ظلمات ثم تظلم على ارتواء وتنعس  
وأنا أظن أنه لو غيرنا بعض ألفاظ البيت بألفاظ أخرى لجاء البيت رائعا . فيمكننا أن نقول  
تتلاقى الأرواح وهي ظماء ثم تروى فوق الشفاه وتنعس  
وفي الختام نقول إن الدكتور قد اضاف إلى مجهوداته الفنية آية جديدة

م . ع . الممشري

### الظاء

مجموعة اشعار — الدكتور علي الناصر — مطبعة المعارف حلب

مقطوعات شعرية طيبة ارسلها صاحبها حرة طليقة بكل معنى كلمتي الحرية والانطلاق فهي  
رة في صورة ما يسمونه الشعر المنشور ومرات اخرى انماط مستحدثة من الشعر المنظوم  
ولكنها جميعا ملتقية في عدم التقيد بأي قيد او اي اعتبار لذلك يحسن بقاؤها ان لا يستعجل  
الحكم على الشاعر وان لا يأخذه الا بالرفق والتأني ، اما التأني فلأن هذا النوع من الشعر  
لا يزال جديداً على اسماعنا التي الفت القوافي العربية الصعبة ولم تتعود بعد إلا النغم المطرد  
المتناسق واما الرفق فهذا نحتاج اليه عند النظر الى الصيغ والعبارات أو الى الالفاظ التي ربما رى  
الشاعر فيها قد خرج قليلاً عن المألوف في القواعد التقليدية كقوله (بقوعي) بدلاً عن  
بقاعي الى غير ذلك من هذه الاشباه . أجل نحتاج الى الرفق بالشاعر في مثل هذه الملاحظات  
لأننا نعلم مقدار ما يعانیه هذا الشاعر وأمثاله المسرفون في التجديد في سبيل تطويع اللغة العربية  
لتطويعاً يتفق وما يريدونه من المعاني والاغراض ثم يتفق مع النغم الذي يختارونه قوالب لهذه



المعاني والاغراض. وأخيراً لأجل أن ننصف هذا الشاعر ولأجل أن نتابعه باطمئنان يحسن بك أن تسمع ما قاله الفيلسوف امين الريحاني في تقديم هذا الديوان: قال وان افق شعره ليجيط بنزعات متعددة متباينة وبأساليب هي عنوان الفتوة متنوعة البذور فيها زاهر وفيها ما لا يزال في البراعم والاكمام. ولعمر الحق ان هذا الادق وصف ينطبق الآن على شعر هذا الشاعر الطبيب شرح بشارة يوحنا

وهو الجزء الرابع من كتاب « المرشد الامين في شرح الانجيل المبين » تأليف القس ابراهيم سعيد استاذ علم التفسير بمدرسة اللاهوت ، وفيه ٨٦٠ صفحة . وقد استعان المؤلف في كتابته بنحو عشرين كتاباً اكثرها باللغة الانكليزية . ذكرها في صفحة ٨٦١ والمؤلف يستعمل تارة لفظة « شرح » وتارة كلمة « تفسير » كما في ص ٢٥ — عنوان الاصحاح الاول . هنا يستعمل كلمة « تفسير » . كذلك في ص ٨٦١ يقول : استعان بها المؤلف في تفسيره فيظهر انه يعتبر تأليفه شرحاً تفسيرياً . وللتفسير مذاهب . منها المذهب الحرفي ، وهو الذي يفهم بعبارات الكتاب مدلولها الحرفي . فاذا قال الكتاب . ان الله خلق العالم في ستة ايام . فهم بذلك ، ستة ايام عادية ، في كل يوم ٢٤ ساعة . والمذهب الروحي . وهو الذي يعتبر المبدأ الروحي في الكتاب ويطبق العبارات عليه . والمذهب الرمزي وهذا قد تبعه بعض الاباء في الاجيال الوسطى . ومنها المذهب النقدي او الانتقادي . وعليه كثيرون من علماء الالمان ، والمذهب اللغوي التاريخي وهو الذي يؤيده الدكتور جيمس انس المعروف في سوريا واميركا . ولكن حضرة المؤلف اجتنب كل ذلك ونهج نهجاً سهلاً متواضعاً جميلاً . فشرح الكتاب شرحاً تفسيرياً — وبالاخرى وعظيماً . اورد في كل موضوع الآراء التي يراها فيه بصورة اقسام وعظمية . واليك بعض الامثلة

جاء في ص ٢٦ عن ديباجة البشارة . تتضمن هذه الديباجة اربعة افكار رئيسية  
١ — الكلمة في جلاله ٢ — الكلمة في ظهوره ٣ — الكلمة المرفوض ٤ — الكلمة المقبول  
وانت ترى انها اقسام عظيمة موضوعية ثم قال في القسم الاول . الكلمة في جلاله  
١ — الكلمة في جلاله الذاتي ٢ — الكلمة في جلاله النسبي  
وهما قسما عظيمة ايضاً

وقال في شرح القول : والظلمة لم تدركه . تفيد كلمة ( لم تدركه ) اربع درجات متتابعة  
١ — عدم الاكتراث لوجود النور ٢ — عدم فهم النور وسره ٣ — عدم البلوغ  
والوصول الى النور لنيله ٤ — عدم الانتصار على النور والعجز عن الظفر به  
وجاء في شرحه ص ١٥ : مثل الكرمية : يتضمن هذا الجزء ثلاثة افكار رئيسية  
١ — مقام التلاميذ من المسيح ٢ — موقف العالم تجاه التلاميذ ٣ — النصر على العالم



ويجوز ان ننظر الى هذا الجزء نظرتنا الى جعبة فيها سبعة سهام نورانية  
(١) التلاميذ والمسيح (٢) التلاميذ وبعضهم ازاء بعض (٣) التلاميذ والعالم (٤) العالم  
والمعزي (٥) المعزي والتلاميذ (٦) حزن يستحيل الى فرح (٧) نصره بعد كسرة

وقال في شرح المحبة: ص ١٢-١٧

(١) محبة مضحية بنفسها (٢) محبة رافعة (٣) محبة لها فضل التقدم  
وأنت ترى ان كل ذلك ترتيب مواعظ . فكأنك تحتاز في حديقة مواعظ كلها طرائف  
ازهار وعوايق رياحين . ترتاح اليها النفس ويستفيد منها محب المؤلف وهي مطابقة لروح  
الكتاب وغرضه ، وتدلل على اخلاص المؤلف وسعة اطلاعه  
\*\*\*

### جلقر

تأليف جوناثان سوفت — نقله كامل كيلاني — طبعته ونشرته مكتبة المعارف

نعرف والدنا من سرقة القوم شديد العناية بتعليم ابنه اللغة العربية من نعومة اظفارهم ،  
ولكنه لا ينفك يشكو لنا عجزه عن وجود كتب عربية وافية للاحداث يقرأونها فتغريهم  
بالاقبال والاستزادة لطرافة في موضوعاتها وجودة في طبعها وسلاسة في اسلوبها . فاهدنا  
اليه بعض القصص التي اخرجها ناقل هذا الكتاب فسر بها الولد ولكنه كان قد تخطاها  
فظلت مسألة ما يمكن ان يقرأه بالعربية مشكلة معقدة حتى ظهر كتاب «جلقر» هذا . واتفق انه  
يوم وصوله الينا زارنا صديقنا المذكور فقلنا له هاضالتك المنشودة . فتهللت اساريره اذ  
رأى الكتاب . وهو من قرأ جلقر باللغة الانكليزية ، وعرف مقامه في ما يسمونه « باب  
الاحداث » Childrin's Literature في انكلترا وذهب من ساعته يقتني لابنه نسخة منه

ولسنا نملك الآن نسخة انكليزية من رحلات جلقر لنتمكن من الموازنة بين الترجمة والاصل  
وهل الترجمة ادبية دقيقة او هي من قبيل نقل ما فيها من الافكار والآراء والحوادث فقط . ولكن  
سواء كانت ترجمة كيلاني ترجمة حرفية او غير حرفية فلا ريب عندنا في ان هذا الكتاب من خير ما  
يقرأه الاحداث . وحبذا الحال لو عني المؤلف باستخراج كتاب على نسق « جلقر » من  
رحلات الرواد المحدثين . فلو هام سوفت ومخترعاته في « جلقر » تحل محلها حقائق الريادة  
الحديثة وغرائبها ، وإقدام الرواد وتقانيهم ، في الكتاب الذي نقترحه ، فيكون هذا الكتاب  
الدرجة التي تتلو « جلقر » في سلسلة « أدب الاحداث » . وكل الآباء والمعلمين يشعرون بشديد  
 حاجتنا الى هذه السلسلة المتدرجة مع فهم الاحداث وذوقهم الادبي

[المقتطف] سرنا ما رأيناه من اقبال القراء على ما ننشر في هذا الباب من المباحث في  
الطبوعات الحديثة . فتوسعنا فيه جهدا . ولكنه مع ذلك ضاق عن ان يتسع لذكر كل  
الطبوعات التي اهديت الينا . فوعدنا بها الشهر القادم ان شاء الله



## الجزء الرابع من المجلد الثاني والثمانين

صفحة	
٣٧٩	التكنوقراطية والازمة. لفؤاد صرؤف (مصورة)
٣٨٧	القس العالم. جون بريستلي (مصورة)
٣٩٦	الصحراء. لاجد محمد حسنين بك
٤٠٩	موت البلبل (قصيدة). لحسن كامل الصيرفي
٤١٠	الرحلة والرحالون. لنقولاً زيادة
٤١٤	التوائم والمحيط. للدكتور شريف عسيران
٤١٨	مكانك يا عشق (قصيدة) لبشر فارس
٤١٩	جان جاك روسو (مصورة). لجورج نيقولاوس
٤٢٨	ما هو العلم. ليعقوب فام
٤٣٣	الحضارة الفينيقية. للشيخ بولس مسعد
٤٣٩	ثورة الشاعر (قصيدة). م. ع. الممشري
٤٤٠	كتاب الاغانى. لعبد الحميد سالم
٤٤٤	الابعاد الاربعة (مصورة). لنقولاً الحداد
١٥٤	شهيد الخرطوم. غوردون باشا (مصورة)
٤٥٦	قينارتان (قصيدة). للنسيب عريضة
٤٥٧	موقف الامويين من الدعوة الاسلامية. لأمين سعيد
٤٦٣	معرض المذاهب السياسية. للدكتور عبد الرحمن شهنيدر



٤٦٩	باب الزراعة والاقتصاد * الجراد. للدكتور هلال فارحي
٤٧٦	باب شؤون المرأة وتدير المنزل * الصحة الجنسية والنشء. للدكتور محمد زكي شافعي.
	خالده اديب. لنقولاً شكري
٤٨٣	باب المراسلة والمناظرة * الشريف الكتاني (مصورة). لمحمود محمد شاكر. حقائق جديدة عن
	الربع الخالي. لفؤاد حمزة. تصحيح كتاب الزهرة لابراهيم طوقان. تنقيط الباء في آخر الكلام.
	لعبد القدوس الانصاري
٤٩١	مكتبة المقتطف * مملكة اورشليم اللاتينية. انقاس محترقة. نابغة بني شيان. حكم الامم.
	كتاب المجمع المصري للثقافة العلمية. الضحاي. الانشاء التعليمي. علم استخلاص المادان.
	أغاني أبي شادي. الظاهر. شرح بشاره يوحنا. جلفر



# المقتطف في الشرق الادنى

تطلب اعداد المقتطف في جميع بلدان الشرق الادنى — فلسطين وسورية  
وشرق الاردن ولبنان والعراق — ومن فروع شركة فرج الله للسياحة في  
القنطرة وحيفا ويافا والقدس وبيروت وبغداد

## مجلة الشرق

ادبية سياسية مصورة

انشئت للدعاية عن الشؤون البرازيلية وما آتي النزلاء الشرقيين في البرازيل تصدر  
باللغة العربية مرتين في الشهر — صاحبها ومحررها الاستاذ موسى كريم وبشترك في  
تحريرها طائفة من اكبر ادباء العربية في البرازيل  
وبدل اشتراكها ٢٤٠ قرشاً صاغاً

Journal Oriente

وعنوانها

Caixa Postal 1402, Sao Paulo, Brazil

## الاصلاح

مجلة ثقافية علمية

تصدر مرة في الشهر في بونس ايرس عاصمة الارجنتين

لصاحبها ومنشئها الدكتور جورج صوايا

عنوانها شارع سان مرتين ٦٤٠ بونس ايرس



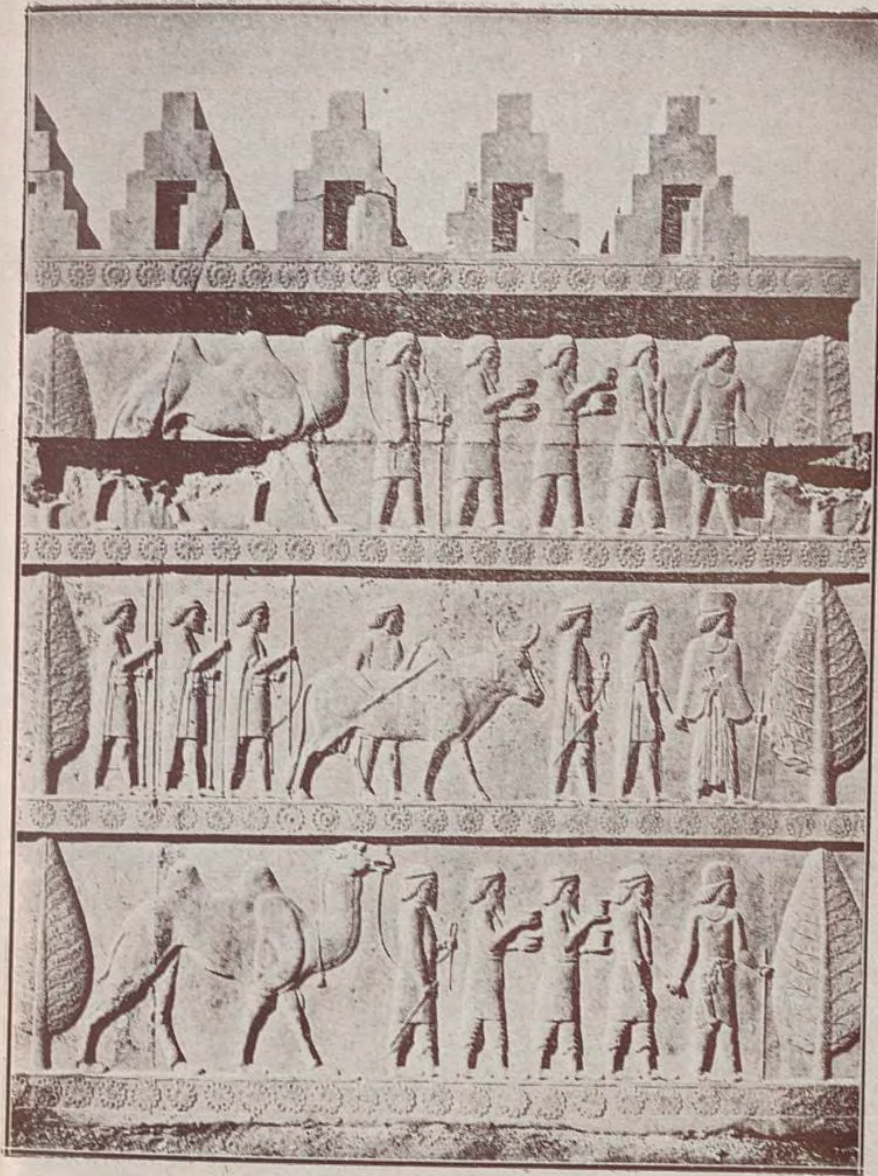
# قائمة سلسله المطبوعات العصرية

التي عنت بنشرها ادارة المطبعة العصرية بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالقجالة بمصر

سندوق بوسته ٩٥٤ مصر تليفون رقم ٥٩٠٣٦

- |  |  |
|--|--|
| ١٠ التربية الاجتماعية ( للاستاذ علي قري )    | ٣٥ القاموس المصري انكليزي عربي (طبعة ثانية)        |
| ٥ خواطر حمار ( الاستاذ الجمل )               | ٧٠ القاموس المصري انكليزي عربي (طبعة ثالثة)        |
| ٥ التعليم والصحة                             | ٣٥ القاموس المصري عربي انكليزي (طبعة اولى)         |
| ١٥ الحب والزواج ( للاستاذ نقولا حداد )       | ٧٠ القاموس المصري عربي انكليزي (طبعة ثانية)        |
| ١٥ ذكراً وانثى خلقهم » » »                   | ٣٥ القاموس المدرسي عربي انكليزي وبالعكس            |
| ٥٠ علم الاجتماع (جزآن كبيران » » »           | ٣٠ قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس                |
| ١٥ اسرار الحياة الزوجية » » »                | ٢٠ قاموس الجيب عربي انكليزي فقط                    |
| ٢٥ المرأة وفلسفة التناسليات ( للدكتور محري ) | ١٥ قاموس الجيب انكليزي عربي فقط                    |
| ٣٠ الامراض التناسلية وعلاجها » » »           | ٧٠ » سقراط سيبرو عربي انكليزي (باللفظ)             |
| ١٥ الزينة الحمراء ( للاستاذ احمد الصاوي )    | ٥٠ » سقراط سيبرو انكليزي عربي (باللفظ)             |
| ١٠ تاييس » » »                               | ١٠٠ » سقراط انكليزي عربي وبالعكس                   |
| ٥ مكائد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل داغر) | ١٠ التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)    |
| ١٠ القصص المصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)        | ١٢ الهدية السنوية لطلاب اللغة الانكليزية (باللفظ)  |
| ١٠ مسارح الازهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)        | ١٥ في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكليك)      |
| ١٢ رواية احوال الاستبداد ، مصورة             | ١٠ عشرة ايام في السودان » » »                      |
| ١٠ رواية فاتنة المهدي ، او استعادة السودان   | ١٢ مراجعات في الادب والفنون (للاستاذ عباس المقاد)  |
| ٨ رواية الانتقام العذبة (اسعد خليل داغر)     | ١٥ روح الاشتراكية (افوستاف لوبون) وترجمة           |
| ٥ فقر وعفاف ( الاستاذ احمد رافت )            | (الاستاذ محمد زعيت)                                |
| ١٢ رواية باريزيت ، مصورة (توفيق عبد الله)    | ١٥ روح السياسة » » »                               |
| ١٢ غرام الراهب او الساحرة المجدورة           | ١٠ الآراء والمعتقدات » » »                         |
| ٧٥ رواية روكمبول ، ١٧ جزء (طانيوس عبده)      | ١٠ اصول الحقوق الدستورية » » »                     |
| ٢٥ رواية ام روكمبول ، ٥ اجزاء »              | ٢٠ الحضارة المصرية (افوستاف لوبون)                 |
| ٢٠ رواية باردليان ، ٣ اجزاء »                | ٨ مقدمة الحضارات الاولى » »                        |
| ٢٠ رواية الملكة ايزابو ، اجزاء »             | ١٠ الحركة الاشتراكية (رسمي مكندونل)                |
| ٢٠ رواية الاميرة فوستا ، جزآن »              | ١٥ ماني السبيل في مذهب النشوء والارتقاء            |
| ٢٠ رواية عشاق فنيسيا ، جزآن »                | ١٠ اليوم والقد (الاستاذ سلامة موسى)                |
| ١٩ رواية كايبتان ، جزآن »                    | ١٠ مختارات سلامة موسى                              |
| ١٦ رواية الوصية الحمراء ، جزآن »             | ٨ نظرية التطور واصل الانسان »                      |
| ١٢ رواية فلنبرج ، جزآن »                     | ٢٠ انا تول فرانس في ماذله (الامبرشكيب ارسلان)      |
| ١٠ رواية فارس الملك »                        | ١٥ الدنيا في امريكا (للاستاذ امير بقطر)            |
| ١٠ رواية ضحايا الانتقام »                    | ١٠ المرأة الحديثة وكيف نسوسها (احسين عبد الله)     |
| ٥ رواية المتشكرة الحسنة »                    | ١٠ حصاد المشيم (للاستاذ ابراهيم عبدالقادر المازني) |
| ٥ رواية مروهة الاسود »                       | ١٠ قبض الريح » » » » » »                           |
| ٥ رواية شهداء الاخلاص »                      | ٨ نسيات وزوايج شعر منثور مصور                      |
| ٨ رواية المرأة المفترسة »                    | ١٠ رسائل غرام جديدة (للاستاذ سليم عبدالواحد)       |
| ١٦ رواية دار المعجائب جزآن (نقولا رزق الله)  | ١٠ الغربال في الادب المصري (للاستاذ نجمايل نصية)   |
| ١ » فرنسوا الاول » » » » » »                 | ٥ حكايات الاطفال ، اول ( مصور بالالوان )           |
|  | ٥ » » » » » » » » » » » »                          |





### حملة الجزية الى داريوس

افريز منقوش نقشاً بارزاً وجد في برسپوليس ويرتد تاريخه الى عهد داريوس  
(٥٢١ - ٤٨٥ ق.م.) وهذا الافريز منقوش على جانب السلام المرسومة في  
الصفحة التالية